

الحركة الإصلاحية في الكويت
تأثيرًا وتأثيرًا
(الإصلاح الديني)

الحركة الإصلاحية في الكويت

تأثيرًا وتأثيرًا

(الإصلاح الديني)

تأليف

د. أحمد عبدالعزيز خلف الحربي

سَبْعُ عَشَرَ عَشْرًا

مدخل

بعيداً عن الجدل الدرامي، الذي يحتل الساحة الإعلامية والسياسية بين فترة وأخرى في الكويت، حول موضوع الإصلاح الديني، تقوم هذه الدراسة بتأطير البحث في خانة محددة، تُعاد فيها صياغة الأسئلة التي تغدو فيها الحركة الإصلاحية - موضوع الدراسة - مؤشراً على التحولات التي يعرفها واقع التدين في الكويت، فهناك أنماط من التدين وأشكال للتعبد غير قابلة لأن تُحصر في قالب عقدي أو مذهبي محدد، لكن وسط هذا الواقع المتحول في الجزيرة العربية، على إثر الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وُجدت حركة إصلاحية في الكويت، ساهمت في إضعاف أنماط التدين التقليدية، وبروز التصورات الدينية السلفية في المجتمع، وكان ذلك بالتعاون مع رموز إصلاحية من خارج البيئة المحلية، وكانت هذه الحركة الإصلاحية مسابرة للواقع الاجتماعي والثقافي، ومؤثرة في اتجاه التدين في الكويت ومحققة للذات الإصلاحية، ومهتمة في كل مجال يُساهم في إصلاح ونهضة البلد، والسؤال المهم: هل كانت لحركة الإمام محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية جزءاً أو عاملاً مؤثراً يُعرف في حقل التدين في الكويت؟

وحتى نُجيب عن هذا السؤال، لا بُدَّ أن نوضح أنه لا يُعتبر بروز العقيدة السلفية في الكويت بأي حال من الأحوال مؤشراً إلى أي انشطار عقدي أو مذهبي، على نحو ما تصوره السجالية المجتمعية، بقدر ما هي تعبير عن ارتفاع مستوى الوعي وإدراك لأثر الفطرة السوية والإسلام الصافي، وقد انعكس ظهور هذا الاتجاه في الأوساط الاجتماعية مع وجود التحول

الذي شهدته أنماط التَّدِين في الكويت، فتكوَّنت ممانعة اجتماعية وثقافية ترفض مظاهر الدَّجَل والخُرَافات من التَّعلق والتَّمسح بالشَّواهد والمقامات، والاستغاثة بقبور الأموات، فقد عَدَّت النَّماذج التَّقليدية للتَّدِين في المجتمع الكويتي ضعيفة، ولم تُعدِّ تمارس دورًا معياريًا، فأضحت نماذج متحجرة؛ اتجهت شيئًا فشيئًا إلى فقدان التأثير، وكان لجهود المُصلحين دورًا كبيرًا في إزاحتهم لسدِّ الفراغ الدعوي الذي كان من أهم الوسائل في استرجاع الدِّين لدوره المركزي في المجتمع.

وبفضل من الله - عز وجل - ثم بجهود المصلحين؛ وَجَدَ الدِّين فرصة لمقاومة ومجابهة التحولات التي حصلت في العالم الإسلامي على إثر احتكاكه بالغرب^(١).

* * *

(١) هناك دراسة أخرى أقوم بها حالياً متعلقة بالحركة الإصلاحية إلا أنها بصورة أشمل من هذه الدراسة وقد تناولت فيها دورهم في مقاومة التغريب وموقفهم من الحضارة الغربية وغيرها نسأل الله أن يعيننا لترى النور قريباً .

الفصل الأول

بداية نشأة البيئة الدينية والثقافية في الكويت

البيئة الدينية والثقافية:

كانت الدولة العثمانية تعتبر الدولة المركزية للعالم الإسلامي، وكانت حاضنة لمظاهر الخرافة والتصوف^(١)، والدولة السعودية كانت الحاضنة للدعوة الإصلاحية السلفية، وبطبيعة الحال أثر كل منهما على المنابع الثقافية التي كان ينهل منها أهل الكويت علومهم وثقافتهم (الإحساء، الحجاز، نجد، الزبير، مصر).

ولتحديد هذا التأثير لا بد من الرجوع إلى بداية نشأة البيئة الثقافية والعلمية في الكويت، التي كانت في بداية تكون المجتمع الكويتي وتبلور كيانه السياسي، فأصبحت بحاجة إلى نظام قضائي وإداري لتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع.

فكان أول قاضي في الكويت عالم الزبارة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن عبدالله بن فيروز التميمي الحنبلي^(٢)، الذي وُلِدَ في نجد (أشيقر) سنة

(١) للاستزادة راجع تفصيل ذلك: علي بن بخيت الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (١/٢٧٦).

الصوفية مستنقع آسن للظواهر المنحرفة عن الإسلام من انتشار الخرافات والبدع من تعظيم المقامات وتشديد الأضرحة؛ لذلك كان أعظم انتشار لها في زمن الدولة العثمانية التي قامت على العقائد الصوفية فتحوّلت إلى ثقافة مجتمعية كما أن الدولة السعودية الأولى قامت على العقيدة السلفية - واستمرت إلى اليوم - حتى تحولت إلى ثقافة مجتمعية.

(٢) ينتسب قاضي الكويت إلى أسرة ابن فيروز التميمي وهي أسرة علمية كبيرة، فهو من أهل العلم والفضل وتسلسل العلم في ذريته طبقات كانت شهرتهم ابن فيروز:

١- الجد وهو قاضي الكويت الأول.

٢- الأب.

٣- الحفيد.

٤- ابن الحفيد.

وترتيبهم بالأسماء كالآتي:

(١٠٧٢-١٦٦١م)، ثم انتقل مع أهله إلى الأحساء، وبعدها انتقل إلى الزبارة في قطر حتى أصبح من أشهر علمائها، فولّي القضاء في الزبارة للخوالد ثم لحلف العتوب في عام ١٦٩٧م، بعد أن اتخذه عميد أسرة الصباح - صباح بن جابر (العتبي) - قاضياً لهم في عام ١٧٠٥م، إلى أن حكموا الكويت بالاتفاق مع بني خالد عام ١٧٥٢م، ولكنه توفى قبل ذلك عام ١١٣٥هـ-١٧٢٢م، وهو قاضيهم^(١)، وخلفه في القضاء تلميذه أحمد بن عبدالله آل عبدالجليل.

وترتيب القضاة في الكويت كالتالي^(٢):

١. محمد بن عبدالوهاب بن عبدالله بن فيروز الأشيقرى من عام ١١١٧ هـ حتى وفاته عام ١١٣٥هـ [١٧٠٥م - ١٧٢٢م] (حنبلي).

١ - محمد بن عبدالوهاب بن فيروز - الجد - وقاضي الكويت الأول (ت ١١٣٥ هجري) متزوج من عمّة محمد بن عبدالوهاب. راجع «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (ج ٦ ص: ٢١٩) للبسام.

٢ - عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بن فيروز - الأب - هو العالم الذي التقى بمحمد بن عبدالوهاب وأثنى على عقيدته (ت ١١٧٥ هجري) وهو ابن عمّة الإمام محمد بن عبدالوهاب. المصدر السابق (ج ٤ ص: ٣٨٠).

٣ - محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بن فيروز (ت ١٣١٢ هجري) هو المعارض - الضرير - وهو - حفيد قاضي الكويت - والده عبدالله الذي التقى الإمام المجدد - وأثنى عليه. المصدر السابق (ج ٦ ص: ١٩٤).

٤ - عبدالوهاب بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بن فيروز هو ابن الحفيد وصاحب الحاشية المشهورة على الروض، توفي بمرض وهو ابن ٣٣ سنة (ت: ١٢٠٥ هجري). المصدر السابق (ج ٥ ص: ٥٣).

(١) د. محمد بن إبراهيم الشيباني، تاريخ العلامة قاضي الكويت الأول في الزبارة والكويت (ص: ١٠) بتصرف.

(٢) عبدالعزيز السند، تطبيق الشريعة الإسلامية بدولة الكويت بين الشريعة والقانون، (ص: ٨٠-٨١) بتصرف. القضاء والقضاة في الكويت، محمد بن إبراهيم الشيباني وبرك بن شجاع المطيري.

٢. أحمد بن عبدالله بن العبد الجليل [١٧٢٢م - ١٧٥٦م] (حنبلي)^(١).
٣. محمد بن عبدالرحمن العدساني من عام ١١٣٥هـ حتى عام ١١٧٠هـ [١٧٥٦م - ١٧٨٢م] (شافعي).
٤. محمد بن محمد بن عبدالرحمن العدساني من عام ١١٩٧هـ حتى عام ١٢٠٨هـ [١٧٨٢ - ١٧٩٣م] (شافعي).
٥. محمد بن صالح بن محمد العدساني من عام ١٢٠٨هـ حتى عام ١٢٢٥هـ [١٧٩٣م - ١٨١٠م] (شافعي).
٦. علي بن عبدالله بن علي بن شارخ من عام ١٢٢٥هـ حتى عام ١٢٢٨هـ [١٨١٠م - ١٨١٣م] (حنبلي).
٧. محمد بن صالح العدساني من عام ١٢٢٨هـ حتى عام ١٢٣٣هـ [١٨١٣م - ١٨١٧م] (شافعي).
٨. علي بن عبدالله بن شارخ الحنبلي من عام ١٨١٧م حتى ١٨١٩م (حنبلي).
٩. عبدالله بن محمد بن صالح العدساني من عام ١٢٣٥هـ حتى عام ١٢٧٤هـ [١٨١٩م - ١٨٥٧م] (شافعي).
١٠. محمد بن عبدالله بن محمد العدساني من عام ١٢٧٤هـ حتى عام ١٣٣٨هـ [١٨٥٧م - ١٩١٩م] (شافعي).
١١. عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله العدساني من عام ١٣٣٨هـ حتى عام ١٣٣٩هـ [١٩١٩م - ١٩٢٠م] (شافعي).

(١) لو تلاحظ قضاة الكويت منذ تأسيسها حنابلة وبقوا على ذلك قرابة أول خمسين سنة، ثم تولى القضاء الشيخ محمد بن عبدالرحمن العدساني الشافعي وهو ثالث قاضي في الكويت؛ وكان سبب توليه أنه كان متزوج من ابنة الشيخ أحمد آل عبدالجليل الحنبلي، فبقى القضاء في أسرة العدساني وراثيًا إلى الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان الحربي الحنبلي.

١٢. عبدالله بن خالد بن عبدالله العدساني من عام ١٣٢٩ هـ حتى عام ١٣٤٨ هـ [١٩٢٠م - ١٩٢٩م] (شافعي).

١٣. عبدالله بن خلف بن دحيان من عام ١٣٤٢ هـ حتى عام ١٣٤٩ هـ [١٩٢٤م - ١٩٣٠م] (حنبلي).

١٤. يوسف بن عيسى بن حسين القناعي من عام ١٣٥٠ هـ حتى عام ١٣٥١ هـ^(١) [١٩٣١م - ١٩٣٢م] (شافعي).

١٥. عبدالعزيز قاسم حماده من عام ١٣٥١ هـ حتى عام ١٣٦٥ هـ [١٩٣٢م - ١٩٤٥م] (مالكي).

١٦. عبدالمحسن بن إبراهيم البابطين من عام ١٣٥٧ هـ حتى عام ١٣٥٨ هـ [١٩٣٨م - ١٩٣٩م] (حنبلي).

١٧. أحمد عطيه بن علي بن عبدالحميد الأثري من عام ١٣٥٦ هـ حتى عام ١٣٨١ هـ [١٩٣٧م - ١٩٦١م] (مالكي).

١٨. أحمد بن خميس الخلف من عام ١٣٧٠ هـ حتى عام ١٣٩٢ هـ [١٩٥٠م - ١٩٧٢م] (حنبلي).

والكويت منذ نشأتها تدير أمورها بحسب الشرع^(٢)، ولما سُئِلَ الشيخ عبدالله الجابر الصباح سنة (١٩٥٣م) هذا السؤال: للقوانين المكتوبة قيمة كبيرة في تنظيم العمل وإراحة الرؤساء، فهل للمعارف والمحاكم والأوقاف قوانين مكتوبة...؟^(٣)

فأجاب: قانون المحاكم كتاب الله - عز وجل -، وقد مشينا في تنفيذ الأحكام على مجلة الأحكام العدلية المشهورة، وما لم يوجد في المجلة

(١) وبقي الشيخ قاضي تمييز، وكان أول قاضي تمييز في الكويت.

(٢) سيف مرزوق الشملان، تاريخ الكويت (ص: ١١٢).

(٣) أحمد الشرباصي، أيام الكويت (ص: ٣٥٨، ٣٥٩).

فالحكم فيه على مذهب الإمام مالك - رحمه الله -^(١).

* * *

المذهب الفقهي في الكويت:

اعتاد الباحثون النظر إلى الكويت كدولة متجانسة، غير أن حقيقة الكويت على مدى تاريخها الطويل يحكي قصة أخرى، الكويت دولة غير متجانسة وهذا أمر لا يعيبها، وهو راجع إلى طبيعتها؛ حيث أنها أرض هجرات فكل مجموعة مهاجرة تصحب معها ثقافتها ومذهبها الذي تتعبد به؛ لذا كانت الكويت متعددة الثقافات والمذاهب والأعراق، وعدم تجانسها لا يعني بالضرورة عدم قدرة مكوناتها على الانسجام، ولقد عكست بعض الكتابات المعاصرة صورة غير حقيقية عن واقع الكويت، وأدى شح المصادر إلى رسم صورة مغرقة بالأخطاء والتعميم.

الاختلافات موجودة في الكويت كحال أي مجتمع آخر، لكن هذا الاختلاف نسبي باعتبار المجتمع الصغير، وقد ظلت الكويت تحوي طيفاً واسعاً من الناس المختلفين مذهبياً ومناطقياً وقبلياً حتى جرى توحيدهم في إطار سياسي واحد، تحت مسمى الوحدة الوطنية كهوية جامعة، إلا أن الواقع التعددي لم يتغير كثيراً منذ ذلك الحين، فمن الطبيعي أن تظل الهويات الفرعية، مع الحفاظ على الهوية الجامعة.

قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد^(٢): «في الكويت وقراها ما ينيف على ثمانين

(١) وكان القضاء في الكويت قضاءً شرعياً منذ تأسيسها وعلى منهج الكتاب والسنة حتى عام ١٩٧٢م حين تم استبداله بقوانين وضعية، نسأل الله أن يوفق ولاة أمرنا إلى تعديل هذه القوانين لما يتناسب مع شرع رب العالمين ولا يخالفه.

(٢) الشيخ عبدالعزيز الرشيد البداح الحنبلي المذهباً السلفي إعتقاداً: ولد عام ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٧م ، وهو من تلاميذ الشيخ عبدالله الدحيان ومؤلف أول كتاب في تاريخ الكويت وصاحب أول مجلة كويتية وكان من أنصار الدعوة السلفية ودعاتها وكان معلماً في المدرسة المباركية والأحمدية ثم

ألف نسمة يدينون بالدين الإسلامي، ما عدا نفرًا قليلًا من اليهود يبلغون نحو مائة وخمسين وأقل منهم بكثير من المسيحيين^(١)، والمسلمون فرقتان السُّنة والشيعية والأغلبية الساحقة للأولى ومنهم الحنابلة وجلَّهم من المهاجرين من نجد^(٢) والشافعية وكثيرهم من الأعاجم السنيين (العوضية) والمالكية،

هاجر إلى البحرين ثم ذهب لمقابلة الملك عبدالعزيز فأعجب به وأرسله داعياً إلى المنهج السلفي في إندونيسيا ومصلحاً بين الإرشاديين والعلويين، وتوفي في إندونيسيا عام ١٣٥٧ هـ، ١٩٣٨ م، أنظر علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون ص ٢٤٩، وانظر يعقوب يوسف الحجي، كتاب عبدالعزيز الرشيد، وانظر الملحق ترجمة الشيخ عبدالله بن بسام له في نهاية هذا الكتاب.

(١) كان اليهود والنصارى مجرد عوائل صغيرة جداً نازحة إلى الكويت في ظل وجود الاستعمار الانجليزي لأسباب تجارية وتشيرية.

(٢) إلغاء كافة التحيزات (القبلية، العرقية، الدينية، الفكرية) هذا من أمحل المحال ولا يوجد إنسان منزول انعزلاً تاماً عن تحيز، ولا زلنا نشهد صعوبة التفريق بين الموقف السياسي والموقف الاجتماعي وغيره، إذ أن هناك علاقة وطيدة بين القيم الاجتماعية والقيم السياسية لا يمكن الانفكاك عنها بعيداً عن المجاملات. فترك الهوية الثقافية الكويتية بدون حسم يفضي إلى اختلافات ومهاترات وربما مصادمات في المستقبل بين أصحاب الهويات الفرعية، فترك الهوية بدون حسم يفضي إلى قلق ثقافي ومع الوقت يتحول ذلك إلى قبلة موقوتة تنفجر في أي وقت وليس في استجلاب الماضي للحديث عن نشأة الكويت أو الهويات إثارة القلاقل والأحقاد وتفجير المكبوت العرقي والمذهبي بقدر ما فيه من بيان للحقائق ودحض للأكاذيب التي يخلقها بعضهم من ناحية، ومن ناحية أخرى بيان أن المطلوب الاندماج والذوبان في البوتقة العامة التي شكلتها الصفة الغالبة للدولة سواء كانت دين أو عرق أو غيرها من المكونات والاختلافات، فلكل دولة أغلبية وأقلية فهذه مسألة معروفة في شرق البلاد وغربها، وغالب العائلات الكويتية من نجد وأهل سُنَّة فمن الطبيعي أن تكون لغة الأغلبية هي السائدة ثقافياً ودينياً وليس في ذلك تعصب كما يتهمنا غيرنا، وفي المقابل لا يعني ذلك أن الآخرين ليس لهم حقوق.

والعوائل التي من أصول نجدية هم غالب أهل الكويت كما ذكر الشيخ عبدالعزيز الرشيد ولعبوا دوراً ثقافياً واجتماعياً مؤثراً سواء كانوا علماء أو أدباء أو محسنون. انظر لكتاب: محسنون من بلدي للدكتور عبدالمحسن الخرافي، وانظر: علماء الكويت خلال ثلاثة قرون لعبدان الرومي، ستجد غالبهم من أصول نجدية.

ومنهم حُكّام البلد وبعض البيوتات المعروفة والبادية المتحضرة، وأما الأحناف فيُعدون على الأصابع.

وتنقسم الشيعة إلى ثلاث فرق: أصولية، وأخبارية، وشيخية^(١).

وقد ذكر المؤرخ واللغوي انستانس الكرمللي في مجلة الشرق سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) «(عدد سكان الكويت وما يتعلق بأهلها) بلغ سكانها حالاً ٢٠٠٧٥ نسمة معظمهم المسلمون من مذهب السُّنة ٢٠٠٠٠، ثم اليهود، ثم العجم على مذهب الشيعة ١٣، ثم النصارى»^(٢).

وذكر جيمس مور الوكيل السياسي البريطاني في الكويت عام ١٩٢٧م أنّ معظم سكان الكويت من أصل نجدية.

فإذا أردنا أن نضع خارطة مذهبية للكويت منذ بداية نشأتها إلى قبل الدولة الحديثة باعتبار أهل السُّنة فهي كالتالي:

أ- المذهب الحنفي:

يُعدون بالأصابع كما وصفهم الرشيد، ولم يُعرف لهم أعلام في الكويت.

ب- المذهب المالكي:

وهو مذهب وصل إلى الإحساء في زمن الدولة الجبرية في القرن السادس عشر الميلادي^(٣).

(١) تاريخ الكويت (ص: ٧٤).

(٢) مجلة الشرق العدد ١٠، ١٥ ايار سنة ١٩٠٤.

(٣) خالد عزام الخالدي، وإيمان خالد الخالدي، السلطنة الجبرية، ط١، بيروت، الدار العربية للموسوعات ٢٠١١م، (ص: ١٧٨، ١٨٣) عبد الوهاب راشد الهارون (ص: ٣٦) من رسالة الكويت، مجلة دورية تصدر من مركز البحوث والدراسات، عنوان المقال: ملامح تاريخية للعلاقات بين الكويت والإحساء في العصر الحديث.

ومن أشهر أتباعه في الكويت:

١- الشيخ مسيعيد بن أحمد بن مساعد بن سالم نزيل فيلكا الذي وجدت له مخطوطه لموطأ الإمام مالك^(١).

٢- الشيخ عثمان بن سند (١٧٦٦-١٨٢٦) المولود في فيلكا.

ب- المذهب الشافعي:

وهو مذهب موجود في بلاد البحرين منذ القرن الثالث عشر، وله بعض المدارس في الإحساء^(٢).

ومن أشهر أتباعه في الكويت:

١- القضاة العداسنة.

٢- الشيخ يوسف بن عيسى القناعي^(٣).

ج- المذهب الحنبلي^(٤):

(١) نشرها مصوره مركز البحوث والدراسات الكويتية باعثناء الشيخ / محمد بن ناصر العجمي ١٩٩٧ م.

(٢) فيصل الوزان بلاد البحرين في فترة الإماراتين العيونية والعقيلية (ص: ٢٨١) عبدالوهاب راشد الهارون (ص: ٣٦) من رسالة الكويت، عنوان المقال: ملامح تاريخية للعلاقات بين الكويت والإحساء في العصر الحديث.

(٣) يوسف بن عيسى القناعي: ولد في الكويت عام ١٢٩٦ هـ، ١٨٧٨ م، وهو من تلاميذ الشيخ عبدالله الدحيان ورحل إلى الإحساء والحجاز ودرس على الشيخ والمحدث السلفي شعيب الدكالي وكان من المتأثرين به وهو أول قاضي للتمييز في الكويت وكان معلماً في المدرسة المباركية والأحمدية ونائباً لرئيس المجلس التشريعي وعين عضواً في مجلس المعارف وشارك في تأسيس المدارس النظامية وتقلد العديد من المناصب وله العديد من المساهمات النافعة في المجتمع الكويتي وتوفي ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣ م. انظر للمزيد علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون ٤٥٥ ص

(٤) وهذه أولى علامات التقارب الثقافي، والأصل من كان حنبلياً في الفروع كان حنبلياً في الأصول، وقد مثلت المدرسة الإصلاحية للإمام محمد بن عبدالوهاب امتداداً لمدرسة الإمام أحمد بن حنبل، فكان من الناحية المذهبية دور في انتشارها.

«هو مذهب أهل نجد، إلا أنه يصعب تحديد أول انتشار له في نجد؛ لأن نجد لم تكن مطمعاً سياسياً للخلافات والدويلات الإسلامية؛ لذا لم يهتم المؤرخون كثيراً في تدوين تاريخها بدقة، إلا بعد قيام دعوة المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب، فيصعب تحديد دقيق لتاريخ دخول المذهب إلى نجد، لكن من المؤكد وجود المذهب في تاريخ متقدم؛ للاتصال التجاري والاجتماعي بين نجد ومعقل الحنابلة الأول العراق، ويؤكد ذلك وجود وثائق لوصايا وأوقاف قديمة مكتوبة وفق المذهب الحنبلي، وأقدم شخصية نجدية حنبلية هي للعالم الفقيه ولي الدين ابن رضوان النجدي (ت بعد ٦٣٥).

ولا نعلم شيوخه الحنابلة هل هم من نجد أو من العراق لأنه قديم من البصرة، وبعده وُجِدَتْ عدة شخصيات حنبلية نجدية منها: ابن صبيح، بسام بن منيف وعبدالله بن شفيق أخوه علي، وفضل بن عيسى، وقاسم النجدي، وغالب فقهاء نجد من أشيقر، وقوة المذهب الحنبلي النجدي ظهرت في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر وما بعده»^(١).

وقد ذكر المؤرخ عبدالله العثيمين سبب انتشار المذهب الحنبلي في نجد، هو سبب نفسي؛ إذ إن طبيعة المجتمع كانت ذات قابلية لهذا المذهب، مما دفعهم للانتماء إليه، إذ يقول:

«على أن الطريقة التي دخل بها المذهب الحنبلي إلى نجد ليست واضحة كل الوضوح، ولعل هذه المنطقة كانت من الأماكن التي قدم إليها بعض علماء الحنابلة الذين لم تلائمهم ظروف الحياة العامة في العواصم الإسلامية الكبرى، فوضعوا نواة المذهب الحنبلي هنا. ومن المحتمل أيضاً أن أحد النجديين - أو فريقاً منهم - درس على عالم حنبلي خارج نجد، ثم بدأ يُدرِّس هذا المذهب بعد عودته إلى وطنه.

(١) بتصرف من كتاب حنابلة نجد دراسة علمية تاريخية، عبدالله الشمراني.

ولم يكن غريباً أن يجد المذهب الحنبلي أرضاً خصبة في نجد، ذلك أنه أقرب المذاهب إلى ظاهر نصوص القرآن والسنة، وهو بهذه الصفة يمثل البساطة إلى حد ما، والبساطة من الأمور المحببة إلى نفسية الفرد النجدي الذي كان أقل إخوته من عرب الجزيرة تأثراً بالخارج، والنجدي كان يُعجب بمن يصمد في سبيل ما يؤمن به، وربما كان لصدود بعض الحنابلة: مثل إمامهم أحمد بن حنبل والشيخ ابن تيمية، أثر في إعجاب النجديين بهم وحبهم لمذهبهم^(١).

وهو من أكثر المذاهب انتشاراً في الكويت ومن أشهر أعلامه:

١- الشيخ محمد بن عبد الوهاب ابن فيروز قاضي الكويت الأول.

٢- الشيخ محمد بن عبدالله الفارس^(٢).

٣- عبدالله بن خلف بن دحيان^(٣).

٤- عبدالعزيز الرشيد.

٥- محمد ابن جراح، وغيرهم كثير.

* * *

(١) عبدالله العثيمين، تاريخ الدولة السعودية، (ص: ٥٦).

(٢) وأسرة الفارس أسرة علمية معروفة، قال الأديب إبراهيم سليمان الجراح أخ الشيخ محمد بن جراح الحنبلي: «إن علماء أسرة آل فارس هم الذين نشروا ودرّسوا المذهب الحنبلي بالكويت». كتاب علماء آل فارس (ص: ٣٥).

(٣) الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان الحربي نسباً الحنبلي مذهباً السلفي إعتقاداً ولد عام ١٢٩٦ هـ، الموافق ١٨٧٥ م، وكان من زعماء الإصلاح ومن أجل علماء الكويت وقضاتها وأقطاب نهضتها، وله العديد من المساهمات الخيرية في المجتمع الكويتي، وتوفي في شهر رمضان من عام ١٣٤٩ هـ، الموافق ١٩٣١ م، عاش ستة وخمسين عاماً قضاهما في خدمة العلم وإرشاد الناس. انظر ص ١٥٣ علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون، عدنان سالم الرومي، وانظر الملحق ترجمة الشيخ عبدالله بن بسام له في نهاية هذا الكتاب.

المذهب الرسمي للدولة:

في ظل التنوع المذهبي التي عاشته الكويت منذ بداية تأسيسها يصعب تحديد مذهب رسمي للدولة، لكن يمكننا القول إن نظرنا باعتبار الاغلبية^(١) وباعتبار أول قاضي في بداية تأسيسها^(٢) وإلى تاريخ قبيلة العتوب فهم حنابلة، أما حكام الكويت فقد اختاروا المذهب المالكي لحاجة الدولة الحديثة لذلك وبيان ذلك فيما يلي :

أ - لا تعارض بين المذاهب الفقهية في أصول العقائد، إنما هي مذاهب في الفروع؛ ولذا نجد الشيخ أحمد الشرباصي حين زار الكويت في الخمسينيات وصفها قائلاً: «الكويت إمارة عربية إسلامية، جميع أهلها مسلمون، وأغلبهم سنيون سلفيون».

ب- العتوب والذين منهم أسرة آل الصباح حنابلة المذهب ولم يكونوا مالكية كما هو مشاع، بدليل ما ذكرته الوثيقة العثمانية التي تُعد أقدم المصادر التاريخية في ذكر العتوب وهجرتهم قبل نحو ٣٠٠ سنة، فذكرت هذه الوثيقة أنهم حنابلة^(٣).

ج - نجد أن حكام الكويت قد ولّوا عن اختيار منهم قضاة من مختلف المذاهب، ولم يفرضوا مذهباً معيناً على الشعب.

لكن مع ذلك؛ نجد حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح (ت ١٣٣٤ - ١٩١٤) يسأل إمام الحنابلة في الكويت العلامة محمد بن عبدالله الفارس (ت ١٣٢٩ - ١٩٠٩) فأجابه الأخير حين طلب رأيه حاكم الكويت الشيخ

(١) لقد أحصيت العلماء والشخصيات التي ذكرها الباحث عدنان سالم الرومي في كتابه علماء الكويت في ثلاثة قرون فوجدت أكثرهم حنابلة، وكذلك الشخصيات الكويتية التي ترجم لها الشيخ عبدالله البسام في كتابه علماء نجد في ثمانية قرون غالبهم من الحنابلة.

(٢) ابن فيروز سبقت ترجمته وقد مات في الكويت ١٧٢٢م، ثم ولي القضاء تلميذه أحمد عبدالجليل الحنبلي أيضاً.

(٣) مجلة البروة العدد الأول (ص: ١٩).

مبارك في حكم صيام الثلاثين من شعبان إذا حال دون الهلال غيم أو قتر
فيجيب الشيخ محمد الفارس (١) (٢):

«جناب الأشم الشيخ مبارك الصباح المحترم.

أدام الله له الأمن والأمان، وجعله مباركاً أينما كان آمين، السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته وبعد، أدام الله وجودك، فالذي نعرّف به جنابك لا عرفه
إلا بخير بأن الحنابلة في مذهبهم واجب عليهم إذا كان ليلة الثلاثين من
شعبان، وحال دون مطلع الهلال غيم أو قتر؛ أن يصوموا يوم الثلاثين، فالذي
ما يصوم ذلك اليوم منهم يأثم، ويكون مخالفاً للمذهب، والكويت صارت
منذ نشأتها - الله يعمرها بالإسلام وصاحبها - فيها أئمة المذاهب الثلاثة:
شافعية ومالكية وحنبلية، والكل لازم أحكام مذهبه، ولا نعرض أحد منهم
على أحد لكونهم عارفين فضل المذاهب وأهلها، ومتبعين، وجنابك - إن
شاء الله - ممن يعرف ويتبعه، ودم سالم.

(١) محمد عبدالله الفارس الحنبلي مذهباً السلفي إعتقاداً: ولد ١٢٣٥ هـ - ١٨٢٠ م في روضة
السدير، حفظ القرآن عندما بلغ السن التمييز على يد الشيخ عبدالعزيز بن دامغ، رحل
إلى الكويت مع إخوانه عثمان وعبدالمحسن وعبدالعزیز وابراهيم ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م)
وبعدما إستقر فیا سافر لطلب العلم إلى الزبير ودرس على يد الشيخ عبدالله بن جميعان
الذي كان قاضياً للزبير ثم رحل إلى الاحساء ومكة والمدينة وتلمذ على يد الكثيرين
هناك، وهو العالم الكويتي الوحيد الذي أم المصلين في المدينة مدة شهر كاملاً، ولما
رجع إلى الكويت أخذ يدعو ويُدّرس وتلمذ على يدي الكثير من الطلاب على رأسهم
الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان، ولم يقتصر جهده في الجانب العلمي فقط بل ساهم في
إصلاح المساجد وقام ببناء مسجد في المباركية الذي لا يزال يحمل اسمه وأم الناس في هذا
المسجد قرابة ستين عاماً ثم تولى إمامة المسجد أحفاده من بعده وكانوا أهل صلاح وديانة.
توفي عام ١٣٢٦ هـ، ١٩٠٨ م عن عمر يناهز ٩١ عاماً. علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة
قرون ص ٩٧

(٢) علماء آل فارس (ص: ٥٥، ٥٦).

الفقير إلى الله تعالى، محمد بن عبد الله بن فارس».

د- اكتسب المذهب المالكي الصفة الرسمية كمصدر وعنصر ترجيح في القانون الكويتي، بعد أن صارت هناك حاجة إلى تطوير النظام القضائي لمواكبة تطور الحياة الحديثة، وهو في جانب محدد في إطار القانون، وحتى نوضح للقارئ أكثر سنقسم دور الفقه الإسلامي كمصدر رسمي في القضاء الكويتي إلى مرحلتين:

أ- مرحلة ما قبل التقنين:

في هذه المرحلة لم تشهد الكويت مرحلة التقنين - نصوص قانونية مكتوبة - وهي من بداية تأسيسها إلى عام ١٩٣٨ م، كان القضاء كل يحكم بمذهبه ولم يكونوا ملزومين بمذهب معين.

ومن أشهر الخلافات الفقهية والمذهبية التي حصلت في تاريخ الكويت:

القصة التي حصلت بين الشيخ علي بن شارخ والشيخ محمد صالح العدساني أثر خلاف وقع بينهما حول صيام يوم الثلاثين من شعبان، حيث غمّ الهلال، فأفتى الشيخ علي -الحنبلي المذهب- بوجوب الصوم، وخالفه الشيخ محمد صالح العدساني الشافعي المذهب الذي يرى عدم جواز الصيام إلا بالرؤية أو إكمال شعبان ثلاثين يومًا، كما جاء في الحديث: «صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا». وقد تفاقم الخلاف حتى رفع القاضي محمد صالح العدساني الأمر إلى الحاكم الشيخ عبدالله بن صباح الأول، وقال له: إنه لا يطبق الصبر على مثل هذا الخلاف، ولمّا لم يصغ الشيخ عبدالله لشكواه اعتزل القضاء من يومه^(١).

(١) عدنان سالم الرومي، علماء الكويت في ثلاثة قرون (ص: ١٨).

ب - مرحلة ما بعد التقنين:

وهذه المرحلة بدأت عام ١٩٣٨ م حين أصبحت الكويت بحاجة إلى تأسيس محاكم نظامية، ونصوص قانونية مكتوبة، وفيها تم تطبيق مجلة الأحكام العدلية^(١)، فما لم يوجد فمذهب الإمام مالك، كما تقدم من كلام الشيخ عبدالله الجابر الصباح^(٢).

(وفي عام ١٩٥٩ صدرت عدة قوانين في مختلف المجالات، بدءاً من القانون البحري، وتبعه قانون تنظيم القضاء، وقوانين المرافعات المدنية والتجارية، وقانون الجزاء، وقانون التجارة وغيرها)^(٣).

(لكن لم يشمل التقنين أهم فروع القانون - ألا وهو القانون المدني -

(١) مجلة الأحكام العدلية هي بمثابة أول قانون مدني عام مستخرج من الفقه الحنفي، انظر مصطفى الزرقا كتاب المدخل الفقهي ١/٢٢٦.

وقد أخذت المجلة بعض الأقوال المرجوحة في المذهب الحنفي، وذلك للمصلحة الزمنية التي اقتضتها الحاجة في ذلك الوقت. انظر عمر سيلمان الأشقر كتاب تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٩٣.

وقد فصلت أحكامها على شكل مواد ذات أرقام متسلسلة كالقوانين الحديثة ليسهل الرجوع إليها، انظر مصطفى الزرقا، المدخل الفقهي العام ١/٢٢٦.

(٢) انظر ص ١٥.

قلتُ وقد يرجع سبب اختياره لمذهب الإمام مالك إلى اهتمام القانونيين في تلك الفترة - وهي مرحلة التقنين ومواكبة الدول الحديثة - إلى مذهبي الإمام أبو حنيفة والإمام مالك، إذ كانوا أكثر المذاهب خدمة بما يتناسب تطور الدول الحديثة التي اتجهت للتقنين، وفي ذلك يقول عالم الأزهر سيد عبدالله علي حسين في كتابه «المقارنات التشريعية» وفيه عقد مقارنة بين فقه القانون الفرنسي ومذهب الإمام مالك فيذكر في مقدمته:

(فترجمة فقه القانون المدني الفرنسي، وقارنت أصوله وقواعده بما يوافق أو يخالف ذلك من مذهب الإمام مالك، فكان ذلك دليلاً على ما ادعيت أن القانون المدني الفرنسي وهو أصل القوانين الوضعية مأخوذ من مذهب الإمام مالك بن أنس).

(٣) أحمد العطيفي، الأعمال التحضيرية ١/١١.

لذلك لم يكن للكويت قبل ٢٥ فبراير ١٩٨١م قانون مدني متكامل يجمع شتات الموضوعات التي يختص بها، فكانت مجلة الأحكام العدلية هي المطبقة في الدولة، باعتبارها القانون المدني لها^(١).

وبعد ذلك أخذت تُصدر قوانين أخرى لعدم كفاية مجلة الأحكام العدلية وغيرها من قوانين مكتوبة؛ لمواكبة تطور الحياة الحديثة، ومن هذه القوانين:

أ - قانون الأحوال الشخصية:

صدر هذا القانون في عام ١٩٨٤م، وهو قانون مُلَقَّ من جميع مذاهب أهل السنة، ويُعد مذهب الإمام مالك هو عنصر الترجيح لفُضِّ النزاع عند التعارض بين مواد هذا القانون.

تنص المادة (٣٤٣) (كل ما لم يرد له حُكم في هذا القانون يُرجع فيه إلى المشهور في مذهب الإمام مالك، فإن لم يُوجد المشهور طُبِّق غيره، فإن لم يوجد حكم أصلاً، طُبِّقت المبادئ العامة في المذهب).

ب - القانون المدني الكويتي:

صدر هذا القانون في عام ١٩٨١م، وألغى العمل بمجلة الأحكام العدلية، وتنص المادة الأولى منه:

(١ - تسري النصوص التشريعية على المسائل التي تتناولها هذه النصوص بمنطوقها أو بمفهومها.

٢ - فإن لم يوجد نص تشريعي حَكَمَ القاضي وفقاً لأحكام الفقه الإسلامي الأكثر اتفاقاً مع واقع البلاد ومصالحها، فإن لم يُوجد حُكْمَ بمقتضى العرف). وفي هذا القانون تُلحظ عدم تقييد القاضي بمذهب معين، إنما أطلق بقوله أحكام الفقه الإسلامي.

ج - القانون التجاري: وهو لا يتوافق مع الشريعة الإسلامية.

(١) إبراهيم الدسوقي أبو الليل، نظرية القانون ٧٨/١.

د - قانون الجزاء (العقوبات)

وقد تضمنت المذكرة الإيضاحية لهذا القانون بياناً لموقفها من تطبيق أحكام الفقه الإسلامي، إذ ليس هناك تعارض بينهما، فالشرع فتح باب التعزير واسعاً أمام القاضي، وصرحت بإقرارها بالإعراض عن تطبيق الحدود، فتقول:

(وليس هناك أي تعارض بين قانون الجزاء الذي يصدر اليوم في الكويت، وأحكام الفقه الإسلامي التي كان معمولاً بها قبل صدور هذا القانون لا في الجملة ولا في التفصيل، وذلك أن الفقه الإسلامي في ما عدا الحدود فتح باب التعزير واسعاً للقاضي، ويدخل منه إلى تحديد الأعمال المعاقب عليها وإلى تقدير العقوبة في كل عمل، فإذا جاء ولي الأمر ورسم القاضي حدوداً واضحة لهذه الأعمال، وتقديرًا مرتناً لهذه العقوبات، فإنه لا يخرج على المبادئ المسلّم بها في الفقه الإسلامي، ويكون هذا من باب تخصيص القضاء، والقضاء يتخصص بالمكان والزمان كما هو معروف عند الفقهاء).

تُلاحظ أخي القارئ أنّ الفقه الإسلامي لم ينفصل عن هذا التقنين منذ بدايته إلى يوم الناس هذا، وكان له دور ظاهر في بعض التشريعات؛ لذلك تجده بارزاً في بعض القوانين، ويضعف ويتضاءل في بعضها الآخر، ولو تتبعنا أثر المذهب المالكي على القانون الكويتي لوجدنا أنّ قليلاً من الأحكام والقوانين تتفق مع هذا المذهب، أمّا أكثر الأحكام والقوانين تجد مصدرها من أحكام الشريعة الإسلامية - بمختلف مذاهبها السنية -، وقد بذل الفقهاء بذلاً وجهداً في تنزيل أحكام الشريعة مع تحديات الواقع، وقد ساهم معهم القانونيون في صياغة هذه القوانين الوضعية بما يراعي الأحكام الشرعية، وتحقيق مصالح الأفراد والمجتمعات، فكانت نتيجة هذه الاجتهادات ظهور أوجه تقارب وأوجه من الاختلافات بين أحكام الفقه الإسلامي وبين بعض القوانين الوضعية^(١).

(١) وقد قامت لجنة إستكمال تطبيق الشريعة بمراجعة كل القوانين في الكويت وإعادة صياغتها لما يتوافق مع الشريعة الإسلامية ..

الشيعة

يتحدث د. المديرس عن عدد الشيعة في الكويت، ومدارسهم المذهبية، ويُشير إلى أن عددهم الحقيقي غير معروف، لكنَّ المُقيم السياسي البريطاني في الثلاثينيات قدَّر عددهم ١٨ ألف نسمة من أصل عدد سكان الكويت البالغ ٦٥٠٠٠، بما فيهم الفوادرة الذين بلغ عددهم ١٠٠٠، وهم كويتيون سُنَّة من أصول إيرانية، ولا يوجد إحصاء رسمي لعدد الشيعة، لكنَّ بعضهم يُقدَّر نسبتهم بالنسبة لسكان الكويت تتراوح ما بين ١٥ إلى ٢٥٪^(١).

وينقسم الشيعة في الكويت على أساس عِرْقِي إلى:

١- شيعة من أصل عربي، وينحدرون أساسًا من المنطقة الشرقية من السعودية، ويُطلق عليهم اسم «الحساوية» نسبة إلى منطقة الإحساء، إضافة إلى أن عددًا منهم قَدِمَ إلى الكويت من البحرين، ويُسمون «البحارنة»، وجنوب العراق.

٢- شيعة من أصل إيراني، يُطلق عليهم اسم «العجم» ويُشكّلون نسبة كبيرة من شيعة الكويت، وقد توالى هجرة هذه الجماعات منذ القرن التاسع عشر^(٢)، وقد شجّع الاستعمار البريطاني آنذاك هذا النوع من الهجرة لأسباب سياسية واقتصادية^(٣).

ينقسم شيعة الكويت - بحسب رأي د. فلاح المديرس - إلى أربع مدارس

مذهبية:

(١) فلاح عبدالله المديرس، الحركة الشيعية في الكويت، دار قرطاس للنشر، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م (ص: ٦).

(٢) قاوم الكويتيون الهجرة الإيرانية مقاومة شديدة حفاظًا على هوية الكويت وعروبته حتى أشادت بعض الصحف بذلك، منها ما ورد في صوت البحرين العدد ١٠ شوال ١٣٧٢ هجري السنة الثالثة) مطالبة حكومة البحرين أن تقتدي بالكويت في ذلك.

(٣) فلاح عبدالله المديرس، الحركة الشيعية في الكويت، (ص: ٦-٧).

أولاً: الشيخية، ويُطلق عليهم اسم «جماعة الميرزا» وإمامهم الميرزا حسن الإحقاقي، ومعظم مقلدي الميرزا من «الحساوية».

ثانياً: الإخبارية، وهم «البحارنة» من مقلدي ميرزا إبراهيم جمال الدين، الذي يُعد إمام الشيعة البحارنة.

ثالثاً: الأصولية، وتنتشر هذه المدرسة بين شيعة العراق وإيران ولبنان. وهذا وهم من المؤلف حيث إنَّ الأصولية هي التيار العام للشيعة الإثني عشرية مقابل الإخبارية.

رابعاً: الخوئية، وهم بقية شيعة الكويت من أصول إيرانية، من المقلدين للمرجع الشيعي أبي الحسن الخوئي، الذي كان يعيش في النجف. والحقيقة أنهم من التيار الأصولي، وقد فات المؤلف الإشارة لتيار مرجعية الشيرازي وهم المنافسون للخوئية^(١).

لقد كان للوضع الاقتصادي في الكويت دور هام في تقليص الفجوة بين الشيعة والسنة من الناحية الاجتماعية والثقافية، حيث استفاد الشيعة من توزيع الثروة النفطية. ففي بداية الخمسينيات شهدت الكويت عملية استثمارات ضخمة ساعدت على تحسين المستوى الاقتصادي للمواطنين الكويتيين، الأمر الذي وفر المجال للشيعة أن يعملوا في المجال الاقتصادي؛ حتى أصبحت بعض العائلات الشيعية من كبار الفئة التجارية في الكويت، كما أتاحت التغييرات الاقتصادية - الاجتماعية التي شهدتها الكويت في تلك الفترة المجال بأن يتولى أبناء الشيعة مناصب قيادية هامة في الدولة، وكذلك ساهم تطور التعليم في الكويت والذي استفاد منه الشيعة والسنة على حد سواء، حيث ضمنت الدولة مجانية التعليم في جميع المراحل الدراسية^(٢).

(١) فلاح عبدالله المديرس، الحركة الشيعية في الكويت، (ص: ٧-٨).

(٢) فلاح عبدالله المديرس، الحركة الشيعية في الكويت، (ص: ٩).

الوضع السياسي للشيعة:

يُعتبر الشيعة في الكويت أقلية مقارنةً مع الأغلبية السنية؛ لذلك لم يكن لهم دور بارز أو مؤثر في بدايات نشأة الكويت، فلم يُشارك منهم أحد في مجلس الشيوخ أو الشورى أول مجلس في الكويت عام ١٩٢١م^(١)، ولا المجلس التشريعي، وتكشف أحداث المجلس التشريعي الأول سنة ١٩٣٨م عن تجاهل متعمد لهذه الأقلية:

«شهد المجتمع الكويتي أول محاولة إصلاح سياسي قام بها أعضاء الكتلة الوطنية من ذوي الاتجاه القومي العربي، وقد تبنت الكتلة الوطنية مواقف متشددة من الهجرة الإيرانية إلى الكويت، كما يتبين من البرنامج الإصلاحي الذي نُشر في صحيفة الزمان العراقية، والذي تضمن عدّة مطالب تتعلق بالإصلاح السياسي للأوضاع الداخلية للكويت، وكان من بين هذه المطالب: التصدي للهجرة الأجنبية في الكويت، إذ سمّي برنامج الكتلة الوطنية المهاجرين اللاجئين الذين لا تربطهم أية علاقات مع الوطن الكويت، ويبدو أن المقصود بذلك الكويتيون من أصول إيرانية، بدليل أنّ الكتلة الوطنية استبعدت الشيعة من الترشيح للمجلس التشريعي الذي أسس عام ١٩٣٨م، والذين اقتصر حقهم على التصويت دون الترشيح، وقد اعتبر الشيعة هذا الموقف تحيزاً، وأعلنوا عدم رضاهم على هذا التوجه، وتداعوا إلى عقد اجتماع احتجاجي في الحسينية بقيادة إمام الشيعة في الكويت آنذاك السيد مهدي القزويني، وطرحَتْ في هذا الاجتماع فكرة القيام بمظاهرات وإعلان

(١) يُعتبر مجلس الشورى نقطة البداية للمشاركة السياسية في الكويت، وكان سبب عدم مشاركتهم فيه ما ذكره عدد من المؤرخين أنهم حين عبروا عن عدم استعدادهم للمشاركة في معركة الجهراء وأنهم ليسوا مواطنين كويتيين بل إيرانيون وطالبوا بالجنسية الانجليزية. قال المؤرخ سيف مرزوق الشمالان: «وذهب العجم للمعتمد البريطاني الكولونيل مور طالبين منه الحماية وأنهم ليسوا عرباً بل أنهم إيرانيون».

الإضراب، ولكن المجتمعين توصلوا إلى إرسال كتاب احتجاجي باسم السيد مهدي القزويني إلى المجلس التشريعي يتضمن مطالب الشيعة الآتية:

١- رفض استبعاد الشيعة عن عضوية المجلس التشريعي، وأن يكون لهم ممثلون في هذا المجلس.

٢- فتح مدرسة خاصة لأبناء الشيعة.

٣- أن تكون لهم محكمة خاصة للشيعة.

٤- أن يكون لهم ممثلون في المجلس البلدي.

٥- أن تكون هناك عدالة في سياسة التوظيف في الأجهزة الحكومية.

بعد اطلاع المجلس التشريعي على المطالب التي رفعها الشيعة، قرر المجلس رفض جميع هذه المطالب، وعلى أثر ذلك تقدم عدد كبير من الشيعة المنحدرين من أصول إيرانية، إلى المقيم السياسي البريطاني في الكويت بطلب منحهم الجنسية الإنجليزية والذي اعتبره المجلس التشريعي تحدياً لهيبة المجلس؛ مما أدى إلى أن يُصدر المجلس التشريعي قراراً بإبعاد كل كويتي يتجنس بجنسية أجنبية، وأن يُغادر الكويت خلال شهرين مع حرمانه من كافة حقوقه، وتم توزيع هذا القرار في جميع نواحي الكويت^(١).

ولم يكن السبب في استبعادهم عن المشهد السياسي مجرد للاختلاف المذهبي العرقي، فقد رجّح مجموعة من المؤرخين، منهم عبدالله الحاتم ود. فلاح المديرس أن سبب استبعادهم هو عدم مشاركتهم في حرب الجهراء في عام ١٩٢٠م؛ للدفاع عن الكويت، ومطالبتهم بالجنسية الأجنبية.

اتجه الشيعة بعد ذلك للتّحالف مع خصوم أعضاء المجلس^(٢)، ولمّا قامت

(١) فلاح المديرس، الحركة الشيعة في الكويت، (ص: ١٢-١٣).

(٢) وكان من نتيجة تحالف الشيعة مع الحكومة عام ١٩٣٨ السماح بأول مدرسة إيرانية جُلبت مناهجها من إيران.

أول مظاهرة صاخبة في تاريخ الكويت مطالبة بإسقاط المجلس التشريعي^(١) في ١٩٣٨، «انضمت الأقلية الشيعية لقوى هذه المعارضة لتوجه المجلس، التي هي عبارة عن (شيوخ من الأسرة الحاكمة، والإنجليز، ومجموعة من العائلات السنية) فشكّلوا هؤلاء مجتمعين قوى أدت في النهاية إلى إسقاط أول محاولة إصلاح سياسي عرفته الكويت»^(٢).

وفي ذلك يقول عبدالله الحاتم^(٣): «هذه المظاهرة الغوغائية، قام بها ليفيف من حُثالة هذا البلد، وإنَّ الناظِرَ لهذه المظاهرة لا يرى من بين أفرادها سوى المتردية والتطيحة وما أكل السَّبُع، ممن لا تربطهم بأبناء هذا البلد: أمراء كانوا أوعية، أية رابطة!!

وما حرب الجهرا عنّا ببعيد حينما جدَّ الجد، ودقت نواقيس الخطر مُعلنة ساعة الصفر، وهرعوا إلى دار المعتمد البريطاني مُحتمِّين به، وليقولوا له: إننا لسنا كويتيين ولا علاقة لنا بهذه الحرب إنَّما نحن إيرانيون!، وخرج أبناء هذا البلد الحقيقيون وحدهم لمقارعة العدو الزَّاحف، وقد أبلوا في سبيل رده عن البلاد البلاء الحسن، وضربوا في تلك المعركة أروع الأمثال.

هؤلاء الذين دافعوا عنهم بالأمس القريب دفاعهم عن أطفالهم ونسائهم، يتظاهرون ضدّهم اليوم!!، ونحن في هذا البحث لا نقصد نبش الماضي وإعادة ذكراه، وإنما كما قيل (الشَّيْءُ بِالشَّيْءٍ يُدْكَرُ).. وعلى العكس من ذلك ما وقفه فريق من أهل نجد، وهم ليسوا من أهل الكويت، ولكن عزَّ عليهم أن يروا إخوة لهم في الدِّمِّ واللحم يذهبون إلى ساحة المعركة دون أن يكون لهم

(١) كان من قرارات المجلس التشريعي توقيف الهجرة الإيرانية غير المشروعة، الذي دفع الشيعة إلى الاعتقاد بأن هذا القرار يستهدفهم بالدرجة الأولى كما روجت ذلك فيما بعد جمعية الثقافة - الشيعية - التي أنشأت بعد الاستقلال.

(٢) فلاح المدريس، الحركة الشيعية في الكويت، (ص: ١٤).

(٣) عبدالله الحاتم، من هنا بدأت الكويت، (ص: ٥٩).

نصيب في الدفاع عن البلدة، فستان بين هؤلاء وأولئك!!».

وقد كان لتهميش الأقلية الشيعية عن القرار السياسية في تلك الحقبة اعتبارات كثيرة، بالأخص في ظل وجود هذه المواقف السلبية، إلا أننا لسنا في محل استدعي تفصيلها^(١).

وقد شهدت فترة ما بعد الاستقلال سنة ١٩٦١ ظهوراً علنياً للتنظيم الديني والسياسي للشيعية، مستفيدة من الانفراج الذي انتهجه حاكم الكويت الشيخ عبد الله السالم^(٢).

موقف علماء الكويت من الشيعة:

الخلاف بين السنة والشيعة خلاف قديم وسيستمر؛ لأنه خلاف في أصول العقيدة، وكذلك الدعوات التي نسمعها للتقارب، وإلغاء الفوارق أو التنازل عن الأصول هذه دعوات ليست واقعية، وهو ما لا يمكن أن يكون؛ لذلك ندع التقارب غير الواقعي إلى الواقعي، وهو الدعوة إلى التعايش السلمي الذي لا بد أن يكون؛ لأن أسوأ ما يهدد المجتمعات هو الاحتقان الطائفي الذي ينتهي إلى الاحتراب والقتال.

وهذا التعايش السلمي الذي أشرنا إليه - معناه أن تكون العلاقة قائمة بين

(١) تنبيه مهم: حظي تاريخ الكويت باهتمام كثير من المؤرخين قديماً وحديثاً ومن المعروف أن إعادة كتابة تاريخ الكويت لا بد أن يكون بطريقة علمية وموضوعية ومن خلال المصادر الأساسية والأولية والمراجع المعتمدة والموثوق بها لكي لا يخرج من قواعد البحث العلمي، وقد حاول بعضهم إدخال بعض القصص والأخبار عن العجم مما لا يُعرف من تاريخ الكويت زاعمين أنه من تاريخ الكويت مستندين إلى مصادر مشكوك بصحتها ومطعون في مصداقيتها وعُرفت بتحاملها وطائفتها أو مصادر حديثة تذكر روايات لمعاصرين ليس لها إسناد ولا زمام، ومن يقف على مثل هذه الأخبار سيجد أنها لم تقم على أسس موضوعية وعلمية وهو كافٍ بإسقاطها وردّها.

(٢) للتوسع انظر: كتاب د. فلاح المدريس، الحركة الشيعية في الكويت.

الطائفتين على السلم لا على الاعتداء واستباحة المال والعرض - هو ما تمثله العلماء المصلحين في دعوتهم.

لكن مما لا بد أن نذكره أن فرق الشيعة يتفاوتون في اختلافهم مع أهل السنة، فهم ليسوا على درجة واحدة كما ذكر الشيخ يوسف بن عيسى القناعي؛ لذلك لما ظهر غلو وتطرف عند بعضهم تصدى لهم العلماء:

أ - موقف عثمان بن سند من دعبل الخزاعي:

ومن أشهر المواقف العقديّة والتاريخية بين أهل السنة وبعض متطرفي الشيعة: وهو ما وقع بين العلامة عثمان بن سند (ت: ١٢٤٢ هجري) وبين دعبل الخزاعي الذي اشتهر بسب الصحابة في ديوانه، فكتب العالم بن سند قصيدة طويلة عبارة عن ألفين بيت دفاعاً عن الصحابة^(١) رضي الله عنهم في كتابه (ديوان الصّارم القرضاب في نحر من سب الأَصْحَاب).

على الناظمِ الملعونِ لعنُ مجدّدٌ	يدوم عليه دونَ من هو قائلُ
على أنّ آسادَ الشرى لا يضرها	نبيحُ كلابٍ خلفها تتعاولُ
كماةٌ همُّ الهاماتُ من ذروة العلا	وهم لعوالي المكرمات العوامل
فأقصرُ عليك اللعنَ إنك قاصرُ	وهل وتدُّ بالقاع للبدْرِ طائل
وهل لبغاتِ الطيرِ نسرُ صقورها	وهل يستوي زُجُّ فخارًا وعامل

(١) ورد في فضل الصحابة الكثير من آي القرآن الكريم، وفي الحث على الاقتداء بهم وتركيتهم، وكذلك ورد في السنة الثناء عليهم وذكر مناقبهم وإعلاء شأنهم ومكاتبهم والتحذير من التعرض لهم، قال ﷺ «لَا تُسْبُوا أَصْحَابِي» فحفظ مقام الصحابة واحترام مكاتبهم والتعظيم من شأنهم واجب على كل مسلم، قال ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِي أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فكيف بصحابة النبي ﷺ، فما أكبره من شرف وأعظمه من ثمن ناله بالدفاع عنهم.

ومن نطقَ الذكرَ الجميلُ بفضلِهِ
وَحَقَّقَ لي فضلَ الصحابةِ أَنهم
ما زالتِ الأشرافُ يعنو بذمِّها الـ
ذممتَ لحالكِ اللهُ أَفضلَ مُنزَلاً
بتصديقهِ جاءَ الكتابُ مُنزَلاً
وفي الغارِ أسرارٌ تدلُّ لفضلِهِ
ولكنه ما شمَّ رائحةَ الحجى
وكم لي من نصٍّ عليه ولم تُفدُ
إذا خفيتُ شمسُ الضحى عن نواظرِ
فضائلٍ لو أن النهارَ اكتفى بها
وملئتَ على الفاروقِ بالهجو ثالباً
تُرى أمَّ كلثومٍ تزوجَ جائراً
أزوجَها كرهاً عليٌّ تقولُ أو
وإن قلتَ كرهاً قلتُ هذا هو الخنا
ولكنه قد زوجَ الخودَ طائعاً
فأكرمُ به من فيصلُ ذي فضائلٍ
ومن وافقَ القرآنَ عادلاً حكمِهِ
وحسبُك ما أوردتَ في ذمِّ قانتِ

فكلُّ هجاءٍ في مزياءِ باطل
رَمَتهم بأنواعِ الهجاءِ الأراذل
خِساسٌ ويُعنى في ثناها الأفاضل
غذته بدرُّ المكرماتِ العقائل
وحسبُك تصديقٌ به الوحيُّ نازل
على غيره لو أن ذا القدمِ عاقل
ولا هو إذ لا يدركُ السرَّ سائل
نُصوصٌ ولا توفيقٌ للفكرِ صاقل
فقل لعتيقِ الوجهِ تخفى الفضائل
عن الشمسِ لم تُشعلْ لليلِ قنادل
كأنك ما تدري الذي أنت نائل
جهلتَ وما يهدى إلى الحقِّ جاهل
مُطيعاً فإن هذا ثقلٌ فهو فاصل
أيكره من يخشاه عَضْبٌ وذابل
ففاز بها ذاك الهمامُ الحُلاحل
هي الزُّهرُ لولا أن هاتي أوافل
فما هو إلا عن ذوي الرِفْضِ عادل
على فضلِهِ المشهورِ جاءت دلائل

فمنهنَّ تزويجُ ابنتي خيرٍ مرسلٍ
ألا بُعلاةَ الرفضِ تُمكنُ فرصةً
بكلِّ همامٍ من أولي الحقِّ ضيغمٍ
فناجينه هأمُ الكماةِ وخمره
لأنصرَ صحبَ المصطفى بعد موتهم
إليكم ذوي الأقدارِ من صحبِ أحمدٍ
نضوتُ طبأها من مَعامِدِ فكرتي
فهذا فؤادي صاقلٌ لحدودها
عليكم من الرحمن ما ذرَّ شارقُ
هَبُوا الطَّرْفَ من عثمانَ غرَّ محاسنٍ
وحسبُك فضلٌ لا يُدانيه فاضلٌ
فأعلمهم واللَّهِ كيف أُقاتل
إذا انجرَّ من حربِ عوانٍ كلاكُل
نجيعُ المواضي واللِّباسُ القساطل
فنصرهمُ فرضٌ به اللُّهُ قائل
خريدةً فكرٍ بالثنا تترافل
فجُزْتُ بها للباغضين المقاول
وهذا لساني ينتضي ويُقاتل
سلامٌ به وصفُ المودَّةِ كامل
بلاؤها طَرْفُ الشريعةِ كاحل

ب- موقف عبدالعزيز الرشيد من مهدي القزويني:

ولمَّا تعرض المهدي القزويني للصَّحابة وعلماء أهل السُّنَّة منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، انبرى له الشَّيخ عبدالعزيز الرشيد، وكتب عدة مقالات متفرقة في مجلة الكويت والعراقي ومجلة التوحيد اللتان أنشأهما، ويقول الرشيد في ذلك: «منهاج الشريعة كتاب ألفه السيد مهدي القزويني أحد علماء الشيعة الذين أقاموا مدة طويلة في مدينة الكويت، ثم نرح منها إلى البصرة، رد فيه على منهاج السُّنَّة لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، ذلك الكتاب الذي لم يؤلف نظيره إلى اليوم. وقد كنت والأستاذ المحدث الكبير الشيخ محمد بن أمين الشنقيطي نجتمع بالمؤلف كثيرًا أيام إقامته في الكويت، وتنجذب وإياه أطراف الحديث فأحسنا منه إذ ذاك ميلًا إلى الإنصاف وابتعادًا عن التعصب والهوى في بعض الأبحاث التي كانت تدور بيننا وبينه، ولا سيما

فيما يخص أكابر الصحابة - رضي الله عنهم - كما ستعلمه تفصيلاً فيما يأتي - وما كان يدور بخلدنا أن يبرز ذلك المتساهل بالأمس متعصباً متطرفاً في كتابه الجديد الذي نثر فيه ما يكنه ضميره من البغض للحق وأهله»^(١).

مع ملاحظة أن القزويني لمَّا كَتَبَ هذا الكتاب كان قد استقر في العراق بعد أن هاجر من الكويت، إذ إن الشيعة لم يكونوا يُظهرون مثل هذه العقائد في الكويت.

ج- موقف عبدالعزيز الرشيد من محمد بن عقيل الحضرمي:

قال عنه جمال الدين القاسمي - رحمه الله - : «محمد بن يحيى بن عقيل أحد المقيمين في سنغافورة للاتجار والاشتغال بالعلم، وهو حضرمي علوي، إلا أنه يتشيع بغلو، مع أنه على مذهب الشافعي»^(٢).

وقال عنه الزركلي في الأعلام (٦/٢٦٩): «كان شديد التشيع، له كُتُب منها: «النصائح الكافية» تحامل فيه على معاوية بن أبي سفيان ونال منه».

وقال عنه الشيخ محمد بن ناصر العجمي - وفقه الله - : «هو محمد بن عقيل، من الزيدية، مع تشيع ظاهر، وعدوان سافر على الصحابي كاتب الوحي وخال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان. وقد حاول أن يظهر ويدعي الإنصاف، وأنه من محبي الأثر مصانعة للشيخ جمال الدين القاسمي وغيره من علماء العصر، وهو مؤلف «العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل» الذي خالف فيه السبيل، كما كان يرى إسلام أبي طالب عم النبي ﷺ وأنه صحابي! إلى غير ذلك من الآراء، مع صحبته لأحد كبار الشيعة، وهو مُحسن الأمين، توفي سنة (١٣٥٠هـ)»^(٣).

(١) مجلة الكويت والعراقي، أعدتها للنشر شيخة عبداللطيف الرشيد، (ص: ٣٧).

(٢) الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألويسي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، (ص: ١٢٢).

(٣) انظر تعليقه على الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألويسي، هامش (ص: ٢١١).

وقال عنه الدكتور يعقوب الحججي: «نشأ أول أمره على المذهب الشافعي، لكنه تركه بعد ذلك وأخذ بمذهب العترة أو آل البيت، أو مذهب الزيدية. ولقد حاول إقناع شريف مكة - الملك حسين - بالعمل على نشر هذا المذهب في الحجاز، كما يذكر السيد رشيد رضا، ولكنه لم يُفلح في ذلك. كما حاول السَّعي لتقرير هذا المذهب في الأزهر فلم يُقبل ذلك منه. ولقد دفعه تعصبه لآل البيت إلى نشر كتابه المشهور «النصائح الكافية»^(١).

«النصائح الكافية لمن يتولى معاوية» وهو من أقبح كتبه، زعم الضال فيه أنه يرد على مَنْ يترضى عن معاوية فأُو يتوقف في جواز لعنه !!

قال الدكتور يعقوب الحججي: «وهو كتاب أثار ضجة؛ لِمَا فيه من دعوة صريحة للتشيع والفتوى بجواز لعن معاوية»^(٢).

عبد العزيز الرشيد، مؤرخ الكويت الشهير، حيث أَلَّف ردًّا على (النصائح) بلغ - كما يقول - «نحوًا من ثلاثة وخمسين كراسًا»^(٣).

لكن قال الأستاذ عدنان الرومي عن هذا الكتاب بأنه: «ظَلَّ مخطوطًا إلى أن فُقِدَ!»^(٤).

وذكر الدكتور يعقوب الحججي^(٥) أن الشيخ عبد العزيز الرشيد قد نشر حلقة واحدة من كتابه في العدد التاسع من مجلته (الكويت والعراقي). وكان قد نشر في العدد الثامن من المجلة قوله:

فضائح جاءت في كتاب النصائح ولابن عقيل (أجر) تلك الفضائح

(١) الشيخ عبد العزيز الرشيد - سيرة حياته. للدكتور يعقوب الحججي، (ص: ٢٦١).

(٢) الشيخ عبد العزيز الرشيد - سيرة حياته. للدكتور يعقوب الحججي، (ص: ٢٦١).

(٣) الشيخ عبد العزيز الرشيد - سيرة حياته. للدكتور يعقوب الحججي، (ص: ٦٣).

(٤) علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون، (ص: ٢٨٤).

(٥) في كتابه: الشيخ عبد العزيز الرشيد - سيرة حياته، (ص: ٣٧٤ - ٣٧٥).

ألم تره قد قام يدعو بهمة إلى خطة محفوفة بالقبائح

هـ - موقف الشيخ يوسف بن عيسى القناعي من الباطنية:

حدّر الشيخ يوسف بن عيسى القناعي من الباطنية إحدى فرق الشيعة^(١)،
وبيّن الضلالات الموجودة في كتاب «الهمة في آداب أتباع الأئمة» للقاضي
النعمان المغربي^(٢).

ولمّا كان يسعى - الشيخ يوسف بن عيسى القناعي - إلى توحيد التعليم
في الكويت ضمن النظام الذي كفلته الدولة، حاول بعض الشيعة أن يستقلوا
بمدارس أهلية خاصة بهم، وهو ما رفضه رفضاً قاطعاً^(٣).

قال المؤرخ عبدالله خالد الحاتم:

«وفي الحقيقة أن الحكومة عندما علمت تأسيس هذه المدرسة أبدت
امتناعاً شديداً منها، وكذلك إخوانهم أبناء السنة رأوا في هذا العمل انحرافاً
وطنياً لا داعي له، وأنه مظهر بغيض من مظاهر الطائفية التي يكافحها الإسلام،
واعتبروا أصحاب هذه الفكرة دعاة تفرقة ودعاة طائفية وتعصب، وإلا فما
الداعي لهذا كله والحكومة قد تولّت أمر التعليم بالمجان وفتحت المدارس
لجميع أفراد الشعب دون استثناء»^(٤).

* * *

(١) كتاب الملتقطات ص ٢٠٠، يوسف بن عيسى القناعي.

(٢) كتاب الملتقطات ص ٢٠١، ٢٠٢، يوسف بن عيسى القناعي.

(٣) من هنا بدأت الكويت ص ٣١٦، ص ٣١٧، عبدالله خالد الحاتم.

(٤) من هنا بدأت الكويت ٣١٨، عبدالله خالد الحاتم

الفصل الثاني

وصول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية
إلى الكويت

مدخل

إن إحالة الظواهر الفكرية والاجتماعية إلى عامل واحد خطأ منهجي ترفضه مقررات العلوم الاجتماعية المعاصرة؛ فتشكل الجماعات ووجودها قضية معقدة لا يمكن إحالتها إلى عامل واحد.

ومسألة تأثر الكويت بالدعوة السلفية لها سياقات تاريخية وسياسية واجتماعية، والتأثر ظاهر؛ فلو أُلقيت نظرة على خريطة العالم العربي والإسلامي من حيث الوجود الفعلي (للسلفية) أو (الصوفية) لوجدت الأمر يختلف من قطرٍ إلى آخر، وستجد أنَّ الخليج العربي من أكثر الدول تأثراً بالدعوة الإصلاحية لعدة اعتبارات، والكويت على وجهٍ أخص كما سيتبين معنا^(١)؛ لأن التراث الثقافي مشترك وغالبية العوائل الكويتية من نجد، والأصل في أهل نجد أنهم متوافقون مع دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، قال الشيخ عبدالله البسام: «إنَّ نجدًا بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - صارت عقيدة أهلها واحدة في تحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة، وبعدهم عن البدع والخرافات»^(٢).

(١) من ينظر نظرة فاحصة إلى تاريخ المذاهب والثقافة الدينية في الكويت وجغرافيتها سيكشف له ذلك عن بنية ثقافية موحدة في الدين بين الكويت ونجد تحديداً وأنه كلما زادت أنوار العلم والإصلاح الديني هناك زادت انوار العلم والإصلاح الديني في الكويت لذلك العودة إلى جذور الثقافة الدينية وإبراز أثرها في الكويت يعد من المواضيع الملفتة للنظر والقليلة وهو ما جعل الدافع عندي قوياً لدراسة الموضوع بوصفه حلقة مهمة ضمن إطار الدراسات التاريخية للفكر الديني والأثر العقدي في حياة المجتمع الكويتي .

(٢) الشيخ عبدالله البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون (ج ١، ص ٢٥٩).

والهوية الفرعية في ذلك الزمان مقدمة على غيرها^(١)، وهو أمر ظاهر حتى في تراجم العلماء، فتجد أن الشيخ محمد بن عبدالله الفارس وصف نفسه في مخطوط نُشر في (كتاب علماء آل فارس) مرة في عام ١٨٥٠ م أنه نجدي فقط دون أي إضافة، وقبل هذا التاريخ بخمس سنوات وصف نفسه بأنه التميمي أصلاً النجدى منشأً الكويتي مسكنًا، رغم أنه فضله وعلمه سابقان^(٢).

من يرجع للمصادر الأولية التي تناولت تاريخ الكويت أو ينظر في كتاب «محسنون من بلدي» للدكتور عبدالمحسن الخرافي سيجد - غالبية - الشخصيات والعوائل الكويتية التي لعبت دورًا ثقافيًا وتاريخيًا فيها هي نجدية الأصل.

وسبق أن قررتُ أن مذهب الغالبية في الكويت حنابلة، فنتيجة طبيعية أن ما يحصل في نجد من إصلاح عقائدي ينعكس على الكويت.

ولهذا الشيخ عبدالله بن بسام لما ترجم للشيخ عثمان بن سند عتب عليه قائلاً: «ونحن نعتب على الشيخ عثمان ونلومه وهو النجدى الأصل، ونجد هي منبت السلفية أن ينحاز مع المخرفين عن هذه الدعوة السلفية، ويكون مع أصحاب الطرق الصوفية، ثم لا يكفيه هذا حتى تناول بالسب والنقد شيخ الإسلام ابن تيمية صاحب المدرسة السلفية»^(٣).

(١) كان تصنيف الناس وتقسيمهم في الكويت قبل وجود هوية جامعة في الكويت : (نجديين - حساوية - زيارة - عجم - عرب)

(٢) انظر مقال د. عبدالرحمن الإبراهيم «نسبة الأعيان» في منشور.

(٣) الشيخ عبدالله البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون (ج ٥، ص: ١٢٣).

قلت: وقد رد عليه الشيخ عثمان بن منصور النجدى بكتاب اسمه الرد الداغ على الزاعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية زائف، وانظر إلى ص ٧٧، ص ٧٨ في هذا الكتاب لترى ثناء علماء الكويت على ابن تيمية وأنهم يرونه إمام هدى وقارن بينهم وبين ما ذهب إليه ابن سند لتعرف أيضًا أنه مخالف لما كان عليه علماء الكويت.

من هم أهل نجد؟

نجد تعتبر أحد أكبر أقاليم الجزيرة العربية وكثير من الأسر التي هي من حاضرة الكويت هاجرت من نجد وبواديها واستوطنت الكويت ، لذلك يحسن التعرف على مناطق هذا الاقليم .

ايالات نجد:

العارض يعرف قديماً بالعروض واليمامة، ويقع بين (سدير) شمالاً (والخرج والحريق) جنوباً وهو يكون القسم الأوسط (من نجد). ووادي حنيفة هو قلب (العارض) وفي جنوبه الغربي بلدة (ضرما) وفي شماله (المحمل). أشهر بلدان العارض هي:

الرياض، لبن، القرشية، عرقة، الدرعية، الملقى، العمارية، أبو الكباش، الجبيلة، العيننة، الشعيب، صلبوخ، ملهم، القرينة، سدوس، حريملة، المحمل، ثادق، المحرقة، رغبة، الروضة.

(الخرج) أشهر بلدان الخرج هي:

الدلم، منفوحة، نعبان، السليمة، اليمامة، المناصف، الضبعية، البدع، فرزان،

(الوشم) أشهر بلدان الوشم:

شقرا، ثرمدا، وشيقر، القصب، غسله، الوقف، أثيشة، الفرعة، الحريفة، الداھنة.

(سدير) أشهر بلدان سدير:

المجمعة، الزلفى، الفاط، جلاجل، التويم، الداخلة، الروضة، الحصون، حوطة سدير الجنوبية، العطار، العودة، الخطامة، عشيرة، تمير، حرمه،

(القصيم) يقع القصيم في طريق القوافل ما بين مكة وبلاد ما بين النهرين، وأهل القصيم من أذكى أهل نجد وأكثرهم اتصالاً بالعالم الخارجي وأكثرهم

أسفارًا للخارج وأكثر التجار النجديين المعروفين في مصر وسوريا والهند والعراق من أهل القصيم.

يبلغ عدد قرى القصيم نحو (٥٠) قرية والمدينتان الرئيسيتان للقصيم هما (بريده) و(عنيزة) وأغلب القرى تعتمد على بريده ولذا تسمى (بأم القصيم). وقد كانت عنيزة تنافس بريده في الأولوية والأهمية ولكن بريده سبقت عنيزة الآن، ومن أشهر مدن القصيم الرس والخبراء. وهناك قرى كثيرة تابعة إلى وادي الدوaser، والأفلاج، والحريق، ولكن اكتفينا بذكر المدن المهمة التابعة إلى المقاطعات الرئيسية كالقصيم، وسدير، والوشم، والخرج، والعارض.

(جبل شمر) يطلق جبل شمر على السهل الممتد بين جبلي (أجا وسلمي)^(١).

وصول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

كانت بداية ظهور الاتجاه السلفي في الكويت مع بداية دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، ومن أقدم الإشارات التي كشفت الحالة العقديّة والعلمية في الكويت كانت عام ١١٧٤ هجري (١٧٦٠م)، حينما وردت رسالة من الكويت إلى أحد علماء الإحساء المعارضين للدعوة، وكان مضمونها؛ أن المرسل يستشكل ما سمعه من النجديين من آراء تخالف عقيدته، فأجابه الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف في بداية رسالته:

«أما بعد، فقد ورد عليّ سؤال من بلدة الكويت في شأن نجدٍ استهوى عقول بعض، فكأنهم سقوا الكميّة نشأ ببلاد العراق وتفشى غيمه وغينه في تلك الجهة، فاستقبل أوديتهم، وقالوا ما قالت عاد، هذا عارض ممطرًا، فكان ريحًا عقيمًا، لا يذر من تلك العقول شيئًا أتى عليه إلا جعله رميمًا...» إلى أن يقول: «فلما اشتهرت بدعته، وانتشرت شنعته، وُرُفِعَ إليّ السؤال مرات،

(١) ص ١٤٤ - ص ١٤٥ من كتاب يوسف البسام الزبير قبل خمسين عاما مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت.

وأقيم لي على ما استحلاه من البدعة أمارات، غير مرات، رأيت أنه لا بد من إشراع الشراع...»^(١).

قال الباحث راشد الهارون معلقاً على هذه الوثيقة: «وتعكس لنا هذه الرسالة وجود حالة جدل فكري في الكويت بين السلفية والأشعرية الصوفية، وهي تأثيرات مهاجري الإحساء ومهاجري نجد الذين نقلوا معهم هذه الآراء»^(٢).

ويظهر من سبب تصنيف هذه الرسالة أنها كانت نتيجة اختلاف في العقيدة، وكان ذلك متوافقاً مع بداية قيام الحركة الإصلاحية التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب عام ١٧٤٤م، وبلا شك أن حدثاً كظهور الدعوة الإصلاحية في نجد لم يمر على الكويت القريبة دون تأثير بين مؤيد ومعارض - كحال غيرها من البلدان - بل إنَّ الكويت ونجداً تربطهما الكثير من العلاقات الاجتماعية والتجارية والعلمية التي تجعلها أشد تأثراً وأكثر قرباً.

قال المؤرخ عبدالله العثيمين: «إنَّ الصّلات التاريخية بين الكويتيين وبين النجديين من العمق والرّسوخ بحيث لا تكاد تساويها أي صلوات بين قطرين عربيين»^(٣).

وقد كان قاضي الكويت محمد بن عبد الوهاب بن فيروز متزوجاً من عمه الإمام المُجدد محمد بن عبد الوهاب، وكان شيخاً لعمه أحمد بن سليمان.

«قال محمد بن فيروز الحفيد: وأخذ عن الجد ابنه الوالد - عبدالله - وابن أخيه عبدالرحمن بن إبراهيم والشيخ سليمان بن ثاقب وابن أخته والشيخ

(١) رسالة العلامة عبدالله بن الشيخ محمد بن عبداللطيف الأحسائي - مخطوطة.

(٢) نشرها عبد الوهاب راشد الهارون (ص: ٣٧) من رسالة الكويت، مجلة دورية تصدر من مركز البحوث والدراسات، العدد ٧٠، شعبان ١٤٤١هـ - أبريل ٢٠٢٠م، عنوان المقال: ملامح تاريخية للعلاقات بين الكويت والإحساء في العصر الحديث.

(٣) عبدالله العثيمين، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت (ص: ٨١).

أحمد بن سليمان بن علي بن مشرف - عم الإمام المجدد -^(١) انتهى.

لم نحصل على الكثير من أخبار قاضي الكويت؛ ويرجع ذلك لعدم اهتمام العلماء في جمع التراجم في القرون الثلاثة الماضية؛ فخرنا الشيء الكثير من سير علمائنا وأخبارهم، وقد ترك قاضي الكويت الأول ابناً واحداً اسمه عبدالله انتقل بعد وفاة والده من الكويت إلى الأحساء، وكان عالماً سلفي العقيدة، وقد أثنى عليه الإمام محمد بن عبد الوهاب - ابن عمته - حين لقيه في الأحساء.

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب: «ثم إن شيخنا - محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله، رحل إلى الأحساء وفيها فحول العلماء منهم عبدالله بن فيروز أبو محمد الكفيف، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم ما سرَّ به، وأثنى على عبدالله هذا بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد»^(٢).

ليس من اليسير تحديد تاريخ معين أو موقف واضح من الدعوة الإصلاحية في بدايتها، لكن يتبين لنا من خلال رسالة حاكم الكويت عبدالله بن صباح^(٣) للإمام محمد بن عبد الوهاب ومن خلال المخطوط السابق ولقاء ابن قاضي الكويت مع الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب أن ذلك كان مبكراً وأنه ارتبط بالهجرات التي أتت من نجد - معقل الدعوة -، ومن هنا يتبين لك خطأ منهجياً ظاهراً يطلقه بعض الباحثين حينما يقول أن أهل الكويت لم يقبلوا دعوة الإمام^(٤) محمد بن عبد الوهاب، مصوراً بهذا الكلام أن الكويت دولة

(١) عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج ٦، (ص: ٢٦٩).

(٢) عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، المقامات، (ص: ٦٨).

(٣) لم يكن موقف عبدالله بن صباح صريحاً من الدعوة لا إيجاباً ولا سلباً كما سيأتي.

(٤) إطلاق كلمة أن أهل الكويت لم يقبلوا دعوة الإمام كما يقول د. خليفة الوقيان في كتابه: «الثقافة في الكويت» خطأً منهجي لا يصح، ويستدل بهذا الإطلاق بموقف عالم واحد

متجانسة - نسيج عرقي واحد أو نسيج مذهبي واحد - وهو بنفس الوقت يعترف أن الكويت عبارة عن خليط، وأنها أرض هجرات منذ بداية تاريخها، فمن الطبيعي أن تختلف توجهات المهاجرين كما تقدم من إشارات يتبين معها خطأ مَنْ يُطلق هذا القول.

وأما بالنسبة لموقف علماء الكويت من دعوة الإمام يمكننا القول أنه مر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: عدم وضوح حقيقة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب:

لذا انقسم العلماء أمامها بين مؤيد ومعارض، وكان من أبرز المؤيدين:

٢- الشيخ السيد عبد الجليل بن ياسين بن إبراهيم الطبطبائي (١١٩٠ -

١٢٧٠)

اتصل بقيادة الدولة السعودية الأولى ومدحهم بقصيدة، ومدح الإمام محمد بن عبد الوهاب، وكان بينه وبين الإمام تركي بن عبد الله مؤسس الدولة السعودية الثانية مراسلات، وهنئ فيصل بن تركي بقصيدة حين عودته من مصر.

وفي هذه القصيدة يُثني فيها على الإمام محمد بن عبد الوهاب:

جَزَى اللهُ رَبَّ العَرْشِ بِالصَّفْحِ والرِّضَى وَبِالْحَيْرِ مَنْ قَدْ كَانَ أَصْدَقَ قَائِمِ

أو اثنين في بداية ظهور هذه الدعوة الإصلاحية محاولاً تعميمها على مجتمع كامل عمره أربعمئة سنة دون مراعاة للسياق التاريخي أو الطبيعة الاجتماعية للمجتمع الكويتي! فوجود أفراد يخالفون الدعوة لا يعني عدم قبول مجتمع كامل لها، وإلا ماذا سيوجه مواقف وثناء العلماء الباقين على الدعوة الإصلاحية؟ وماذا عن تقاريراتهم التي وافقوا فيها هذه الدعوة؟

هذا إجحاف في الحكم من الدكتور وتحامل غير مبرر وانتقائيه واضحة سيأتي بيانه.

بُنْصَرَةَ دِينِ الْمُصْطَفَى وَظَهِيرِهِ
هُوَ الْوَرَعِ الْإِوَاهِ شَيْخِي مُحَمَّدٍ
لَقَدْ قَامَ يَدْعُو لِلْمُهَيِّمِينَ وَحَدَّهُ
وَجَاهِدَ لِلرَّحْمَنِ حَقَّ جِهَادِهِ
هَمَامٌ بَدَأَ وَالنَّاسُ إِلَّا أَقْلَهُمْ
يَعْدُونَ لِلضَّرَاءِ قُبَّةَ مَيْتٍ
فَهُمْ بَيْنَ مُومٍ بِالرُّكُوعِ لِسَيِّدٍ
وَمِنْ بَيْنِ دَاعٍ هَاتِفٍ بِاسْمِ شَيْخِهِ
يُقَرَّبُ لِلْمَقْبُورِ قُرْبَانَ رَبَّنَا
وَيَدْفَعُ عَيْنَ الْحَاسِدِينَ بِأَعْظَمٍ
وَقَدْ طُمِسَتْ أَعْلَامُ سَنَةِ أَحْمَدٍ
وَقَدْ طَمَّ أَكْنَافَ الدِّيَارِ وَعَمَّهَا
عُقُوقٌ وَشُرْبٌ وَاللِّوَاطُ مَعَ الزَّانِي
وَلَمْ تَلْقَ عَنْ بَادِي الْمَنَاكِرِ نَاهِيًّا
فَجَرَدَ عَضْبَ الْعِزْمِ إِذَا وَضَحَ الْهُدَى
وَقَدَّ بِهَا هَامَ الْغَوَايَةِ فَاِنْمَحَتْ
سَقَى اللَّهُ قَبْرًا ضَمَّ أَعْظَمَهُ الَّذِي
هُتُونَا بِرِضْوَانٍ وَعَفْوٍ وَرَحْمَةٍ

هُوَ الْحَبْرُ ذُو الْأَفْضَالِ حَاوِي الْمَكَارِمِ
الْقَانِتِ السَّجَادِ فِي جَنَحِ فَاحِمٍ
فَرِيدًا طَرِيدًا مَا لَهُ مِنْ مُسَالِمٍ
وَفِي اللَّهِ لَمْ تَأْخُذْهُ لَوْمَةٌ لِائِمٍ
عَلَى مَحْضِ شَرِكٍ فِي الْعِبَادَةِ لِأَجْمٍ
كَمَا طَلَبُوا مِنْهَا تَاجَ الْعَقَائِمِ
وَأَخَّرَ يَعْنُو وَجْهَهُ لِلْبَهَائِمِ
يَرُومُ بِهِ نَفْعًا وَدَفَعَ الْعِظَائِمِ
وَيَجْهَدُ فِي تَسْلِيمِ نَذْرِ الْكَرَائِمِ
وَيَرَجُو لَدَى الْحُمَى عُقُودَ التَّمَائِمِ
وَقَدْ زَادَ سُلْطَانَ الْهَوَى وَالْمَائِمِ
فُسُوقٌ وَعِصْيَانٌ وَهَتَكُ الْمَحَارِمِ
وَزُورٌ وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ النَّوَاعِمِ
وَلَا أَمْرًا بِالْعُرْفِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ
بِآيَاتِ حَقِّ لِلضَّلَالِ صَوَارِمِ
قَوَاعِدُ زَيْغٍ مُحْكِمَاتِ الدَّعَائِمِ
حَوَى شَرَفًا مِنْ هَامِيَاتِ الْغَمَائِمِ
وَأَسْكِنَهُ فِي الْفِرْدَوْسِ يَا خَيْرَ رَاحِمٍ^(١)

وقد وصف قاضي البصرة أحمد نور الأنصاري (ت: ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٤ م) الشيخ عبدالجليل الطبطبائي بأنه من الشعراء العراقيين القلائل الذين مدحوا الدعوة الإصلاحية وحكامها، وكان يرى أن توجهه إلى السلفية كان ظاهرًا فيقول:

«ويظهر أثر الفكرة السلفية في شعره عندما يسخر من الذين يلتمسون الخير من القباب والدعوة بواسطة الأولياء وتقديم النذور ... فقال:

يعدون للضراء قبة ميت	كما طلبوا منها تناج العقائم
فهم بين موم بالركوع لسيد	وأخر يعنوا وجهه للبهائم
ومن بين داعٍ هاتفٍ باسم شيخه	يرون به نفعًا ودفعا للعظام
يقرب للمقبور قربان ربنا	ويجهد بتسليم نذر للكرائم
ويدفع عن الحاسدين بأعظم	ويرجو لدى الحمى عقود التمام
وقد طمست أعلام سنة أحمد	وقد زاد سلطان الهوى والمآثم! ^(١)

٢- ومن أبرز المعارضين: الشيخ عثمان بن سند (١٢٥٠ هـ):-

حكّم عثمان بن سند على الشيخ وأتباعه بحكم أتباع مسيلمة الكذاب، فقال في أحداث سنة ١٢١٨ هـ: «فهؤلاء الوهابيون لا نشك في أن كل واحد منهم بمنزلة مسيلمة الكذاب»^(٣).

وقد ذكّر إبراهيم الوائلي شدة عداة ابن سند للدعوة فقال: «عثمان بن سند

(١) روض الخل والخليل ديوان السيد عبدالجليل (١١٩٠-١٢٧٠ هـ).

(٢) أحمد نور الأنصاري، النصر في أخبار البصرة (ص: ٨٠-٨١). قلت: وقد ظهر منهجه السلفي في كتابه القول الحسن فيما يستقبح وعمّا يسن وفيه إنكاره على غلاة الصوفية وغيرهم من أهل البدع.

(٣) مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود (ص: ٢٩٢).

البصري الوائلي قد سجّل تعصبه الشديد ضدّ الوهابيين بقصائد ومقطوعات كثيرة، وناوَاهم أشد المناوأة، وكفّرهم، ووسمهم بالزيغ والضلال في نثره وشعره على السواء، ودعا إلى حربهم باسم الدين - كما زعم هو وغيره - مارقون خارجون عن إجماع المسلمين وعلى طاعة السلطان»^(١) ا.هـ.

ثم ذكر إبراهيم الوائلي بعض أشعار ابن سند في مدح ثويني بن عبد الله رئيس المنتفق على غزو الوهابيين سنة ١٢١١هـ، ورتائه له بعد مقتله، كما ذكر بعض قصائده في مدح الحملة العراقية التي قادها علي كرخيا على نجد سنة ١٢١٣هـ، ونقل بعض الأبيات من قصيدته التي يمدح فيها السلطان العثماني محمود الثاني على القضاء على الدولة السعودية الأولى، بل وشبّهه فيها بالخلفاء الأربعة.

ولقد بلغ عثمان بن سند في عداوته للدعوة ومناوآته^(٢) وبغضه لأهلها أن كتب إلى إبراهيم باشا بن محمد علي بعد قضائه على الدرعية كتابًا ذيله بقصيدة يمدحه فيها، ويحرّضه على قتل الوهابيين كبيرهم وصغيرهم، وأن لا يُبقي منهم أحدًا، حتى الأطفال منهم؟!!

قال إبراهيم الوائلي: «وليس أدل على مقت عثمان بن سند دعوة الوهابيين من رسالته التي بعث بها إلى إبراهيم بن محمد علي عندما نزل الدرعية وحرّضه بها أشد التحريض وذيلها بقصيدة جاء فيها:

«ولا تُبقِ منهم واحداً تستطيه... إذا خَبثَ الآباء لم يَطبِ الولد»^(٣) ا.هـ.

(١) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر (ص: ١٢٩).

(٢) قال عثمان بن سند بالرغم أنه غالط الدعوة وناوآها إلا أنه لم يكذب ما رآه من حسناتها إذ قال بعد نقده للدعوة: «ومن محاسن الوهابية أنهم أماتوا البدع، ومن محاسنهم أنهم آمنوا البلاد التي ملكوها». مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود (ص: ٨٠).

(٣) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر (ص: ١٣٣).

نسبة عثمان بن سند وعبدالجليل الطبطبائي للكويت:

إن نشأة كلاً من الشيخين عبدالجليل الطبطبائي وعثمان بن سند كانت خارج الكويت، ولم تكن مدة إقامتهم فيها طويلة، وكان كثير التنقل بين المدن والموانئ الخليجية؛ لذلك تجد تنازع بين الباحثين في نسبتهم إليها، وسبب ذلك الاختلاف راجع إلى اختلاف منهجية المؤرخين في التاريخ والتراجم، وإلى وجود وحدة ثقافية وإرث ثقافي واجتماعي مشترك بين عدة دول وقيام حدود سياسية جديدة، كل ذلك ساهم في تعقيد تأصيل هوية هذان العالمان^(١).

إشكالات هذه المرحلة:

(أ) قلة المصادر

تلاحظ أخي القارئ أن أماننا موقفين متعارضين تجاه الدعوة الإصلاحية إيجابي وسلبي، ونظراً لشح المصادر التي تناولت هذه المرحلة القريبة من ظهور الدعوة الإصلاحية، كان هناك غموض يكتنف الحالة الثقافية والدينية في الكويت؛ لذلك نقول: إن موقف الكويت من الدعوة الإصلاحية في بداية نشأتها كان كحال أي بلد إسلامي لم تستب ملامح الدعوة كاملة أمامه، فكان موقف أهله بين مؤيد ومعارض، كما هو موقف العالمين ابن سند والطبطبائي، ومما يعزز هذا الرأي ما كتبه ابن بشر في ترجمة يوسف البدر أحد وجهاء الكويت وأعلامها، وقد كتب هذه الترجمة في صفحتين^(٢)، مما يكشف عن

(١) انظر مقال بعنوان: «نسبة الأعيان للبلدان» للدكتور عبدالرحمن إبراهيم بتاريخ ١١/٦/٢٠٢٠م في موقع منشور.

(٢) قال الشيخ محمد ناصر العجمي: هذه النبذة بخط مؤلفها ابن بشر، وقد كتب عليها المؤرخ العلامة إبراهيم بن صالح بن عيسى: «عثمان بن عبدالله بن حمد بن بشر يريد أن يصنف في مناقب يوسف آل بدر ولم يكملها» كان يوسف البدر من كبار تجار الخيول في الجزيرة العربية وقد توفي ١٢٩٧ هـ. المصدر: الأسئلة الكويتية وأجوبتها المسمى روضة الأرواح، (ص: ٦٠) محمد ناصر العجمي.

قلت: أترى يقول مؤرخ الدعوة السعودية الأولى كل هذا الشئ لمعارض للدعوة؟!!

وجود علاقة طيِّبة وتواصل لم ينقطع، وقَبُولِ مِنَ الطرفين لا سيما إذا عرفنا أنَّ ابن بشر مؤرخ الدولة السعودية وتلميذ علماء الدعوة النجدية:

يقول ابن بشر^(١): «... ثم إنه سنح لي أن أرسم فضيلة ومنقبة لكهل شاب ارتوى من العلم والآداب، قد اشتهر بإحسانه وفضله، وجوده وكرمه وبذله، غمرت مكارمه القريب والبعيد، وشجرة معروفة لكل مؤمل ومريد، فالألسن بالثناء عليه ناطقة، والقلوب على محبته متطابقة، محط رحال الوافدين، وملاذ القاصدين والواردين، الشيخ يوسف بن عبدالمحسن بن عثمان بن يوسف بن بدر البدري الوائلي، فأردتُ أن أرسم له فضيلة تُنبئ عن معرفه وإحسانه، ولا سيما الاشتهار جرثومة نسبه وحسبه وبيانه، تبقى له إلى آخر الدهر، ويتحدث بها في كل زمان وعصر في محافل الملوك والأمراء والتجار، والرؤساء والعلماء الأخيار، حتى يُشار إلى أصله وفضله بعد حين، وعشيرته وأجداده على تطاول الأزمان والسنين.

وإنما نوهتُ بذكر ملوك نجد في هذه الأوراق، وذكرتُ مفاخرهم التي اشتهرت في الآفاق؛ لأجل دخول فخر المترجم له مع فخرهم ويهبج الناظرين إذا طالع مجده مع مجدهم...».

قال محمد ناصر العجمي معلقاً: «هذا هو حال يوسف البدر وفضله، وهذا يدل على أن لهذا البلد تاريخاً حافلاً قد فُقد أغلب أخباره، وانطمس كثير من آثاره، وأن لأهله اهتماماً بالعلم والعلماء».

(ب) حملات التشويه:

عدم وضوح الدعوة نتيجة طبيعية مع حجم التشويه العريض^(٢) الذي تواطأ على نقله خصوم هذه الدعوة وعلى رأسهم الدولة العثمانية.

(١) محمد ناصر العجمي، الأسئلة الكويتية وأجوبتها المسمى روضة الأرواح (ص: ٦٠، ٦١).

(٢) انظر الكثير من نماذج هذا التشويه الذي طال إمام الدعوة وأتباعه في كتاب الدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف: كتاب دعاوى المناوئين.

ما حدث من حملات التشويه والكرامية ضد الحركة الإصلاحية ورموزها صنيعة الخلافات السياسية، وكان للدور العقائدي دور في تغذيتها، ونشر الشائعات حولها، وصبُّ عليها حمم البغضاء التي لم تتوقف وأخذت تُصب عليهم ليلاً ونهاراً.

ففي عهد الشيخ عبدالله بن صباح الأول (١٧٧٦ - ١٨١٤ م) نشر حسين بن غنام في تاريخ نجد «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» ردًّا على رسالة تتضمن تساؤلات وردت إليه من ابن صباح بالباء أو ابن صياح بالياء، وقيل: إنَّ الرسالة وردته من الشيخ عبدالله بن صباح الأول، تتضمن بعض الشائعات التي كان يثيرها خصوم الدعوة؛ مما دفع الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى الدفاع عن نفسه، ونفي ما نُسب إليه من أنه نهى عن الصلاة على النبي ﷺ أو أنه قال أن لولي أمر لهدمت قبة النبي ﷺ.

فمن الطبيعي في خِصْم حملات التشويه^(١) الموجهة ضد الحركة الإصلاحية أن يغفل الإنسان عن النظر إلى مبادئها ويتأثر بسموم الشائعات التي غطت الشمس من كثرتها، فنظرة الكراهية تعاضمت حين أخذت الدولة العثمانية تُحرِّض العلماء والخطباء على الكتابة عنها والتحذير منها؛ فانعكست بطبيعة الحال هذه الكراهية على الأقلام والخطابات الشرعية.

قال الأستاذ عباس العزاوي: «أما الدولة العثمانية فإنها حذرت من تأثيره - أي محمد بن عبدالوهاب - على بلاد العرب خارج نجد، فأغرَّت العلماء في الرد عليه، والطَّعن في أهله، فاختلفوا ما شاءوا، ونبذوا مذهبهم بما أرادوا، وهذا لم يمنع الكثير من العلماء أن يناصروه ويؤيدوه في الخفاء»^(٢).

(١) مع ذلك لم يعلن الشيخ عبدالله بن صباح معارضته للدعوة الإصلاحية وفي المقابل لم يظهر أي تبني لها.

(٢) كتاب ذكرى أبي الثناء الألويسي (ص: ٣٧).

لذا نقل ابن غنام اتفاق خصوم الإمام محمد بن عبد الوهاب على تكفيره فقال: «وعجبوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر ومفتر وكذاب، وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله وجميع مَنْ له من الأصحاب»^(١).

وصرَّح عدد من خصوم الدعوة بتكفيره، منهم: محمد بن عبد الرحمن بن عفالق (١١٦٤ هـ) ومحمد بن عبدالله بن فيروز (١٢١٦ هـ)^(٢).

(ج) القتال ومحاولات الاستئصال:

قد نقل الجبرتي عن مفتي الدولة العثمانية إفتاءه الجنود الغازين نجدًا أنَّ الوهابيين كفار على سبيل التحريض لهم والتشجيع على قتال أتباع الشيخ، فقال في تاريخه في شهر ربيع الآخر ١٢٢٨ هـ: «أنه وصل إلى القاهرة مرسوم سلطاني يأمر الخطباء في المساجد يوم الجمعة على المنابر، فيقولوا السلطان ابن السلطان بتكرير لفظ السلطان ثلاث مرات: محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان بن السلطان أحمد خان، الغازي، خادم الحرمين الشريفين؛ لأنه استحق أن يُنعت بهذه النعوت لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين وغزت الخوارج وأخرجتهم منها؛ لأن المفتي أفتاهم بأنهم كفار لتكفيرهم المسلمين، ويجعلونهم مشركين، ولخروجهم على السلطان وقتلهم الأنفس، وأنَّ مَنْ قاتلهم يكون مغازيًا ومجاهدًا وشهيدًا إذا قُتل»^(٣).

وقال الجبرتي أيضًا في أحداث شهر جمادى الثانية ١٢٣٠ هـ: «في خامسه

(١) تاريخ ابن غنام (١/٣١).

(٢) الشيخ عبد الجليل الطبطبائي من طلاب محمد بن فيروز المناوئ للدعوة، ومع ذلك مدح الإمام محمد بن عبد الوهاب وأثنى على الدولة السعودية، هذا يكشف عن خفاء الدعوة عن بعضهم وتحامل البعض الآخر على هذه الدعوة، ولو كان شيخه على حق لما خالفه في الثناء عليها إلا أنه أدرك الحق وحمله العدل على الإنصاف، فأبي منصف يقرأ في مبادئ هذه الدعوة وإلا ويعلم موافقتها للحق.

(٣) (٣/٤٠٦).

وصلت عساكر في داوات إلى السويس، وحضروا إلى مصر وعلى رؤوسهم شلنجات فضة؛ أعلامًا وإشارة، بأنهم مجاهدون وعائدون من غزو الكفار، وأنهم افتتحو بلاد الحرمين وطرّدوا المخالفين لديانتهم^(١).

ونقل الجبرتي في أكثر من وصف العساكر المصرية أتباع الدعوة بالكفار^(٢).

وقد ذكر المؤرخ المصري الجبرتي في عدة مواضع من تاريخه أن العساكر المصرية التي غزت نجدًا كانوا يسبون النساء والبنات والأطفال، ويتبايعونهم فيما بينهم، وأنهم في سنة ١٢٣٥هـ جلبوا إلى مصر بعض أسرى الوهابية نساءً وبناتٍ وغلماً يبيعونهم على من يشتريهم^(٣).

ولما أرسل الإنجليز الضابط الإنجليزي سادلير إلى إبراهيم باشا ليهنأه على القضاء على الدولة السعودية الأولى، قطع خلال رحلته تلك أراضي الجزيرة العربية، ودوّن ما شاهده في كتاب، أشار فيه إلى أنه رأى البدو المغاربة - وكانوا مصاحبين للحملة العسكرية على نجد - وهم عائدون إلى مصر بعد سقوط الدرعية، معهم النساء والأطفال والعييد الذين سلبوهم خلال غاراتهم الحاقدة^(٤).

(د) الإرهاب الفكري:

كل دعوة حق ناشئة تسعى في نقض عُرى دعوى باطل مهيمنة، ستواجه بأفتك الأسلحة وأقذر الحيل، فلم يكن الهجوم قاصراً فقط على أهل نجد، فما هي الوهابية إلا بُعيع خَلَقُوهُ ليفتكوا بكل من يُظهر أي ميل إلى الدعوة الإصلاحية محاولاً مخالفة الخرافات السائدة في ذلك الزمن.

(١) عجائب الآثار (٣/٤٧٧).

(٢) انظر على سبيل المثال (٣/٣٤٢).

(٣) عجائب الآثار، انظر: (٣/٣٣٤، ٣٤٢، ٦٠٦).

(٤) رحلة عبر الجزيرة (ص: ١١٩).

قال الشيخ الأديب علي الطنطاوي: «كانت تهمة الوهابية شيئاً مخيفاً، حتى إن الأستاذ المودودي - رحمه الله - حدثني عن رجل هندوسي تاجر كان يُعامل المسلمين هناك ويعاملونه، فكان خصام بينه وبين أحد التُّجار المسلمين، فأعلن في المسجد أن فلاناً - الهندوسي - وهابي، فقاطعه حتى اختلت تجارته، ولم يُخلِّصه إلا أن أَرْضَى التَّاجر المسلم فجاء إلى المسجد فأعلن أنه تاب من الوهابية ورجع إلى بوذيته، فرجعوا إلى معاملته!!»^(١).

أصبحت تهمة الوهابية في تلك الحقبة كتهمة معاداة السامية في المجتمع الأوروبي، فأَي إصلاح ديني يدحض الباطل ويخالف السائد المألوف من البدع والخرافات سيَطال صاحبه من العقوبات والملاحقات التي لا يعلم بها إلا الله، ولو لم يظهر أي ميل للدعوة الإصلاحية!

قال عبدالعزيز الرشيد: «والحقيقة أن كل مَنْ تجنب التفرق والاختلاف، وأراد أن يتبع رسول الله وخلفاءه والسلف الصَّالح مِنَ الصَّحابة والتَّابعين والأئمة المجتهدين فالقذيفة الشيطانية في أيدي الجاهلين معدة له ... ألا وهي وهابي»^(٢).

ويقول الشيخ محمد ناصر العجمي: «حدثني الشيخ الأديب علي الطنطاوي حينما سألته عن العلامة ابن بدران، فقال: كانت الوهابية تُعدُّ تهمة خطيرة مخيفة وكانوا يحذروننا من الاجتماع بهم، فوقفْتُ مرة في حلقة ابن بدران العالم الحنبلي المعروف، وكان هناك طُلاب يمرون في الأسواق فرأوني في حلقة ابن بدران وقدموا فيَّ تقريراً إلى المشايخ فُضِرْتُ (فلقة) في رجلي»^(٣).

(١) كتاب الذكريات (٣ / ٣١).

(٢) عبدالعزيز الرشيد، الصحافة في الكويت وروادها، (ص: ١٣٨).

(٣) محمد ناصر العجمي، علامة الشام بن بدران (ص: ٢٢).

قال الشيخ محمد بن ناصر العجمي في مقدمة أخصر المختصرات معلقاً على هذه القصة:

(هـ) منع كتب ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب:

نمى إلى عثمان باشا والي الحجاز في عهد العثمانيين أن كمية من الكتب السلفية (الوهابية) وردت باسم أحد الوهابيين المجاورين في مكة من الهند، وفي الحال أصدر أمره بإحضار صناديقها إلى مقر الحكومة ووضع عليها حراساً، ولما علم الحراس أن الصناديق بها كتب وهاوية أخذوا يقفون عليها ويضربونها بأحذيتهم، وفي يوم من الأيام قرّر عثمان باشا البت في مصير تلك الكتب، فأحضر عنده شيخ الإسلام العثماني والقاضي التركي ونفراً من الهنود المعروفين بميلهم إلى الوهابية، ولما فتحت الصناديق ووجدت فيها كتب مؤلفة باللغة الفارسية والأردية للشيخ صديق حسن ومؤلفين آخرين في الهند.

ثم دعوا ترجماناً ليقراً لهم اسم الكتاب واسم المؤلف حيث يأخذ شيخ الإسلام التركي الكتاب من الترجمان بواسطة منديله الحريري خشية أن تلمس أصابعه غلاف الكتاب، ويُسلمه للبasha الذي يقوم بتقليبه بين يديه ويقراً اسم الكتاب واسم المؤلف في سخرية واستهزاء، ثم يُمسكه بيديه ويمزقه شراً تمزيق ويلقيه أمامه ويأخذ غيره، واستمر كذلك حتى أتى على جميع ما في الصناديق من الكتب القيمة ومزقها، ولم يبق من كل الكتب غير نسخة واحدة من كتاب «بلوغ المرام»^(١).

وقال علامة الكويت عبدالعزيز الرشيد واصفاً حال الحجاز: «فقد بلغ من أمر التعصب إذ ذاك أن حُظِرَ بيع مؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآله وعلماء نجد الفضلاء، ومن وُجد عنده شيء منها يكون قد عرّض نفسه لعقاب صاحب الأمر والنهي هناك، بل

«وسبب ذلك أنه كان - بن بدران - سلفي العقيدة».

(١) د. بخيت الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين ١٣ و ١٤ الهجري، رسالة دكتوراة.

وصل التعصب إلى حدٍ أُذيقَ فيه بعض المتتمين إلى مذهب الإمام أحمد من الحجازيين أنفسهم أنواعاً من العذاب الأليم من جراء عقيدتهم التي كانوا بها يعتقدون. عقيدة السلف الصالح السالمة من شوائب البدع والخرافات»^(١).

فكانت هذه الأسباب عائقاً يقف أمام الأشخاص ووصولهم للحقيقة؛ لذا لما تبينت مبادئ الدعوة الإصلاحية واتضح معالمها، بدأ الناس يُقبلون عليها ويدافعون عنها، فهذا المؤرخ والأديب الكويتي خالد الفرج يستدرك على العلامة عثمان ابن سند ويكشف تحامله الكبير ضد الدعوة قائلاً بعد أن انتقد أحمد زيني دحلان عالم مكة قال: «ومن معاصري الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومكابريه، وهو الشيخ عثمان بن سند البصري الفيلكاوي، إذ يقول في «تاريخه»: «... ومن محاسن الوهاية أنهم أماتوا البدع ومحوها، ومن محاسنهم أنهم أمّنوا البلاد التي ملكوها، وصار كل ما كان تحت حكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجل وحده على حمار بلا خفر خصوصاً بين الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضهم على بعض، وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت إلى الشام كأنهم إخوان أولاد رجل واحد، وهذا بسبب قسوتهم في تأديب القاتل والنّاهب والسّارق - يعني إقامة الحدود الشرعية - إلى أن عُدِمَ هذا الشرف في زمان ابن سعود، وانتقلت أخلاق الأعراب من التّوحش إلى الإنسانية، وتجد في بعض الأراضي المخصبة هذا بيت عنزي، وبجنبه بيت عتيبي، وبقربه بيت حربي، وكلهم يرتعون كأنهم إخوان، وبهاتين الدسيستين خدعوا جميع العوام - يعني بمحو البدعة وتأمين الطرقات والسبل خصوصاً بين الحرمين - ورأيت لهم عقيدة منظومة يحفظها حتى رعاة غنمهم منها:

وما الدين إلا أن تقام شعائر وتأمين سُبُل بيننا وشعابُ

(١) مجلة الكويت (١٩٢٨-١٩٣٠) صاحبها ورئيس تحريرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد، أعدها للنشر / شيخة عبداللطيف الرشيد (١/٤٧٨).

فكانهم جعلوا تأمين الطرقات ركنًا من أركان الدين. ويفهم عقلاً من سياستهم أنه إذا فقد القاتل والسارق والنهب لأي سبب يمنع عموم الناس من الاشتغال بالزراعة أو التجارة أو اقتناء المواشي في البادية المخصصة للتكسب من ألبانها وجلودها، وإذا اشتغلوا بالكسب الحلال فلا يسرقون ولا ينيهون ولا يقتلون، فكان المسألة شبيهة بالدورية؛ أي أنه متى وُجد الأمان ارتفع السارق والقاتل؛ لاشتغالهم بمعاشهم الحلال، ومتى اشتغلوا بالمعاش الحلال؛ وُجد الأمان، ولكن هذا الدور منفك الجهة».

ويتابع الفرج كلامه قائلاً: «هذا كلام خصوم أهل نجد أتينا به على سبيل الاستشهاد، والفضل ما شهدت به الأعداء، والغريب من الشيخ عثمان أن يعترف هذا الاعتراف، ويكلف نفسه التمحل والتعليقات والافتراضات، ويجشم فكره الرد عليها، فيأتي بمنطق معكوس مناقض للواقع، وينسى أو يتناسى أن الوهابيين لم يأتوا بجديد، وأن ما يصفه عنهم هو روح الشريعة الإسلامية وأركان تشريعها الذي يدرسه الشيخ عثمان وأضرابه نظريًا، ويطبقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب عمليًا، وليقل لنا الشيخ عثمان ما هي الفائدة من وجود الحكومات والشرائع والقوانين إذا لم تنشر الأمن والسلام في بلادها، وتحمل الناس على العمل والكسب الحلال؟! ولكن التّعصب الأعمى والتزلف إلى ولاية الأتراك حمل الشيخ وأضرابه على إنكار الحقائق وتجاهلها والتعامي عن روح التشريع الإسلامي وحكمته، متفانين في تقديس القبور وحمل النذور إليها مجارة للأتراك الذين لا يتوج سلاطينهم إلا رئيس البكطاشية، تلك الطريقة التي لا تمت إلى الإسلام بشيء من تعاليمها إلا بالاسم، فلندعهم في غيهم يعمهون ما داموا قد اعترفوا بالحقيقة:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا مثله فالكل أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدًا وبغضًا إنه لذميم

وكفى باعتراف الخصوم حجة»^(١).

وبالرغم من محاولاتهم استئصال الدعوة من جذورها، إلا أنها صمدت أمام كل هذه التحديات وحملات التشويه المتواصلة وما ناله علماء هذه الدعوة من تضحيات ذهب بالأنفس والأرواح والأموال والأهل، إلا أنه ذهب خصومها وبقي الحق وأهله، وبلغت مبادئها آفاق الأرض، فلا يوجد بلد اليوم يخلو من أهل التوحيد ومناصريه.

المرحلة الثانية: معرفة حقيقة الدعوة الإصلاحية تدريجياً.

في هذه المرحلة أخذ الوعي ينتشر تدريجياً في الكويت، وكان لهذا الانتشار عدة عوامل:

١- كثرة المهاجرين النجديين إلى الكويت:

توافد النجديون بكثرة على الكويت كان له أثره في قوة العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الأسر والعوائل، بالإضافة إلى ما كانت تمثله الجالية النجدية من

(١) الخبر والعيان في تاريخ نجد، (ص: ٥٨-٦٠).

قلت: وفي هذا الوقت تقارب الزمان والمكان وتجلت الحقائق وانكشفت الأمور فلا عذر للباحث إذا غلط أو شوه الحق؛ لأنه بذلك يأتي عن علم لا غيب فيه، فالواجب التاريخي يقضي على الدكتور والأديب خليفة الوقيان أن يكون منصفاً حين ذكّره للحقائق، فما صنعه في كتابه «الثقافة في الكويت» وغيره من مقالات، يجعله في خانة المؤرخين المغرضين، فتصفية الحسابات وإخراج مكونات النفس يجب أن يكون بعيداً كل البعد عن الباحث النزيه المنصف الذي يبحث عن الحقيقة المجردة مهما كانت، فهو مؤتمن على قلمه وعليه أن يذكر الحقائق كاملة دون اجتراء، وإلا كيف سيوجه كلام علماء الكويت الذين أثنوا على إمام الدعوة الإصلاحية محمد بن عبد الوهاب وكانوا متوافقين مع تقارير هذه الدعوة منافع عنها ومساهمين في انتشارها وبيانها وهي التي تخالف تقارير ابن سند وعقيدته! إذاً ابن سند لا يخالف دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب فقط بل يخالف عقيدة علماء الكويت كما سيأتي بيانه.

ثقافةٍ غالبية على المجتمع الكويتي^(١)، فلم يكن يشعر النجدي بالغرابة، فكل من حوله أقارب وأصهار بالنسبة له.

قال المؤرخ حمد الجاسر: «... نشوء الكويت ووجوده كان على أثر انتقال كثير من الأسر النجدية من نجد إليه، في أوقات الجذب والقحط، وقيام تلك الأسر بأوجه مختلفة من نواحي النشاط العمراني يتلائم مع الزمن الذي هاجروا فيه من امتهان حرفة الغوص أو الاشتغال بالتجارة أو مزاوله أي حرفة من حرف العمل، وعلى هذا قام وجود الكويت»^(٢).

وكان أهل نجد ولا زالوا يمثلون الثقافة الغالبة لأهل الكويت، حتى وصف بعض الأجانب تأثيرهم على الكويت، فهذا ديكسون يقول: «كل الشيوخ في الكويت لا يدخنون، وهذا يعود إلى شدة التأثير الوهابي عليهم قديمًا»^(٣).

وقال: «بشكل عام في وسط الجزيرة العربية وشمالها الشرقي لا يدخن البدو وذلك لسببين:

أولهما: وهو الرئيس، هو التأثير الوهابي القادم من نجد»^(٤).

ولما وصف قبور أهل الكويت وقبور حكامها بصعوبة تمييزها، قال: «نظرًا لتأثير الوهابية الشديد في الكويت، فإن الشخص لا يذهب لزيارة قريبه المتوفى أبدًا، حتى قبور الشيوخ تعاني من هذا الإهمال، ففي المقبرة

(١) قال المؤرخ الدكتور يعقوب الحجري: «بقاء الكويت واحتفاظها بطابعها الأصلي الآن وعروبته وآدابها وأخلاقياتها كلها راجعه لوجود أهالي نجد بكثرة فيها ولولا ذلك لأصبح هناك علامة استفهام حتى على عروبة الكويت...» محاضرة الأسر السعودية في الكويت ودورها.

(٢) مجلة دراسات الخليج، عدد ٦، عام ١٩٧٦ م.

قلت: وعلى رأس الأسر النجدية المؤسسة للكويت الأسرة الحاكمة آل الصباح.

(٣) عرب الصحراء، دار الفكر، ط ٢، (ص: ١٩١).

(٤) عرب الصحراء، دار الفكر، ط ٢، (ص: ١٩٠).

الكبيرة الواقعة بين بوابتي نايف والجهرا، قليلون هم الذين يستطيعون تمييز قبور الشيوخ: مبارك، وجابر، وسالم، آخر حكام الإمارة، من السور الجانبي، فليس هنالك على الإطلاق ما يميز قبورهم عن أي من قبور الرجال والنساء الذين دُفِنوا في نفس المكان»^(١).

وجاء في الوثائق البريطانية: «على الرغم من أن سالمًا صارم في إسلامه، متمزمت بشدة تجعله وهابيًا كأبي وهابي من عامة نجد»^(٢).

يقول الرحالة الدنماركي باركلي رونكير (ت: ١٩١٥م) الذي زار الكويت عام (١٩١٢م) وهو يصف حالة التنصير في الكويت وما لاقت من خيبة: «وإذا مررت من سوق الفحم الشارع الرئيسي تجد على يمينك دكان الإرسالية الأمريكية، ويغطي طرف منضدة طويلة في ذلك الدكان طبعات من المؤلفات المسيحية باللغة العربية، ويجلس بجوارها يومًا بعد يوم رجل قد وهب صبرًا عظيمًا يفوق طاقة البشر، فطوال اليوم تنساب غمغات وأحاديث السائرين وأنهار من البشر تمر بجواره فتتجاوزه...! ولكن نادرًا ما يحدث أن تطأ قدمًا عربي عتبة دكان الإرسالية، وإذا حدث ذلك فإن النهاية ستكون أسوأ من البداية، فالمناقشة الدينية بين مُبَشِّرٍ مسيحي ووهابي متشدد يصعب أن تقود إلى أي نتائج إيجابية مهما كان»^(٣).

ويقول - أيضًا -: «يتكون سكان الكويت من مجموعتين، فبالإضافة إلى الأغلبية العربية التي أتت منذ زمن طويل من وسط الجزيرة العربية، فإن السكان ينقسمون إلى فئتين هما العرب والفرس..

(١) عرب الصحراء، دار الفكر، ط٢، (ص: ١٨٥).

(٢) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (٣/ ٦٦٤) نوفمبر ١٩١٧، برقم ٣٧١/ ٣٣٨٩، د. دغش العجمي، أمراء وعلماء من الكويت على عقيدة السلف، (ص: ٣٩).

(٣) الكويت كما رآها الدنماركي (ص: ٢٧) د. دغش العجمي أمراء وعلماء من الكويت على عقيدة السلف (ص: ٤٩).

ثم تكلم على الفرس ثم قال: «وعلى العكس منهم نجد السكان من ذوي الأصول العربية الذين يكوّنون الأغلبية وتغلب عليهم الصفات الوهابية»^(١).

وهناك العديد من الأسر النجدية التي لها علاقات راسخة حتى مع علماء الدعوة النجدية، بعضهم استقر في الكويت وبعضهم رحل بعد قضاء مدة طويلة فيها منهم على سبيل المثال لا الحصر: أ - العلامة عبدالله ابابطين مفتي الديار النجدية (ت: ١٢٨٢ هـ) اثنان من إخوانه هاجروا إلى الكويت. إبراهيم (وهو والد الشيخ عبدالمحسن قاضي الزبير والكويت سابقاً)، وعبدالعزیز^(٢)، ولا زالت ذريتهما في الكويت ومعروفين بأسرة الباطين وهم من بيت علم وأدب. ب - الشيخ عثمان ابن بشر - صاحب كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» - ابنه الرابع اسمه محمد وذريته في الكويت أهل محلات وبيع وشراء^(٣). وهناك العديد من العائلات النجدية المشهورة كانت في الكويت، منهم أعيان آل سليم الذين رحلوا إليها بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، وممن قضى طفولته فيها الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزیز آل سليم حتى بلغ قرابة ١٤ عاماً^(٤)، وكذلك مقبل بن عبدالعزیز الذكير قال: إنه سافر مع خاله مقبل بن عبدالرحمن الذكير من عنيزة إلى الكويت، ووصل إليها (٢٥/٤/١٣١٣ هـ) وعمره في الرابعة عشرة، فأبقاه خاله في بيت الشيخ يوسف الإبراهيم لتعلم الكتابة، وكان في معية أولاد آل ابن إبراهيم^(٥).

(١) الكويت كما رآها الدنماركي (ص: ٢٣) د. دغش العجمي أمراء وعلماء من الكويت على عقيدة السلف (ص: ٤٩).

(٢) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (ج ٤، ص ١٧٠).

(٣) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (ج ٥، ص ١٠٠).

(٤) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (ج ٣، ص ٥٥).

(٥) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (ج ٦، ص ٣٥٦).

٢- لجوء أسرة الحكم آل سعود الحاضرة للدعوة الإصلاحية إلى الكويت:

طلب الأمير عبدالرحمن والد الملك عبدالعزيز من الدولة العثمانية أن ينزل إلى الزبير أو الكويت بعد سقوط الدولة السعودية^(١)، ليكون بين أهله وبني جلدته، إذ النجديين بكثرة في هذين البلدين فلن يستوحش السُّكنى بينهم.

«ولما انتقل الإمام عبدالرحمن وولده الملك عبدالعزيز إلى الكويت استقبل أمير الكويت الشيخ محمد الصباح سفن عبدالعزيز بن سعود وأسرته في ميناء الكويت، وأوكل إلى زوجته الشبيخة مريم محمد الصباح استقبال زوجة الإمام عبدالرحمن والدة الملك عبدالعزيز سارة السديري»^(٢).

«وسكن في بيت عائلة العامر، بعدما تجهيزه لعائلة الإمام ابن سعود ويقع البيت في منطقة المباركية بجانب بركة السبعان»^(٣).

وتلقى الملك عبدالعزيز شطراً من تعليمه في الكويت، كما تعرف على الدواوين وتوطت علاقته مع أهل الكويت ومع الشيخ مبارك حاكم الكويت الذي ساهم في دعمه لاسترداد حكمه.

٣- زيارة أعلام الإصلاح إلى الكويت:

ساهم عدد من العلماء الذين زاروا الكويت في نشر الوعي والثقافة والإصلاح الديني في الكويت، إذ يقول المؤرخ عبدالعزيز الرشيد عن زيارة

(١) وثيقة تاريخية بين الأمير عبدالرحمن والدولة العثمانية تعود سنة ١٨٩٣ م، نشرها د. علي أبا حسين في كتابه لمحة من تاريخ مدينة الزبير (ص: ٣٢).

(٢) شيماء نبيل عبدالله الملا، حياة الملك عبدالعزيز في الكويت خلال الفترة ١٨٩٢-١٩٠٢ (ص: ٤٧).

(٣) المصدر السابق (ص: ٤٩).

محمد رشيد رضا^(١) للكويت: «أنه قد أحدث انقلاباً بين أهلها تأثيراً عظيماً بخطبه الرنانة التي قام بها في أكبر جامع، فتاب إلى الله كثير ممن كانوا يعتقدون في فضيلة السوء، وازدادت الرغبة في مجلته - المنار - ولا ريب في أن كل هذا من الإصلاح المنشود»^(٢).

وأما محمد رشيد رضا فهو أشهر من أن نتحدث عن أفكاره الإصلاحية ودعوته السلفية فلا زالت مجلة المنار شاهدة على ذلك.

وأما العلامة محمد أمين الشنقيطي^(٣) فقد زار الكويت في عام ١٣٣١ هـ، وقام بالوعظ والإرشاد طيلة فترة إقامته وكان له أثر كبير في النشاط الدعوي وبيان الحق، خاطبه الأديب العدساني مرحباً به في قصيدة ألقاها في النادي

(١) محمد رشيد رضا: ولد في القلمون إحدى قرى جبل لبنان عام ١٢٨٢ هـ الموافق ١٨٦٥ م، ودرس في طرابلس وأخذ يدعو متقللاً بين القرى والمدن حتى وصل بيروت والتقى بالشيخ محمد عبده حينما نفي من مصر إلى الشام، وتأثر به ثم إنتقل رشيد رضا إلى مصر وهناك بدأت رحلة جديدة له كان فيها أكثر إنتاجية ودعوة وعملاً فأنشأ مجلة «المنار» المشهورة التي عالج فيها العديد من القضايا التي كان يعاني منها العالم الاسلامي وانتشرت إنتشاراً واسعاً، وقام برحلات عديدة فزار الاستانة والشام والهند والحجاز وعمان والكويت ليشارك إخوانه في آراءه ودعوته في ميدان الاصلاح. وكانت وفاته ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م. انظر علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون، ص ٦٩٦. وللتوسع انظر رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، د. محمد عبدالله السلطان

(٢) تاريخ الكويت (١/ ١١٤-١١٥).

(٣) محمد أمين بن فال الخير الشنقيطي: ولد في شنقيط ١٢٩٣ هـ، ١٨٧٦ م، وقد رحل إلى مصر لطلب العلم والحجاز وأقام في مكة ثم تنقل في بلدان الخليج ثم ذهب الزبير بتوصية من شيخه العلامة السلفي شعيب الدكالي لتأسيس مدرسة هناك، ولما استقر في الزبير دعتة الجمعية الخيرية في الكويت سنة ١٣٣١ هـ، للتدريس والتعليم، فاستجاب لها وأقام العديد من المحاضرات والدروس العلمية في مساجد الكويت، التي كان لها تأثير على المجتمع الكويتي، توفي ١٣٥١ هـ، ١٩٣٢ في بلدة الزبير انظر علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون ص ٦٨٩. انظر للتوسع مذكرات محمد الامين فال الخير الشنقيطي إعتنى به عبدالرحمن الشيبلي من إصدارات مكتبة البابطين

الأدبي، وفيها يقول:

يا شيخ أنت رجاًؤنا في نهضة النشء الجديد
عصر الخرافة قوضت أركانه حتى أبيد

وكان الشنقيطي «متأثراً بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب ابن القيم والإمام محمد بن عبد الوهاب، ومناصرًا لمنهجهم وعقيدتهم السنية رحمهم الله»^(١).

«وكان كثير الاهتمام والتركيز على قضايا التوحيد والتحذير من الشرك ومن ذلك كلامه في التحذير من التوسل الممنوع والاستغاثة الشركية بأصحاب القبور والأولياء وإنكاره الشديد على من يذبحون ويُذرون للقبور»^(٢).

وقال الباحث عدنان الرومي: «لقد كان لأراء الشيخ هذه وغيرها صدى عميق في نفوس الناس المزدحمين على مجالس وعظه، وحلقات درسه... مما أثار عليه حفاظ من لا يعجبهم هذه الآراء»^(٣)^(٤).

وأما حافظ وهبه^(٥) فقد درّس في المدرستين المباركية والأحمدية، وكان

(١) عدنان سالم الرومي، علماء الكويت وأعلامها في ثلاثة قرون، (ص: ٦٩٣-٦٩٤).

(٢) المصدر السابق (ص: ٦٩٤).

(٣) ما دعا إليه الشنقيطي هو عين ما دعا إليه جميع الرسل ألا وهو أفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له والتحذير من الشرك وصوره فهي عقيدة وليست رأي.

(٤) عدنان سالم الرومي، علماء الكويت وأعلامها في ثلاثة قرون، (ص: ٦٩٤)

(٥) حافظ وهبه: ولد في مصر ١٨٨٩ ودرس في الأزهر ثم دار العلوم، كان متأثراً على الجمود في الأزهر وعلى الاحتلال الإنجليزي لمصر، نفي إلى الإستانة عاصمة الخلافة نتيجة مناهضته للاستعمار ثم الهند وهناك أراد أن يزاول بعض الأنشطة الإعلامية لكن لما علم الانجليز بوجوده في الهند هموا بالقبض عليه فهرب في سفينة للكويت أو للزبير، وقيل أن من سعى في تهريبه عيسى القطامي أحد نواخذة السفن المشهورين في الكويت وتعرف على الشيخ يوسف بن عيسى القناعي وعمل معه مدرساً في مدرستي المباركية والأحمدية.

انظر علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون ٧٣٤ص

له دور بارز في الدعوة إلى الإصلاح والنهضة في المجتمعات الإسلامية، وقد ساهم في وضع المناهج الدراسية النافعة في المدرسة المباركية في الكويت وفي مدرسة الهداية في البحرين، وكان مناصرًا لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب ومدافعًا عنهم^(١)، ومُنكرًا ما يحصل من الاستغاثات والخرافات في المجتمعات الإسلامية.

٤- الصحف الإعلامية التي كان أهل الكويت مهتمين بها ومتضامنين مع أصحابها.

أ- محب الدين الخطيب (مجلة الزهراء)

كتب في مجلته الزهراء (صفر ١٣٤٥ هـ) مقالاً بعنوان «الوهابية» دافع فيه عن هذه الدعوة وبيّن حقيقتها:

يقول: «كان الناس في أمر الوهابية منذ عهد السلطان محمود الثاني العثماني إلى الماضي القريب تحت تأثير الدعاية السياسية التي اقتضتها حروب العثمانيين والمصريين في الديار الحجازية والربوع النجدية (١٢١٧ - ١٣٣٤ هـ)، فكان كثيرًا ما يُذاع عنها ويُقال فيها مشوبًا بمختلف المقاصد والأغراض، وإن تكن حقيقتها غير خافية على كثيرين من خاصة علماء مصر والشام والحجاز واليمن والهند وغيرهم من الناظرين إلى الأمور بعين الإنصاف، أما الآن والقوم قد صاروا على صلة بجميع المسلمين في عاصمة الإسلام وبنوع هدايته فقد آن لأشعة الفجر الكاذب أن تخبو وتزول، فتنبلج من أفق الفجر الصادق أنوار يعقبها وضح النهار، وحيثُ تستبين جماهير الناس حقائق الأشياء كما هي لا كما أرادت السياسة أن تقره في الأذهان إبهامًا وتغليظًا».

(١) حافظ وهبه له كتاب بعنوان «جزيرة العرب في القرن العشرين» عقد فيه فصلاً في سيرة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وحقيقية دعوته الإصلاحية.

وكتب - محب الدين الخطيب - ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب في مقال له ومقال عن الكويت وأمرؤها، جمع هذه المقالات وأعتنى بها فضيلة الشيخ سليمان الخراشي - رحمه الله - بكتيبٍ بعنوان «ثلاث مقالات للعلامة محب الدين الخطيب (الوهابية - الإمام محمد بن عبد الوهاب - الكويت وأمرؤها)».

ب- محمد رشيد رضا (مجلة المنار)

كان محمد رشيد رضا شديد العناية في طباعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والإمام محمد بن عبد الوهاب، وله عدة مقالات يُناصر فيها دعوة الإمام نشرت في مجلة المنار والأهرام وجمعها في كتاب أسماه (الوهابيون والحجاز).

- يقول: «ووقوف الجماهير على حقيقة أمر الوهابية فوق ما كان يُنتظر، فعلموا أن هؤلاء النجديين المنبوذين بلقب الوهابية سُنيون مستمسكون بمذهب السلف في العقائد وبمذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفروع، وأنهم أشد شعوب المسلمين في هذا العصر اتباعًا وأبعدهم عن الابتداع وارتكاب المعاصي...».

- ومن كلماته: «لم تُظلم طائفة من المسلمين في التاريخ بمثل ما ظلم به الوهابية».

- ويقول: «وإنما أرادوا أن يسلبوا أهل نجد مثل هذا الدفاع عن أنفسهم، فسلبوهم اسم الحنابلة وسموهم الوهابية، وإلا فليأتوا بمسألة واحدة مما عليه جمهور أهل نجد لا أصل لها في الكتاب والسنة ولا في كتب مذهب الإمام أحمد».

ج - الشيخ عبدالعزيز الرشيد في مجلاته:

أ- مجلة الكويت^(١)

(١) مجلة الكويت، رئيس تحريرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد.

وَصَفَّهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ «المصلح الشهير»^(١).

وَصَفَّهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ «شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب»^(٢).

ب- مجلة التوحيد^(٣)

قال عن أتباعه: «يُذَبُّونَ عَنِ بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ وَيَنَافِحُونَ عَنْ حُوزَتِهِ.. وَأَنَّهْمُ الْمُوَحِّدُونَ وَأَعْدَاءُ الْمُبْتَدِعِينَ»^(٤).

وله مقال بعنوان «الافتراء على أهل نجد» دافع فيه عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه قائلاً: «إِنَّ أَهْلَ نَجْدٍ مُتَّبِعُونَ لَا مُبْتَدِعُونَ وَحَرِيصُونَ عَلَى حِمَايَةِ التَّوْحِيدِ مِمَّا يَشُوبُهُ، فَلِلتَّوْحِيدِ قَامُوا وَلَا أَجْلَهُ نَهَضُوا»^(٥).

ج- مجلة الكويت العراقي^(٦):

حينما طعن يوسف الدجوي بعلماء نجد رد عليه الشيخ عبدالعزيز الرشيد في معركة قلمية طويلة بينهما، مما جاء فيه قوله: «فعمسى أن يكف حضرته في التمادي في هذا الميدان، وينظر إلى المصلحة الإسلامية العامة، ويُمسك قلمه عن التحرش بقوم لا ذنب لهم إلا إخلاص الدين لله، وتمسكهم بكتابه وصحيح سنة نبيه ﷺ»^(٧).

(١) ج ١، ص ٢٠.

(٢) ج ٢، ٢-٣٧٧.

(٣) مجلة التوحيد، رئيس تحريرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد.

(٤) قال د. دغش شبيب العجمي: وذلك في مقال بعنوان داعية الرابطة وأهل نجد رد فيه على سالم بن جندان الباعلوي الحضرمي في إندونيسيا ودافع عن أهل نجد وشيخهم الإمام محمد بن عبد الوهاب. أمراء وعلماء الكويت على عقيدة السلف، (ص: ٨٩).

(٥) مجلة التوحيد (ص: ٣-٤).

(٦) مجلة الكويت والعراقي، رئيس تحريرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد.

(٧) مجلة الكويت والعراقي، العدد الاول، جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ، (ص: ٣٣).

وقال: «وأخيراً نرجو من الأستاذ أن يفكر في عاقبة ما يكتبه وفي المصلحة التي تؤول إليه وإلى دينه، وأن يوجه نظره إلى ما في كثير من الأقطار الإسلامية اليوم من إلحاد مُشين، وفسادٍ في الأخلاق مُحزن، وانحلال في الدين مُريع، وليترك التحرش بقوم طهروا بلادهم من هاتيك الأرجاس، وجعلوا للدين حكمه الفاصل بين صغيرهم وكبيرهم، ورفعوا للأخلاق الطاهرة في ربوعهم قصراً مشمخراً تفيء ظلاله الوراف».

وقال عن علماء نجد: «حماة الدين»^(١).

وقد أثنى الشيخ يوسف بن عيسى القناعي على أهل نجد ودعوتهم^(٢).

وأما خالد الفرج فقال عن الإمام محمد بن عبد الوهاب:

إِمَامٌ أَتَى مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ مُسَلَّسِلٍ	تَوَارَثَهُ عَنْ جَدِّهِ الْإِبْنِ وَالْأَبِ
فَوَالِدُهُ قَاضِي (الْعِيْنَةُ) عِلْمُهُ	غَزِيرٌ لَهُ رَأْيٌ ابْنُ حَنْبَلٍ مَذْهَبُ
غُذِيَ بِلِبَانِ الْعِلْمِ طِفْلاً وَيَافِعاً	وَأَصْبَحَ فِي أَثْوَابِهِ يَتَقَلَّبُ
تَلَقَّى عَلَيْهِ الْعِلْمَ وَالْفِكْرَ ثَاقِبُ	يُطَبِّقُ بِالْأَعْمَالِ مَا كَانَ يَطْلُبُ
وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا هَدَى النَّاسَ نوره	إِلَى الْحَقِّ لَا أَسْفَارُ تُتَلَى وَتُكْتَبُ
وَقَدْ خَصَّهُ الْبَارِي بِنورِ بَصِيرَةٍ	وَعَقَلَ عَنِ الْحَقِّ الصُّرَاحِ يُنْقَبُ
فَمَا كَادَ أَنْ يُلْقِيَ إِلَى الْقَوْمِ نَظْرَةً	وَكُلُّهُمْ عَنْ دِينِهِ مُتَنَكِّبُ
تُنَاقِضُ نَصْرَ الدِّينِ أَفْعَالُ قَوْمِهِ	عَلَى أَنَّ ذَاكَ الزِّيغَ لِلدِّينِ يُنْسَبُ

(١) المصدر السابق (ص: ١٢٨).

(٢) انظر: مبحث الحركة الإصلاحية في الكويت.

على حين ضلَّ الناس بالغيِّ والعمى وكادت شُموْسُ الدِّينِ والهدْيِ تغرُبُ
وغطَّتْ منارَ الدِّينِ سُحْبُ ضلالةٍ كمثُلِ نَميرِ المَاءِ غَطَّاهُ طُحْلُبُ
عكوفٌ على أجدانهم يعبدونها وكلُّ لها في غيِّهِ مُتَعَصِّبُ
فهذاك يدعو عندها دون ربِّه وهذا لها من دونه يتقرَّبُ

عقد الأديب والمؤرخ الكويتي خالد الحاتم فصلاً بعنوان العلامة محمد بن عبد الوهاب فقال: «هو العالم الكبير والمصلح الخطير شيخ الإسلام وعلم الأعلام أحد المجتهدين ورافع راية الدِّين وقامع الكفر والضلالات، ومجتث البدع والخرافات، المقذوف في قلبه النور الإلهي والعلوم الرفيعة»^(١).

٥ - المراسلات العلمية مع رواد الحركة الثقافية:

هذه المراسلات تكشف عن قوة العلاقة وصدق المودة، وأن رابطة الأخوة في الدِّين هي أسمى الروابط كما يظهر من خلال هذه المراسلات التواصي بالحق في القول والعمل ونصرة الإسلام والسُّنة، ومن ذلك:

(أ) مراسلات الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان مع:

- المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي (ت: ١٣٤٣ هـ)
- العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي (ت: ١٣٢٩ هـ)
- العلامة محمود شكري الألوسي العراقي (ت: ١٣٤٢ هـ)
- الشيخ محمد الشبل التميمي السلفي الحنبلي (ت: ١٣٤٣ هـ)
- العلامة محمد بن عبدالعزيز المانع (ت: ١٣٨٥ هـ) وغيرهم.

(١) عبدالله بن خالد الحاتم، خيار ما يلتقط به الشعر النبط، الجزء الثاني، منشورات ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١، (ص: ٩).

(ب) مراسلات الشيخ عبدالعزيز الرشيد مع:

- جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢).
- عبدالقادر بن بدران (ت: ١٣٤٦).
- محمد حامد الفقي (ت: ١٣٧٨).
- المكي بن عزوز (ت: ١٣٣٤هـ).
- محمد بهجت البيطار (ت: ١٣٩٦).
- محمد بهجة الأثري (ت: ١٤١٦) وغيرهم.

ومن جميل تلك المراسلات أنها أبرزت ملامح دعوتهم الإصلاحية ومواقفهم الإيمانية من نصرة الحق والنصح للخلق بالحكمة واللين والأسلوب الحسن، وتجلى ذلك في قصة رجوع عالم تونس المكي بن عزوز التونسي من القبورية إلى السلفية:

المكي بن عزوز التونسي كان في بداية نشأته وأيام شبابه صوفيًا ومن دعاة القبورية حين كانت تونس قابضة تحت الحكم العثماني، وكان من المناوئين للدعوة السلفية وقد أَلَّفَ كتابًا بعنوان (السيف الرباني في عنق المعترض علي الغوث الجيلاني) وتهجَّم على الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب لجهله بها، وجوَّز الاستغاثة بالأموات، وحرص على توزيع كتابه في العالم الإسلامي حتى وقعت نسخة بيد علامة العراق محمود شكري الألوسي، فبادر بنصحه وأرسل له خطاب وعظي رقيق، فصادف قلبًا خاليًا فتمكَّن الحق شيئًا فشيئًا إلى قلبه، وكان قد أرسل له الألوسي كتاب (منهاج التأسيس) مع التتمة (فتح الرحمن) قبل أن يُهاجر إلى تونس^(١)، ولمَّا ارتحل إلى الشرق التقى بالسلفيين في دمشق، وكانت له العديد من

(١) انظر كتاب الرسائل المتبادلة بين القاسمي ومحمود شكري الألوسي (ص: ١١٣، ١١٥).

المراسلات بينه وبين العلماء السلفيين يسألهم عن حقيقة دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والإمام محمد بن عبد الوهاب^(١)، وبعد هدايته للحق صارت بينه وبين الشيخ عبدالعزيز الرشيد مراسلات يكشف له عن مدى سروره وفرحته بالظفر بالتعرف به؛ لأن قلبه موجوع بغربة العلم والدين وقلة أنصار الحق، وشكّر وأثنى على مَنْ كان سبباً في التّعارف ألا وهو العلامة محمود شكري الألوسي^(٢).

وأخذ يذكر عن أحواله قبل هدايته للحق، مِنْ أَنَّهُ كان يرى الفتوى بحديث البخاري ومسلم ضلالاً؛ لأنه نشأ على التقليد الأعمى، ولما استعار منه ابن أخته الخضر بن حسين كتاب نيل الأوطار للشوكاني، يقول: ما تركته حتى أقسم لي بالله أنه لا يتبعه فيما يقول، ووجد عند كتبي ١٣٠٠ نسخة من كتاب الروضة الندية لصديق حسن خان فنهر الكتبي وزجره حتى أظهر له ذلك الكتبي الاعتذار والمسكنة كأنه فعل خيانة، وأما تصانيف ابن تيمية وابن القيم، يقول: والله ما نظرت فيها سطرًا لنفرة قلوبنا منها، ومَنْ جَهَلَ شيئًا عاداه، فلما ارتحل إلى الشرق، يقول: اطلعتُ على كتب أهل هذا الشأن باستغراق الوقت لا واشي ولا رقيب، وأمعت النظر بدون تعصب، فتح الله على القلب بقبول الحقيقة وعرفت سوء الغشاوة التي كانت على بصري، وتدرجت في الأمر

(١) انظر للتوسع كتاب الرسائل المتبادلة بين القاسمي محمود شكري الألوسي (ص: ١٠١)، (١١٠).

(٢) العلامة محمود شكري الألوسي حين وفاته بعث علماء الكويت منهم عبدالله بن خلف الدحيان وعبدالعزیز الرشید رسالتا تعزية إلى محمد بهجة الأثري وتكشف هذه الرسالة التي نشرهما الأثري في كتابه «أعلام العراق» (ص: ١٧٢ - ١٧٣ عن مدى حزنهم وشدة تأثرهم بفقدانه. ورحم الله العلامة محمود شكري الألوسي الذي وقف في زمانه موقفًا عظيمًا أمام أمواج التصوف والخرافة، فحين جَوّز الصوفي النبهاني الاستغاثة بغير الله في كتابه «شواهد الحق» لم يصمت الألوسي عن بيان الحق فانبرى له ودكَّ صرح الشرك وهدهد بنور الكتاب والسنة، فألف كتابه «غاية الأمانى في الرد على النبهاني» وكانت أول طبعة له باسم مستعار - أبا المعالي الحسيني السلامي الشافعي - خوفًا من بطش الدولة العثمانية.

حتى صارت كتب الشوكاني (نيل الأوطار) وصديق حسن خان (الروضة الندية) وشروح بلوغ المرام وما ولاها من أعز ما يُطالع، وأما كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم فمن لم يرها لم يشبع ولم يرو بها فهو لا يعرف العلم^(١).

(ج) مراسلات أسرة الخالد:

قال الدكتور عبدالله الغنيم رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية: «وبين أيدينا اليوم وثيقتان عشر عليهما ضمن أوراق ووثائق «آل الخالد» الذين تفضلوا بإيداعها مركز البحوث والدراسات الكويتية، وهما يمثلان حلقة من حلقات التواصل مع علماء الأمة، والوثيقتان المذكورتان عبارة عن رسالتين موجهتين من الشيخ فالح بن عثمان - من علماء نجد - إلى كل من: حمد الخالد، ومهلهل بن حمد الخالد في الكويت بمناسبة زيارة كل من: الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد الشنقيطي لها في عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٢ م.

وفي الرسالة الأولى الموجهة إلى «الأخ المكرم الأحشم الأشيم الشيخ حمد الخالد - سلّمه الله» يذكر الشيخ فالح بن عثمان في بداية الرسالة بعد حمد الله تعالى أن الموجب لكتابه هو ما بلغه عنه من الأخبار السارة، وزيارة الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد الشنقيطي للكويت، ويقول: «إنّ هذا ما نفرح به، ونُسّرُّ له حتى يشد الله بكم قواعد الإسلام، وينشر بكم السنن والأحكام، وذلك لغرابة الزمان، وقلة الإخوان، وكثرة أهل البدع والضلال».

وبعد أن يستعيد بالله من مخالفة أمره، وارتكاب نهيه يدعو له بقبول النصائح، وأن يجنبه الله أسباب اللوم والفضائح، ويعمله أن محبة أهل الإسلام والسنة، ونصرتهم باليد والمال من أجل المنح الربانية وأفضل العطايا الإلهية، ثم يتابع نصحه بالدعوة إلى نصره أهل الإسلام والسنة ومحبتهم،

(١) انظر مجلة الكويت، عبدالعزيز الرشيد، (ص: ٤٦٢، ٤٦٥).

والقيام بما أمر الله به من أداء الواجبات، وترك الفواحش والمنكرات، ويبيّن له أثر ذلك بقوله:

«فإذا فعلت ذلك كثر لديك محبو الدّين، واستأنس بك أهل الخير، وصرت حصناً ومعقلاً يُرجع إليه في نصرّة الدّين»، ويقسم على أن هذا من أفضل شُعب الإيمان الواجبة، وأعلاها وأسناها، بل هو من أفضل نوافل العبادة، ثم يذكر دليلاً على ذلك من قول بعض سادات الحنابلة.

«أصل دين الإسلام وقاعدته أمران: الأول: الأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك والموالاة فيه، وتكفير مَنْ تركه، أي: ترك التوحيد. والثاني: الإنذار عَنِ الشرك، والتغليظ فيه، والمعاداة فيه، وتكفير مَنْ فعله، أي: فعل الشرك». ثم يختم قوله بالدعاء له ولنفسه فيقول: «جعلنا الله وإياكم ممّن عرف نعمّة الإسلام، وعمل به، وأحبه، وثبتنا وإياكم على الإخلاص الذي هو سبب الخلاص، وعلى الإسلام الذي هو مركب السّلام، وعلى الإيمان الذي هو تمام الأمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(١).

... وأما الرسالة الأخرى الموجهة إلى «المُكْرَم الأعظم الأشيم الشيخ مهلهل بن حمد الخالد» فيبدوها بالدعاء له بأن يلزمه الله طريق أهل الخير، ويزينه ظاهراً وباطناً بأعمال أهل الصّلاح، ويوفقه في هذه الدار لاكتساب الأرباح، ويجعله ممن حب إليهم الإيمان، فظهر الصواب على لسانه ولاح، وأتم عليهم نعمته ودفع عنهم نقمته وغشاهم رحمته في المساء والصباح.

وبعد أن يحمد الله الذي لا إله إلا هو وهو على كل شيء قدير، يذكر أن أجلّ نعمّة أنعم الله بها على خلقه هي بعثة عبده ورسوله محمد ﷺ فصّدع بما أوحى إليه وأمر بتبليغه، وأنكر ما كان الناس عليه من الولايات المتفرقة

(١) أ.د.عبدالله يوسف الغنيم، بحوث مختارة من تاريخ الكويت (القسم الثاني)، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٧، (ص: ٨٠-٨٣).

والممل المتباينة، ودعاهم إلى صراط مستقيم ومنهج واضح يصل بسالكه إلى جنات النعيم، ثم بيّن العلل والموانع في نفوس الكافرين، تلك التي لا يحصل مقصودها إلا بمخالفة الحق وترك الاستجابة له، ولولا ذلك ما اختصم في الإيمان وإسلام الوجه خصمان. ولكن الرسول ﷺ ظل ثابتاً على الحق لا يضره مَنْ خالفه حتى أيد الله دينه ونصره بصفوة من أهل الأرض وخيرهم ممن سبقت لهم السعادة، وهم جماعة الأنصار الذين حصل بهم من العزّ والمنعة ما هو عنوان التوفيق والإصابة، فاستجابوا لله ولرسوله وجردوا سيوفهم لنصرة دينه. ومن ثمّ وجب على كل مُكلف أن يبحث عن هديهم وطريقهم ويستعين بربه كما قال - تعالى - في أعظم سورة أنزلها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥٦﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥٧﴾﴾.

ويورد شرحاً للعبادة كما عرّفها فقهاء الحنابلة، فيذكر أنها هي: ما أمر به الإنسان شرعاً من غير إطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] ويذكر آراء بعض المفسرين في ذلك: إن الله خلقنا لهذه العبادة، وأوجب علينا الاعتناء بها، ومعرفتها والعمل بها، ثم يتبع ذلك بقول شيخ الإسلام: «العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ولكن أكثر الخلق جهلوا هذه العبادة ورغبوا عنها، إلى ما لوفهم من الشهوات والشبهات».

ويضيف قول بعض التابعين: «تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم - صلوات الله وسلامه عليه-، وإياكم وهذه الأهواء».

ثم يختتم الخطاب - كعادته - بالدعاء له ولنفسه: بأن يكونوا من الذين يقولون الحق وبه يعدلون، ثم يطلب السلام على الوالد والجيران والشيخ عبدالله بن خلف، والشيخ الشنقيطي.

ويكتب حاشية في أعلى المكتوب يخبره فيها بأن الساعة وصلت، ويطلب منه (طبخة) قهوة زين، ويقول: من حقنا عليك أن تعرّفنا ثمن القهوة وتذكر لنا إن كان يجوز لك في نجد (شيئاً) نشتره لك ونقضيه إن شاء الله.

والرسالتان بينهما تشابهٌ كبير: هدفاً ومضموناً وأسلوب صياغة. فقد كان الهدف واضحاً وهو الترحيب بمقدم العالمين الكبيرين إلى الكويت: الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد الشنقيطي، فالحدث بما له من دلالات تاريخية وثقافية وعلمية كان جديرًا بأن تتجاوب أصداؤه في قلب الجزيرة العربية وأطرافها المترامية، ولعل في هذا ما ينهض دليلاً على وحدة الثقافة والتوجه نحو التمسك بقيم الإسلام العليا، وأحكام الشرعية الصحيحة، والغايات التي تنص عليها أحكام هذا الدين القويم في العقائد والتشريعات، والأخلاق والمعاملات.

كما ينهض ذلك دليلاً آخر على اشتراق أقطار العالم الإسلامي إلى طلائع التنوير، وحملة مشاعل الهداية الذين تتعلق بهم آمال الأمة في بداية عصر التحديات والتكتلات الكبرى وفرضها الهيمنة والسيطرة على بلاد العالمين العربي والإسلامي.

وتتوالى الدلائل في مضمونها التاريخي والاجتماعي لهاتين الوثيقتين، ولعلّ من أهمها: أن يأتي هذا الترحيب من نجد قلب الجزيرة العربية الذي يحتضن الحركة الوهابية، ويشدد تمسكه بمصادر آرائها الدينية وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله^(١).

٦- الاهتمام بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب:

في وقتٍ كان فيه يُمنع من تداول كتب الإمامين ابن تيمية وابن عبد الوهاب في الحجاز والشام، مع قلة في الطباعة، نجد تداولهما في الكويت، وهذه

(١) أ.د. عبدالله يوسف الغنيم، بحوث مختارة من تاريخ الكويت (القسم الثاني)، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٧، (ص: ٨٣-٨٦).

من أظهر علامات صحة عقيدتهم، فغالب كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم هي كتب لا يأنس بها ويحبها إلا محقق في عقيدته^(١)؛ وذلك لأن علماء الكويت من حرصهم كانوا ينسخون بأيديهم الكتب؛ ولذا وجدت كتب خطية بأيديهم.

ومن هؤلاء كان الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان فقد نسخ كتب الإمام ابن تيمية ومن تلك الكتب (العقيدة الواسطية) التي سطر فيها شيخ الإسلام عقيدة الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، أهل السنة والجماعة.

ولم يكتف بذلك فقد أثنى على مؤلفها قائلاً في الورقة الأولى: «هذه العقيدة الواسطية للقدوة الإمام، شيخ الإسلام، فارس المعاني والألفاظ، جمال المحدثين الحفاظ، بحر العلوم النقلية والعقلية، فخر السادة الحنبلية تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته، ونفعنا الله بعلومه في الدارين بمنه وكرمه»^(٢).

وتملك النوادير من كتب ابن تيمية: «فقد تملك قطعة نادرة من كتاب «منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة القدرية» بخط مؤلفها شيخ الإسلام ابن تيمية»^(٣).

فقد كان حريصاً على شروح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب ومنه (فتح الحميد في شرح كتاب التوحيد) لابن منصور (ت: ١٢٨٢ هـ) «ومن الكتب التي تملكها وحرص عليها الكتب التي ترد على خصوم دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب ككتاب: «كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس»، وكتاب «الرد على عثمان بن منصور

(١) عبدالله بن بسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون (ج ١ ص ٢٦٦).

(٢) فهرس المخطوطات الأصلية بوزارة الأوقاف (٣٩٢-٣٩٣)، وهي برقم (٣١٠)، انظر صورتها في آخر كتاب د. دغش العجمي: أمراء وعلماء الكويت على عقيدة السلف.

(٣) د. دغش العجمي، أمراء وعلماء الكويت على عقيدة السلف (ص: ٦٥).

في طعنه في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» وكلاهما للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥ هـ) وغيرها^(١).

وأما الشيخ يوسف بن عيسى فقد صرَّح بتأثره بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.

وأما الشيخ عبدالعزيز الرشيد فهو أشهر من أن نذكر عنه ذلك، فقد قال في رده على مهدي القزويني: «منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية ذلك الكتاب الذي لم يُؤلَّف نظيره إلى هذا اليوم»^(٢).

وفي معرض رده على يوسف الدجوي في مسألة الاستغاثة بغير الله: «وإذا تريد الزميلة الغراء - مجلة العرب - الزيادة والتفصيل فما عليها إلا أن تنتظر الأعداد الآتية من مجلة الكويت والعراقي بعد إمعانها النظر في كتابي الاستغاثة والزيارة لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الذي طبعهما الملك عبدالعزيز على نفقته وأوقفها لله تعالى - فمن قرأهما يعرف المنصف مقدار تهافت الأستاذ الدجوي في بحثه الذي تكلف فيه ستر الشمس في رابعة النهار»^(٣).

كان الشيخ عبدالوهاب الفارس ينسخ مخطوط رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية في إثبات صفة الاستواء وكان ذلك عام ١٣٤٦ هجري (١٩٢٧ م) ثم أنشد معلقاً عليها:

مثل ابن تيمية في العلما كالبدر في نجوم السما^(٤)

(١) نواذر المخطوطات (٥٩)، كتاب د. دغش أمراء وعلماء الكويت على عقيدة السلف (ص: ٦٦، ٧٧).

(٢) الكويت والعراقي، العدد الأول، جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ، (ص: ٣١).

(٣) الكويت والعراقي، العدد الثاني، جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ، (ص: ٢٩).

(٤) فارس عبدالرحمن الفارس، علماء أسرة آل فارس في الكويت، الطبعة الثانية، ٢٠١٨ م (ص: ١٥٢).

وبعد انتشار كتاب «أساس التقديس» للفخر الرازي، كتب علامة العراق محمود شكري الألوسي إلى صاحب له يشكو من ذلك إذ يقول: «ولا شك أنكم وقفتم على هديانه» ولذا رأى أهمية طباعة كتاب «نقض أساس التقديس» فكتب إلى معتمد الشيخ مبارك الصباح يرغبه في طبع كتاب «نقض أساس التقديس» المسمى «بيان تلبيس الجهمية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، فأجابه مندوب الشيخ مبارك الصباح أنهم لم يعثروا على شيء من نسخه الخطية لا في نجد ولا في الهند ولا في الأقطار الأخرى»^(١).

ولاحظ تأثر علماء الكويت المصلحين وثناءهم واهتمامهم بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب في وقتٍ تُمنع وتُحارب فيه مثل هذه الكتب.

٧- مناهج المدارس الأهلية:

أ- المدرسة المباركية:

جاء في ترجمة الشيخ عبدالرحمن الدوسري: «أنه دَرَسَ في المدرسة المباركية التي عُرِفَت بمناهجها العلمية الموافقة للشريعة، حيث كانت الدراسة تقوم على حفظ متون العلم إجبارياً على نهج السلف، فتخرج منها وقد حفظ متوناً ومنظومات في مهمات الشرع، فقد حفظ القرآن وحفظ «الثلاثة الأصول» مع شيء من شروحيها»^(٢).

(١) كتاب الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي للشيخ محمد ناصر العجمي (ص: ١٧٠-١٧١).

(٢) انظر كتاب الأجوبة السعدية في المسائل الكويتية (ص: ٦٨) وكتاب حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن الدوسري إعداد سليمان الطيار (ص: ٨٩)، فكيف إذا يخالفون الإمام محمد بن عبد الوهاب ويُدرسون رسالته؟!.

وهناك رسالة السيد عمر عاصم الأزميري^(١) مدير المدرسة المباركية^(٢)، وهي رسالة لطيفة ملخصة من رسالة «ثلاثة الأصول» للإمام محمد بن عبد الوهاب على صيغة سؤال وجواب، وقد كانت من مناهج المدرسة المباركية ومقررة للحفظ والدراسة.

ب- منهج مدرسة الملا مرشد السليمان:

الملا مرشد سليمان صاحب مدرسة أهلية لتعليم الأولاد تقع في حي المرقاب في مدينة الكويت القديمة وتعتبر من المدارس المتطورة في ذلك الوقت، افتتحت المدرسة في العشرينيات وبالتحديد ١٩٢٩م، أما المخطوط - المتعلق بالتوحيد - فلقد دونها - الملا مرشد في عهد مبكر من حياته على طريقة أسئلة وأجوبة في أمور الإسلام والعبادة والفقه، وأشار في آخر صفحة تاريخ تدوين المخطوط وهو ١٣٤٠ هج، الموافق ١٩١٩م^(٣).

ومما جاء فيها: س: ما دليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد؟ قوله تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾

٨- العلاقات التجارية مع العقيلات:

كانت الكويت «محطة رئيسية من محطات العقيلات، فلا تكاد تخلو ترجمة من ذكر الكويت كمحطة ارتياد، وتأتي غالبًا كأول محطة من محطات السفر»^(٤).

(١) نشرتها في كتابي عقيدة التوحيد عند أهل الكويت.

(٢) المدرسة المباركية أول مدرسة نظامية في الكويت أنشأت عام ١٩١١م.

(٣) الكتب والمطبوعات الكويتية النادرة في مكتبة الدكتور عادل عبدالمغني.

(٤) مجلة رسالة الكويت، رسالة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية، السنة الرابعة عشرة، العدد ٦٩، جمادى الأول ١٤٤١ هـ، يناير ٢٠٢٠م، بحث بعنوان (دور الكويت في تجارة العقيلات) إعداد فيصل الوزان.

«يقول الوهبي: أن عددًا كبيرًا من العقيلات النجديين قد استقر في الكويت وعائلاتهم وأصبحوا مواطنين كويتيين، وأن المصاهرات بين الكويتيين والنجديين كانت كثيرة»^(١).

هذا يؤكد على متانة العلاقات بين تجار الكويت والعقيلات، وكان لفهد الخالد دفترًا^(٢) بعنوان: «حساباتنا مع أهل نجد» وثق فيه أسماء مَنْ كانوا يتعاملون معه من تجار القوافل العقيلات، وقد ذكر منهم الشيخ عبدالله بن أحمد الرواف^(٣) الذي كانت له مراسلات وعلاقة طيبة مع الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان، والرواف كان صاحب هممة عالية من بداية شبابه، فقد طرح عدة أسئلة على العالم الجليل إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٣١٩هـ) فألف الأخير رسالته المسماة «الأجوبة السميعات لحل الأسئلة الروافيات» وقد نسخ الرواف عدة مخطوطات لشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره حين كان في الشام وله مواقف مشهورة في نشر الدعوة الإصلاحية، فلم يكن مجرد تاجرًا بل كان تاجرًا وعالمًا مصلحًا.

ولم تكن حركة العقيلات مجرد حركة تجارية، إنما كانت حركة تجارية وثقافية، إذ كان لهم جهود بارزة في نصرة الدعوة الإصلاحية وتصحيح

(١) عبداللطيف صالح الوهبي، كتاب العقيلات مآثر الآباء والأجداد على ظهور الإبل والجياد، ج ١ (ص: ٢٠٥، ٢٠٦، ٣٥٢).

(٢) د. فيصل الوزان، م. صلاح الفاضل، المشومة والعقيلات، (ص: ٢٩٠، ٢٩١).

(٣) وللرواف (ت ١٣٥٩) رسالة بعنوان سؤال وجواب عن مذهب الجهمية الحلولية بتحقيق د. أمين بن أحمد السعدي نشرها في مجلة الدراسات العقدية في الجامعة الإسلامية العدد ١٤ السنة السابعة محرم ١٤٣٦ هـ، والأسئلة الروافيات مطبوع أيضًا، وقد هدى الله على يدي الرواف الكثير من الإباضية حين كان قاضيًا على جعلان. وأما رسالة من قاضي الكويت الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان كتبها سنة ١٣٣٩ هـ مرسلتها إلى الشيخ عبدالله الرواف. قطوف تاريخية من الوثائق الأهلية الكويتية (ص: ٣٤-٣٥). أ.د. عبدالله الغنيم مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٢٢ م.

الكثير من المفاهيم المغلوطة منها، وكشف ما علق في ذهن الوجهاء والعوام من أوهام تجاهها، وإيضاح حقيقتها، وقد شهد بذلك علامة العراق الألووسي والشيخ علي الطنطاوي وغيرهم من العلماء.

إذ كان الوجهه الشيخ عيسى بن رميح يقوم بطباعة الكتب العلمية النفيسة ومن أشهرها «مجموع ابن رميح» الذي قام بتوزيعها في الشام ومصر والعراق وكان له رواج وأثنى عليه عدد من العلماء.

فقد ذكر العلامة تقي الدين من أسباب معرفته بعقيدة السلف كتب بن رميح: «ينقل د. عبدالعزيز الطويان أن العلامة تقي الدين الهاللي قال: ما عرفت عقيدة السلف الصالح إلا من خلال كتب - العقيلي - عيسى بن رميح»^(١).

قال الشيخ حمد الجاسر: «وكان أول كتاب رأيت مطبوعاً المجموع المنسوب إلى عيسى بن رميح العقيلي ويحوي على رسائل للشيخين ابن تيمية وابن عبد الوهاب وغيرهما من علماء السنة»^(٢).

فكان لهذا المجموع أثر كبير في نشر السنة ولهذا قامت قيامة القبورية والصوفية عليه وأحدثوا فتنة في دمشق.

يقول عالم الكويت عبدالله بن خلف الدحيان في مراسلاته مع ابن أخته الشيخ أحمد الخميس: «وأخبرك أنه جاءني منذ يومين كتاب من العلامة الشيخ عبدالقادر بدران ذكر فيه أنه لَمَّا وصل إليهم في دمشق المجموع الذي طبعه ابن رميح قامت قيامة الحشوية أنصار البدع وعُباد القبور، يفترون على السلف الكذب عليهم... وذكر أن الجدل عندهم مستمر، ولن تسمع إلا لفظ وهابي»^(٣).

(١) عبداللطيف صالح الوهبي، كتاب العقيلات مآثر الآباء والأجداد على ظهور الإبل والجياد، ج ١ (ص: ١٣٨)

(٢) سوانح الذكريات (ص: ١-١٠٠).

(٣) محمد ناصر العجمي، عالم الكويت عبدالله بن خلف الدحيان (ص: ١٩٠).

ويقول العلامة شعيب الأرنؤوط: «قَدِمْنَا مِنْ ألبانيا ونحن أحناف صوفية فما عرفنا السلفية إلا مِنْ هؤلاء - يعني: العقيلات».

المرحلة الثالثة: اكتمال الصورة واتضاح حقيقة الدعوة الإصلاحية.

هذه المرحلة كانت بعد تولي الملك عبد العزيز حكم الحجاز واستقرار حكمه، وفي هذه المرحلة زالت مركزية الدولة العثمانية حاضنة التصوف، وقامت دولة مركزية بقيادة الملك عبدالعزيز حاضنة للسلفية وهي جزء لا يتجزأ من منهج ودستور المملكة العربية السعودية، فمما تميز به الملك عبدالعزيز:

(أ) تمسكه بالعقيدة السلفية^(١)

«نشأ الملك عبدالعزيز على العقيدة السلفية عقيدة أهل السلف الصالح فصاغت هذه العقيدة شخصيته فأصبحت شخصية إسلامية، تمسك بها وطبقتها على أصولها كما جاءت بالقرآن وسنة الرسول ﷺ».

وكان منذ صغره ملازمًا للمشايخ لاكتساب العلوم الشرعية، ولقد تابع تلك العلوم في مجالسه العلمية ... ولقد اشتملت خطبه على الكثير من الإشادة بالعقيدة السلفية وافتخاره بانتسابه لها، يقول في أحد خطبه: (إني رجل سلفي وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة).

ويبين في موقع آخر أن العقيدة السلفية هي العقيدة التي قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة إليها حيث يقول:

«هذه العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها، وهذه عقيدتنا وهي عقيدة مبنية على توحيد الله - عز وجل - خالصة من كل شائبة منزهة من كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها، وهي التي

(١) محمد صالح عبدالله المنيف، الملك عبدالعزيز آل سعود شخصيته ومقومات نجاحها من خلال خطبه، الطبعة الأولى ٢٠١١م، ١٤٣٢هـ ص: ٨٩ - ٩٠.

تنجيننا مما نحن فيه من مَحَنٍ وَأَوْصَابٍ»^(١).

ويُدافع عن العقيدة السَّلفية وينفي الدعايات الكاذبة التي تحاك للعقيدة السَّلفية، يقول الملك عبدالعزيز: «يُسموننا «بالوهابيين» ويسمون مذهبنا «الوهابي» باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان ييثرها أهل الأعراض.

نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأتِ محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السَّلف الصَّالح التي جاءت في كتاب الله وسُنَّة رسوله وما كان عليه السَّلف الصَّالح»^(٢).

(ب) الدعوة إلى التوحيد:

حرص الملك عبدالعزيز على الدعوة إلى التَّوحيد ونشره بين المسلمين في كل مكان من أنحاء العالم، يدفعه إلى ذلك قوة إيمانه وإخلاصه للعقيدة السَّلفية، فتأصلت عقيدة التَّوحيد في نفسه فأصبح شغله الشَّاغل في تعريف الناس به وتوضيحه لهم منتهزاً أي فرصة تسنح له في اجتماعاته مع الحُجَّاج أو الاجتماعات العامة أو المحافل يوضِّح للناس حقيقة التَّوحيد ويحثهم على التمسك به^(٣).

... وقد اشتملت خطبه على الكثير من أقواله التي تبين اهتمامه بالدعوة

(١) المصحف والسيف، مجموعة خطابات وكلمات وأحاديث ومذكرات المغفور له جلاله الملك عبدالعزيز آل سعود، جمع وإعداد: محي الدين القاسبي ص: ٥٣ دار الناصر، الطبعة الثالثة.

(٢) المصحف والسيف، مجموعة خطابات وكلمات وأحاديث ومذكرات المغفور له جلاله الملك عبدالعزيز آل سعود، جمع وإعداد: محي الدين القاسبي ص: ٥٢ دار الناصر، الطبعة الثالثة.

(٣) محمد صالح عبدالله المنيف، الملك عبدالعزيز آل سعود شخصيته ومقومات نجاحها من خلال خطبه، الطبعة الأولى، ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ ص: ٩٠.

إلى التوحيد ومنها: تسخير الملك عبدالعزيز الرجال وموارد الدولة في خدمة هذه العقيدة والدعوة إليها، فانعكس أثر ذلك على العالم الإسلامي كله، ومن أهم الآثار ظهور السُّنة وانقماص البدعة، وانتشار العلم والسُّنن، وهذا أمر اعترف به خصوم الدعوة الأوائل كابن سند وغيره، وقد تتابع الأعلام من العرب والأجانب على الشهادة بفضل الدعوة الإصلاحية والإعجاب بميزاتها، وجمع الملك عبدالعزيز بين المشروع النهضوي والإصلاحي، وكانت علاقته متينة بحُكَّام الخليج وبأهل الكويت خاصة، فكان من ثمار هذا التواصل:

١- موقف حكام الخليج من مشروع الملك عبدالعزيز الإصلاحي:

كان لتقارب الأحوال بين دول الخليج وتشابه الظروف الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية أثر في وحدة الشعور إلى الحاجة الماسّة للإصلاح، ومن ثمّ قيام الملك عبدالعزيز بمشروعه الإصلاحي كان حافزاً ومشجعاً لكثير من الدعوات الإصلاحية، وفي المقابل انعقدت آمال أصحاب هذه الدعوات الإصلاحية حكماً ومحكومين في دعوة الملك عبدالعزيز.

أ - البحرين:

قال الشيخ والمؤرخ عبدالعزيز الرشيد: «كان لجلالة ملك العرب والإسلام عبدالعزيز آل سعود محل رفيع في نفس سمو الأمير الجليل الشيخ حمد بن الشيخ عيسى آل خليفة حاكم البحرين المعظم، ومحبة صادقة تخللت منه الروح والجسم، وكان يطرب كثيراً لغرر القصائد التي تشرفت بمدح جلالته، وسما قدرها بذكر أعماله وآماله، وكثيراً ما يأمر منشدته بقراءتها في مجالسه الخاصة، سواء ما أودع منها مجلة الكويت التي كان يقرأها سموه، أو غيره من درر مدائحه، وقلما تخلو مجالس سموه العامرة من ذكر مناقب جلالته

وفضائله التي كان يرتاح للحديث عنها»^(١).

وكان قد أمر خطباء الجُمع في البحرين بالدعاء للملك عبدالعزيز على المنابر^(٢).

ذكر الشيخ عبدالعزيز الرشيد في الحاشية أن مما أولع به حاكم البحرين الشيخ عيسى آل خليفة من القصائد، قصيدة الشاعر والأديب خالد الفرج «إياك نختار»^(٣).

ولما قام أحد الصوفية القبورية في البحرين - يدعي شرف اليماني - يتناول على السلفية على منبر أحد جوامع البحرين، ردَّ عليه ابن سحمان بقصيدة ورسالة عنوانها «تأييد مذهب السلف»^(٤)، وحذره من العقوبة لو علم به حاكم البحرين عيسى آل خليفة:

لو كان يدري به عيسى ويعرفه حق الدراية أبدى اللهب والأسفا
أو كان يعلم أن الوغد داعية إلى الضلال لأضحى واجلاً وجفا

ومن عجيب القصص ما ذكره الشيخ محمد بن ناصر العبودي في معجم الأُسُر (٢٣ / ٢٣٠): «أن أحد الخطباء في البحرين خطب خطبة الجمعة ونال فيها من الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - فقام رجل نجدى اسمه (إبراهيم يحيى) فحمله وألقاه من على المنبر حتى عُشي عليه».

ب - الإمارات:

ارتباط رأس الخيمة والشارقة وعجمان وأم القوين بالدعوة السلفية

(١) مجلة الكويت (ص: ٦٤٥).

(٢) نفس المصدر (ص: ٦٤٥).

(٣) قصيدة إياك نختار في الثناء على الملك عبدالعزيز انظر ص ٩٣ من هذا الكتاب

(٤) الدرر السنية (١٢ / ٥٠٣). كانت نهاية الصوفي شرف اليماني الطرد بعد ما تبينت خيانتة للدولة. انظر التحفة النبهانية (ص: ١٥٢).

والدولة السعودية كان مبكرًا فبينهما وشائج قُربى متعددة؛ إذ أعلنوا مبكرًا عن تأييدهم وتبنيهم رسميًا للدعوة السلفية^(١).

ولا أدل على ذلك من تسمية ثاني مدرسة نظامية في الإمارات باسم «التيمية» نسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومما يدل أيضًا على تأصل الدعوة السلفية في أهل الإمارات، أنه حينما زار الشيخ الكويتي والطبيب مساعد العازمي (ت: ١٩٤٣م) رأس الخيمة، واجه إحدى أميرات رأس الخيمة، فقالت له: أنت أشعري أم سلفي؟

فقال الشيخ: سلفي.

فقالت الأميرة: ما قولك في ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟

فأجاب الشيخ: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وهو جواب الإمام مالك.

ثم سأله عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب فقال: إن الذي يأتوننا من نجد يثنون عليه^(٢).

ج - قطر:

كان حاكم قطر قاسم بن محمد آل ثاني (ت: ١٣٣١ هـ) حنبلي المذهب سلفي العقيدة، كان مما أوصى أبناءه وأحفاده على التمسك بأصول الدين القويم الذي قامت عليه دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وأوصى بجزء من أمواله للملك عبدالعزيز ووالده عبدالرحمن آل سعود.

ومما جاء في وصيته: «كل مَنْ بانت منه سب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا اتباعه ولا ما سبهم وسب عقيدتهم: فقد أساء لي وعقني وخانني»^(٣).

(١) انظر كتاب المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة د. فالح حنظل (ص: ٣١٢).

(٢) مجلة البعثة.

(٣) وصية الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، طبعت على نفقة الشيخ جاسم بن جبر آل ثاني، (ص: ٧).

وهذا دليل من كلام الشيخ قاسم على أنه يُحب ويُجل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلى هذا كان أهله وذريته من بعده، وأهل قطر كذلك، متأثرين بهذه الدعوة الإصلاحية.

وجاء في إحدى رسائل الشيخ قاسم آل ثاني إلى محمود شكري الألوسي بعد ما طلب الأخير أن يطبع على نفقته كتاب «فتح المنان تنمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان»^(١) لما يعلم من حرصه وغيرته على العقيدة السلفية، فوافق على طباعته وأجابه الشيخ قاسم قائلاً:

«الناس عادوا ذلك الشيخ - محمد بن عبد الوهاب - الذي تصدى لتصحيح عقائد الجهالة الفاسدة وتعديل معوج آرائهم الكاسدة، فإن غالب الناس في وقته كانوا يعبدون القبور والأشجار والطواغيت المنحوتة من الخشب والأحجار، ويُنّ مقصود الباري من عبادته، والحكمة التي أرسل بها الرسل - عليهم السلام - إلى كافة أقطاره وبلاده، وهي معرفة الله - تعالى - بأفعاله وتوحيده بأفعالنا وتخصيصه بالعبادة في قلوبنا وأقوالنا»^(٢).

ومن اهتمام الشيخ قاسم بهذه الدعوة الإصلاحية طباعته لعدد من كتب الإمام محمد بن عبد الوهاب ومن أهمها^(٣):

• مجموعة التوحيد

(١) هو كتاب «صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدين القويم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم»، لداود بن جرجيس البغدادي، وقد رد عليه داود أفندي بكتابه الذي طبعه الشيخ قاسم آل ثاني المسمى «فتح المنان تنمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان»، الذي أتم فيه المؤلف رد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ على ابن جرجيس، المسمى «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود ابن جرجيس».

(٢) محمود شكري الألوسي، بدائع الإنشاء، تحقيق: خالد بن محمد آل ثاني، ٢٠١٥م، (ص: ٢١٥).

(٣) بحث بعنوان دور الدين في حياة الشيخ قاسم آل ثاني، للباحث خالد بن غانم آل ثاني (ص: ٣٨).

• كشف الشبهات

• كتاب التوحيد

وهكذا سار أبناؤه من بعده على نهجه وَهُمْ: الشيخ عبدالله بن جاسم آل ثاني ثم علي بن عبدالله بن جاسم آل ثاني من مناصرة الدعوة الإصلاحية وطباعة الكتب النافعة.

- الكويت:

وقف أهل الكويت مادياً ومعنوياً مع الملك عبدالعزيز وناصروه بالمال والسلاح في استرداد بلاده، لتقوم بعد ذلك الدولة السعودية الحديثة^(١).

(١) وفي ذلك يقول الأمير الشاعر خالد الفيصل حين وقفت المملكة موقفاً مشرفاً مع الكويت إبان الغزو العراقي الغاشم للكويت:

ما يغط الحق رجال بخيت ما نسينا يا لكويت السابقات

يشير إلى فضل الكويت السابق، في احتضان الأسرة المالكة السعودية، ومناصرتهم للملك عبدالعزيز في استرداد بلده، ولا فضل بين الإخوان فالكويت والسعودية يجمعهما الدين والعرق، وفي هذا بيان لقوة ومتانة العلاقة التي كانت تجمع البلدين.

فقد أوفى الملك عبدالعزيز بالعهد ووضعاً سلامة الكويت في ضميره فلم تشنيه تقلبات الزمن واتساع مسؤوليات الملك عن الوفاء وورث هذا الوفاء وهذه الجينات أبناؤه من بعده:

- في عام ١٩٣٨ م، ضغط الملك عبدالعزيز على الإنجليز كما ذكر قنصل بريطانيا في جدة السير ريدر بولارد لما حشدت العراق جيوشها على حدود الكويت، وأنه لن يتردد في الدفاع عن الكويت وأرسل ابنه سعود للكويت ليؤكد مشاركته.

- وفي عام ١٩٦١ م، مع أزمة قاسم قاسم رئيس العراق وتهديداته بعث الملك سعود بألف جندي مع أسلحتهم للكويت دون انتظار قرار الجامعة العربية.

- وفي عام ١٩٩٠ م، تأتي الكارثة للمرة الثالثة ويفتح الملك فهد آل سعود والسعوديين كافة قلوبهم لاحتضان الكويت وشعبها.

قال عبدالله بشارة الذي كان أميناً عاماً لمجلس التعاون الخليجي: كنت أنقل للكويتيين المتواجدين ما أسمعهم، الملك عبدالعزيز شرب حليب الكويت واستساغها، وأوصى الأبناء بالحفاظ على نقاوته، فكانوا الشهب المنقذة عند المآسي». مقال في جريدة القيس ٢٧

سبتمبر، ٢٠٢٠ م.

وكانت علاقة الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت والملك عبدالعزيز تكتسي بالخصوصية وهي قريبة من ترابط الوالد بولده، وحين عزم على استرداد حكم آبائه وأجداده أمده الشيخ مبارك بأربعين ذلواً وثلاثين بندقية ومائتي ريال وبعض الزاد كما ذكر الريحاني، قد ذكر دوبون الملحق العسكري الفرنسي في القسطنطينية أن الملك عبدالعزيز توجه من الكويت عام ١٩٠٣ م لفتح الرياض برفقة الشيخ جابر النجل الأكبر للشيخ مبارك^(١).

وبالرغم من حدوث توترات سياسية بين الملك عبدالعزيز وبين حاكم الكويت الشيخ سالم الصباح، إلا أن العلاقة تحسنت كثيراً بين البلدين في حكم الشيخ أحمد الجابر الصباح، ومن ذلك زيارة مندوبيه للكويت وعمل بعض أهل الكويت معه كما سيأتي.

ولما زار الملك عبدالعزيز الكويت في عام ١٩٣٦ م (١٣٥٤ هـ) قُدمت له العديد من الهدايا معبرة عن محبة الشعب له وكان على رأس المهديين له الوجيه التاجر هلال فجحان^(٢).

وفي أثناء هذه الزيارة سأل الملك عبدالعزيز آل سعود عن معلمه للقرآن حينما كان مقيماً مع والده في الكويت، فأخبروه بأنه ما زال على قيد الحياة لكنه لا يستطيع المشي فطلب رؤيته ثم ضمه إلى صدره وقبّله وجلس بجانبه فقام بملاطفته وإكرامه^(٣).

وفي عام ١٩٥٤ م، لما زار الملك سعود مصر زار بعثة الطلبة الكويتية، ومما قاله أثناء هذه الزيارة: «لقد تربيت في الكويت وعشت فيها ولي فيها ذكريات طيبة لا أنساها ومهما حاولوا التفريق بيننا فلن ينالوا ذلك لأننا إخوة متحابون»^(٤).

(١) أ.د. عبدالله الغنيم، بحوث مختارة من تاريخ الكويت، (ص: ٦٣-٦٤).

(٢) محب الدين الخطيب في الفتح العام العاشر ١٣٤٥ هـ.

(٣) د. يعقوب الحجري، الشيخ عبدالعزيز الرشيد ص: ٥٧٢.

(٤) مجلة البعثة، عدد إبريل ١٩٥٤ م.

وفي أثناء زيارة الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود الكويت عام ١٩٥٣م، قام في استقباله الشيخ عبدالله السالم، وخطب الشيخ عبدالعزيز قاسم حماده قائلاً:

«ما أحد أكرم أضيافاً منا اليوم ولا أسعد حظاً منا أحد بضيفنا الكريم، وأنا إذ نفخر بهذا الضيف الجليل، فإنما نفخر برفعه منار التوحيد، وهدم الشرك، والقضاء على الخرافات والأباطيل وعمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي حساً ومعنى»^(١).

ولو لم يكن حاكم الكويت - مبارك الصباح - يتوافق مع الإصلاح الديني الذي كان يقوم به الملك عبدالعزيز وأسلافه من قبل، لما قربه منه وأجلسه بجانبه ومن ثم حظي بدعمه لإقامة دولته، ولما أحسن الظن به العلامة الألوسي وأرسل له رسالته في طبع كتاب «نقض أساس التقديس» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقد ثبت أن حاكم الكويت مباركاً سعى في هدم بعض القباب والأضرحة، وقد ذكر ديكسون أن حكام الكويت لم يكن يرتضون ما يفعله الجهال عند مقام الخضر وكانوا يبدوون استياءهم من تلك الخرافات وأنهم يسعون في منعها كما سيأتي في نهاية هذا الفصل.

٢- نظرة علماء الكويت وأدبائها للملك عبدالعزيز ودفاعهم عنه:

قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «وكان يرى - الشيخ يوسف القناعي - في جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود كما يراه غيره من أحرار الكويتيين أنه هو الملك العربي الوحيد الذي في وسعه تحقيق ما تصبو إليه نفوسهم من آمال وأحلام»^(٢).

«وقد زار الشيخ يوسف بن عيسى الملك عبدالعزيز واستقبله في قصره»^(٣).

«كان الشيخ يوسف بن عيسى القناعي لما ثارت نائرة الإخوان^(٤) في فيافي

(١) خطب المرحوم الشيخ عبدالعزيز قاسم حمادة (ص: ٤٩٢).

(٢) مجلة الكويت، المجلد الثاني، (ص: ٨٦٤).

(٣) مقابلة الشيخ يوسف بن عيسى مع سيف مرزوق الشملان.

(٤) الإخوان: منظمة إرهابية ترأسها فيصل بن دويش، تألفت جماعتهم على شكل حزب عام ١٩١٤م بتشجيع من عبدالعزيز بن سعود حاكم نجد ليأمن جانب الدويش الذي كان قد

الجزيرة على جلالة ملك العرب والإسلام عبدالعزيز آل سعود فكان حضرته مع أسفه الشديد على إثارة زوبعتها أحد الهازئين بها وأحد الذين حكموا عليها بالهزيمة والانحدار حتى في الوقت الذي أصبحت لها صولة أرهبت ضعاف العقول وكان يجاهر بهذا الرأي أمام كل من يجادله في الكويت وفي البحرين معاً وما زال ثابتاً على رأيه إلى أن جاء انتصار جلالة الملك عليهم فاصلاً بين الحق والباطل»^(١).

وأما الشيخ عبدالعزيز الرشيد وكان ينشر مناقبه وفضله وآثاره على صفحات مجلاته وينقل مشاعر محبي الملك عبدالعزيز وأنصاره في العالم الإسلامي. وتواصل مع الملك عبدالعزيز وحظي بلقائه والعمل عنده داعياً لعقيدة السلف ومصلحاً بين جمعية الإرشاد وجمعية العلويين.

وكان لخالد الفرج قصيدة عصماء بعنوان (إياك نختار) نظّمها بمناسبة طلب الملك من زعماء الإخوان في عام ١٣٤٧ هجري أن يختاروا مَنْ يقوم بمهام الملك ويباعون مَنْ يرتضونه:

إيَّاكَ نختار فاحم البيت والحرما وخذ لنصرك منها العهد والقسما

قام بثورته الأولى في مايو ١٩٠٧ وقد أفاد منهم ابن سعود حيث زودهم بالسلاح والعتاد لغزو الأراضي المجاورة لنجد لغرض الإصلاح الاجتماعي والدعوة إلى اعتناق المذهب الوهابي، وقد تهور الإخوان وقذفوا أهل الكتاب بالكفر بسبب التدخين واعتدوا على الكويت عدة مرات أهم ذلك عدوان ١٩٢٠م الذي أدى إلى معركة الجهراء الشهيرة، وقد اندحروا في تلك الحرب وقُتل منهم الكثير، وهم ليسوا وهايون بالمعنى الصحيح ولكنهم من محترفي الغزو والسلب والنهب، ولما قويت شوكتهم توغلوا في غيهم وعدوانهم وأوقعوا ابن سعود في مشاكل سياسية مع العراق مما جعله يتوقف عن إمدادهم ومساندتهم حتى قاموا بثورة ضد ابن سعود سنة ١٩٢٩ عُرفت بثورة الإخوان، وهي الثورة الثانية بقيادة فيصل الدويش لمحاربة ابن سعود بسبب إدخاله المخترعات الحديثة، انتهت بالقبض على زعمائهم والزج بهم في السجون وانتهت جماعتهم بموت زعميهم فيصل الدويش سنة ١٩٣٠. حمد محمد السعيدان، الموسوعة الكويتية المختصرة، الجزء الأول، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٨١م (ص: ٤٨-٤٩).

(١) الشيخ عبدالعزيز الرشيد، مجلة الكويت، المجلد الثاني (ص: ٨٦٢).

إلى أن قال:

الله يشهد يا عبد العزيز به والمسلمون، أعربًا شئت أم عجمًا

وقد خصصت مجلة الكويت حيزًا معتبرًا من مساحاتها لنشر قصائد الشاعر
والمؤرخ خالد الفرّج الذي خص الملك عبدالعزيز بجزء كبير من ملحّماته الشعرية.

ومما قاله محمود شوقي الأيوبي بعنوان: «وجاهدت للعليا وثرّك باسم».

رعت حقوق الدين والعلم والحجى	وجاهدت للعليا وثرّك باسم
سقى الله أرضًا أنبتتكَ وتربة	كأن حصادها الدر والزهر عالم
دع السيف يا رمز الشبيبة يرتوي	من العصبة الأشرار فالشر ثالم
وحكم سنان الحق في أكبد العدا	فإنك هول للطغام وقاسم
ذر السيف يأخذ من أولي البغي حظه	وما السيف إلا فاصل وهو حاكم
تذرع قوم بالأدباء سفاهة	فباؤا وكل في نواياه غارم
حيارى كأن الرعب حلّق فوقهم	طرائد والأرواح سكرى حوائم
خوارج عن نهج الرشاد تنكبوا	وكل تولى للضلال يلاكم
هنيئًا بني الإسلام فخرًا أولى النهى	فثغر العلا للعرب لهفان لاثم
فصبح العلا يدني إلينا شموسه	وليل الدواهي شردته الملاحم
ألا فليعيش مجد العروبة دائمًا	فإن له نور السعود ملائم

ولمحمود شوقي الأيوبي ديوان بعنوان الملاحم العربية، وقد خصصه
لمدح الملك عبدالعزيز وولديه سعود وفيصل ويقول الأيوبي حين أرسل
هذا الديوان للملك عبدالعزيز لنشره:

«يا طويل العمر، ها أنا خادم دولتكم العربية المسلمة، الحبيبة إلى النفوس
الطامحة أتقدم إليكم بمجموعتي الشعرية التي سميتها الملاحم العربية وهي

٢٧ ملحمة ألهمتها في ظروف شتى من جهادكم المقدس الذي دام ما ينيف على نصف قرن، وهذان القصائد جدتها لمجدكم الأثيل منذ وقعة السبلة الشهيرة، إلى ما قبل عام تقريباً...»^(١).

وعبر الأيوبي عن علاقته بالملك عبدالعزيز قائلاً:

«إنها علاقة طويلة وهي سياسية محضه، فنحن الشباب في ذلك الوقت كنا نتطلع إلى رجل يمدنا بالقوة لتحقيق آمال عربتنا وقوميتنا»^(٢).

من جميل شعره:

وأخلصت للإسلام قلباً وفكرةً وأرضيت رب العرش والإنس والجنّا
وأنت لعز المسلمين مجاهدٌ ومن سعيك المبرور مجد الحمى يُبنى
أعدت زمان الراشدين بعصرنا وحكمت دين الله والشرعة الخنسى
فهذي جموع العرب تهواك كلها وضدك قد أضنى الأسي منه ما أضنى^(٣)

٣- عمل جماعة من العلماء والمثقفين في مشروع الملك عبدالعزيز:

(أ) يذكر الدكتور عادل العبد المغني في كتابه «شخصيات كويتية»

عند حديثه عن المرحوم خالد الفرج عددًا من الكويتيين الذين سافروا إلى مدن الأحساء بدعوة من الملك عبد العزيز للمساعدة في إنشاء الجمارك والبلدية وغيرها من المرافق العامة، فقال: «كانت منطقة الأحساء خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات قد استقطبت العديد من رجالات الكويت المتعلمين الذين أسهموا في تطوير الشؤون الإدارية والمالية، حيث تقلد

(١) مقدمة ديوان الملاحم للشاعر محمود شوقي الأيوبي، قدمه وعلق عليه محمد عبدالرحمن

الربيع صدر ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ دارة الملك عبدالعزيز.

(٢) محمود شوقي الأيوبي حياته وتراثه الشعري عرض ونقد، الكويت ١٩٨٢ (ص: ٣٤١)

ديوان الملاحم (ص: ١٨).

(٣) ديوان الملاحم (ص: ٢٠).

الكويتيون هناك المناصب الإدارية والمالية البارزة نتيجة الثقة الكبيرة التي أولاهما الحكام لأهالي الكويت. وأخبرني الوالد - حفظه الله - الذي عاصر الأديب خالد الفرج في العمل في منطقة الأحساء ضمن مجموعة من أهالي الكويت، منهم المرحوم سليمان العدساني وابنه الأديب خالد سليمان العدساني، والمرحوم ياسين هاشم الغربلي، والمرحومان أحمد عبدالعزيز السميط، وجاسم عبدالعزيز السميط، وسريع عبدالرحمن السريع، وجاسم حجي جاسم، ويوسف حمد إبراهيم الفوزان، وعبدالله الفرج، وعبدالله اللطيف الخترش، وعبدالرحمن عبدالعزيز الهاشم، وعبدالله اللطيف إبراهيم النصف، وأحمد عبداللطيف القناعي»، و«كان خالد الفرج قد عينه الملك عبدالعزيز مديرًا لبلدية الأحساء، وكلف أيضًا بإنشاء الإذاعة السعودية»، «ويقول والذي إن جميع الكويتيين عادوا إلى بلادهم ابتداءً من أواخر الثلاثينيات»^(١).

ب) عمل الشيخ عبدالعزيز العتيقي^(٢):

«وكان الشيخ العتيقي من دعاة السلفية الذين تفرغوا للدعوة والتعليم،

- (١) عادل عبدالمغني، شخصيات كويتية، ط ١ الكويت، ١٩٩٩ م، (ص: ٦٢).
- (٢) عبدالعزيز العتيقي: ولد سنة ١٣٠٠ هـ الموافق ١٨٨٢ في بلدة حرمة إحدى بلدان سدير ثم استوطن الكويت وسافر للبصرة ثم مصر وإلتحق في دار الدعوة والارشاد التي أسسها محمد رشيد رضا فكان من تلاميذه، وسافر للبحرين وأصبح معلماً في أول مدرسة نظامية « الهداية الخليفة » ثم تفرغ للدعوة وقام برحلات دعوية في الهند وإندونيسيا بالتعاون مع الشيخ أحمد السوركتي واتصل بكثير من الزعماء الإسلاميين، ليوضح مبادئ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ونجح في ذلك حتى أن محمد علي شوكت أرسل رسالة للملك عبدالعزيز أنه أصبح من أنصار الدعوة السلفية بعدما كان متشككاً بها وقد نشرها العتيقي في مجلة أم القرى، عاد للكويت وتقلد إدارة مدرسة الفحيحيل هو وابنه محمد وقد أدركه والذي وأعمامي. وكان مثلاً للمدير المخلص في عمله وكان له أثر جميل على طلابه، ولازالوا يجلبونه ويحبونه حتى أنهم يقولون كان إذا غاب المعلم عن فصله حل محله ليُعلم الطلاب من العلوم التي جمعها في حياته مع أنه مدير المدرسة، إستشعاره لمسؤولية الدعوة جعلته مخلصاً لها إلى آخر حياته وفي أي موقع من أعماله. وتوفي ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٩ م. للمزيد أنظر علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون ص ٤٣١، والمنهج التربوي للحركة الإسلامية المعاصرة، د. عبدالله سليمان العتيقي

فتنقل بين الهند وإندونيسيا، وشارك الشيخ أحمد السوركتي في كشف دعايات المغرضين لهذه الدعوة»^(١).

وحين تولى حكم الحجاز الملك عبدالعزيز «شارك - العتيقي - في لجنة تسليم جدة إلى ابن سعود من قبل الشريف علي بن الحسين، وتنفيذ اتفاقية التسليم سنة ١٣٤٤ هـ، ثم عمل مساعدًا للأمير فيصل ابن عبدالعزيز حاكم مكة المكرمة والحجاز في ذلك الوقت ونائبًا له، كما كان عضوًا في مجلس الشورى للهيئة التأسيسية لتنظيم أسس حكم الحجاز التي أسسها الملك عبدالعزيز في ذلك الوقت، كما عمل فترة من الوقت متطوعًا في التعليم الأهلي في بلدة المجمعة وتلمذ على يده كثير من رجالها»^(٢).

ج) عمل الشيخ عبدالعزيز الرشيد:

قال الشيخ عبدالله النوري: «وفي أواخر سنة (١٣٤٧ هـ) سافر إلى الحجاز بطلب من ملكها المرحوم عبدالعزيز السعود، وهناك قابله في الحج وطلب إليه أن يذهب إلى الشرق داعية للمذهب السلفي، فسافر إلى جاوة كان الخلاف يومئذ قائمًا على أشده بين العلويين الذين هم دعاة الصوفية، وبين الإرشاديين الذين هم دعاة السلف»^(٣).

ومحمود شوقي اليوبي كان الملك عبدالعزيز قد بعثه قبل الرشيد بسنة.

٤- الاهتمام بمندوبي الملك عبدالعزيز

القصيبي:

خص الشيخ عبدالعزيز الرشيد في مجلة الكويت عبدالرحمن القصيبي المعروف بعلاقته بالملك عبدالعزيز بكثير من الثناء والذكر الجميل ووصفه

(١) عدنان سالم الرومي، علماء الكويت وأعلامها في ثلاثة قرون، (ص: ٤٣٣، ٤٣٢) بتصرف.

(٢) عدنان سالم الرومي، علماء الكويت وأعلامها في ثلاثة قرون، (ص: ٤٣٣).

(٣) كتاب خالدون في التاريخ (ص: ٩٢).

بأنه أحد الأقطاب العلمية^(١) والأدبية في الخليج وقال عن زيارته إلى الكويت:
«وقد أمضى سعادته أيام إقامته في الكويت بين الحفاوة والإكرام من
وجوه الكويتيين على اختلافهم أمراء وأعيان وعلماء وأدباء، ولا بدع أن يلقي
السيد القصيبي ما لقيه في تلك الربوع فقد تمثل فيه معنى ما قاله الشاعر بأبهي
صورة وأجملها

كأنك من كل النفوس مركب فأنت إلى كل الأنام حبيب^(٢)
أقامت له مدرسة السعادة التي أسسها المكرم شملان بن علي بن سيف
حفلة تكريمية حضرها كثير من أفاضل الكويتيين وأعيانهم وأخو المحتفل به
الفاضل السيد حسن بن إبراهيم القصيبي والأديب الفاضل قاسم الشيراوي،
وكانا قدما إلى الكويت لملاقة الضيف المحترم هناك.

وقد فتح الحفلة مدير المدرسة الأديب أحمد بن خميس بن حبران بخطبة
رحب فيها بالزائر المفضل ونوّه بأعماله الطيبة التي أسعف بها كثيراً من

(١) ويعتبر الشيخ «عبدالرحمن» -رحمه الله- أحد كبار الداعمين للعلم ونشره بين الناس فقد
سعى لنشر العلم والمعرفة وأنفق عليهما بسخاء، كما تبرع لتأسيس مكتبة عامة في مكة
المكرمة، وكانت تربطه بالمشاهير في الهند ومصر والشام صلات جيدة. وله تواصل مستمر
مع كبار العلماء.

كما طبع العديد من الكتب على نفقته الخاصة خلال الخمسينيات من القرن الماضي مثل
كتاب (فتح المعجد في شرح كتاب التوحيد)، وكتاب (منح الشافيات في شرح المفردات)،
وكتاب (الروض المربع في شرح زاد المستنقع) وغيرها، وكان قد أهدى القصيبي الشيخ
عبدالعزیز الرشید بعض هذه الكتب التي تولى طباعتها نشر بعضها في مجلة الكويت.

(٢) قال الشيخ عبدالعزیز الرشید في الحاشية: دار بيني وبين الأستاذ الفاضل الشيخ يوسف
بن عيسى والحاج المكرم شملان بن علي بن سيف حديث عن مكارم هذا الضيف الكريم
وأخلاقه وعن الحفاوة التي كان يلقاها حضرته في كل بلد حل بها فقال الشيخ يوسف لا
بدع في هذا وحضر له كما قال الشاعر: كأنك من... إلخ البيت.

المشاريع النافعة ولا سيما تلك المدرسة التي أقامت له هذه الحفلة»^(١).

حافظ وهبه:

عندما جاء إلى الكويت بصفته الرسمية ١٩٢٣م ليتفاوض بشأن الحدود نزل في بيت الشيخ يوسف بن عيسى القناعي وتلقى حفاوة بالغة وتوسط له الشيخ يوسف القناعي في الزواج من شيخة حسن المسعود وتم ذلك من ذلك العام.

٥- دعوة الناس إلى أداء فريضة الحج

قال محمد رشيد رضا: «إن استيلاء إمام السُّنة في هذا العصر عبد العزيز آل سعود على الحجاز، وشروعه في تطهير الحرمين الشريفين من بدع الضلالة، وقيامه بتجديد السُّنة قد كشف لأهل البصرة من المسلمين أن ما كان من تساهل القرون الوسطى في مقاومة أهل البدع؛ قد جرَّ على الإسلام وأهله من الأرزاء، والفساد ما هو شر من تلك البدع نفسها حتى أن طوائف من المسلمين الجغرافيين صاروا يفضلون بعض تلك البدع على أركان الإسلام، ويحاولون تعليق أداء فريضة الحج، وهو ركن الإسلام الجامع لشعبه على بعض تلك البدع بحيث تترك الفريضة، ويهدم الركن الإسلامي إذا لم يسمح ملك الحجاز بإقامة تلك البدع.

بدأ هذا الإمام منذ تم له السلطان على الحجاز بإبطال بدع القبور، والمباني التي افتتن عامة المسلمين بصبغها بصبغة الإسلام التعبدية الذي كان يعمل سلاطين الأعاجم وأمرائهم؛ فقامت عليه قيامة الشيعة أو أعاجمهم وبعض زعماء الأهواء السياسية في الهند والخرافيين عبدة القبور وطلاب الحياة من الموتى، فمنعت حكومة إيران رعاياها من أداء فريضة الحج وبثت الدعاية في الهند لذلك، وتولى الإنفاق على الدعاية غني من أغنياء الشيعة هو محمد

(١) مجلة الكويت ج ٢ (ص: ٦٢٩).

علي راجا محمود آباد، ونصره في عمله في هذا العام السياسيان الزعيمان شوكت علي ومحمد علي، ورئيس جمعية خدام الحرمين وبعض أعضائها الخرافيين المأجورين، وقد بلغ من طغيان هذه الفئة أن طلبت باسم زعيمها من الحكومة الإنجليزية التدخل في أمر الحجاز بالقوة لإزالة الحكومة السعودية منه، وهم يعلمون أن هذا لا يتم إلا بمحاربة هذه الدولة النصرانية له في حرم الله - تعالى -، وحرَم رسولهِ ﷺ؛ ولكن اتباع الهوى، ونصر البدعة أركسهم بما كسبوا؛ فاستحلوا أكبر الكبائر من صد المسلمين عن فريضة الحج إلى دعوة خصوم الإسلام لانتهاك أعظم حرَمات الإسلام، واستحلال ذلك كفر بالإجماع، ولكن الله - تعالى - خذلهم، ونصر دينه، وسُنَّه رسولهُ»^(١).

أ- الثناء على جهود الملك عبدالعزيز على تأمين قوافل الحجاج:

يقول الشيخ يوسف بن عيسى القناعي^(٢) مقارناً بين فترة حكم الأشراف وفترة حكم الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله -: «كنا في زمن الأشراف نخشى على أنفسنا حتى إذا أردنا الذهاب إلى العمرة... وسافرت سنة ١٣٦١هـ في أيام المرحوم عبدالعزيز آل سعود وكنا ننفر بالمسير في السيارة وننام بالمفازة ولم نخش إلا الله... زد على هذا أنني في حجتي سنة ١٣٦١هـ اختلطت في رواحي إلى المدينة مع عرب الحجاز ورأيت من حُسن المعاشرة واللطف ما لم أراه في زمن الأشراف، وسألتهم عن المعيشة فحمدوا الله على ما هم به وأن عبد العزيز لم يقصر عنهم فترى هذا الأمن المستتب إلى يومنا هذا ليس من إقامة الحد عليهم فقط معه الإحسان عليهم ولله در القائل:

(١) مجلة المنار (٢٨/٢٩٣).

(٢) وكل من الرشيد والقناعي حظي بلقاء الملك عبدالعزيز آل سعود وكانت هناك مراسلات بين الملك عبدالعزيز وبين الشيخ عبدالعزيز الرشيد نشر إحدى هذه الرسائل د. يعقوب الحججي في كتابه عن عبدالعزيز الرشيد (ص: ٥٧٩).

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحصان.
والمؤرخ الشيخ عبدالعزيز الرشيد حجَّ قبل وبعد ضم الملك عبدالعزيز
الحجاز للسعودية، وعلّق على الأمن والأمان الذي حصل فقال: «ما كنت
أظن سيحصل هذا التغيير على يد رجل نعرفه ويعرفنا، وما كنت أظن أنه
سيكون إلا على يد عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان». اهـ

ب- كشف دعوات مقاطعة الحج من قبل المغرضين ضد الملك عبدالعزيز
وكان الشيخ عبدالعزيز الرشيد من المدافعين عن الملك عبدالعزيز حينما
كانت تطلق الإشاعات عليه من المتربصين من أصحاب الصحف: «الأخبار
التي تنشرها الصحف اليوم من الحجاز وأهله، وعن الحج وموسمه وعن
جلالة ملكه وحكومته وعن الإرهاقات التي يعامل بها إخواننا النجديون من
يخالفهم في العقيدة والمذهب من الحُجاج لا حقيقة لها ولا أساس لها من
الصحة أخبار يجب على المنصف ألا يتقبلها على علّاتها ويجب عليه أن
يزنها قبل ذلك بميزان العدل والإنصاف»^(١).

ج- طباعة الكتب:

قال حافظ وهبه: «وأحيا جلالته - الملك عبدالعزيز - كثيرًا من تراث
السلف، فأمر بطبع تفسير ابن كثير، وسواه من أئمة التفسير، كما أمر بطبع
كثير من كتب السنة، وشاهدنا في كثير من الأمصار انتشار كتب ابن القيم وابن
تيمية ولا سيما في الأزهر»^(٢).

من مآثر الملك عبدالعزيز طباعة ٧٤ ألف كتاب في سنتين، وفي ذلك يقول
محب الدين الخطيب: «قالت الأخبار: مما يذكر عن أعمال صاحب الجلالة
الملكية الإمام عبدالعزيز ملك الحجاز ونجد وملحقاتها قيامه بأعمال نشر

(١) مجلة الكويت - نشر الكتب السلفية، المجلد الاول (ص: ٤٦٥).

(٢) خمسون عام في جزيرة العرب (ص: ٣٦).

العلم بما لم يسبقه إليه أحد من ملوك الأرض، فقد طبع في خلال هذين العامين على نفقته أربعة وسبعين ألف نسخة من كتب ضخمة ومتوسطة وصغيرة، وجلدها ووزعها على شعبه ابتغاء خدمة الإسلام والعلم، وهذه مأثرة من أعظم مآثره الخالدات فترجو أن يوفق إلى مثلها ملوك الإسلام ليكونوا ملوكًا عاملين على خدمة دينهم وأمتهم الخدمة الحقة».

«وفي مقابلة عبدالعزيز الرشيد مع الملك عبدالعزيز كشف عن آماله الكبيرة في نشر الأسفار الدينية، وقد أثنى الرشيد على دور الملك عبدالعزيز في نشر العلم وطباعة الكتب النفيسة، التي لم يوفق إليها غيره من الملوك والأمراء كطباعة المغني لابن قدامة وتفسير ابن كثير وغيرها من كتب، واقترح عليه طباعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية»^(١).

«وقد كان عالم الكويت الشيخ عبدالعزيز الرشيد يوزع كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة للإمام ابن القيم وشرح العقيدة الطحاوية في بوجور إندونيسيا، وهي من الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز»^(٢).

٦- التواصل العلمي والمراسلات العلمية:

كان هناك عددٌ من طلبة العلم الكويتيين الذين كانوا ملازمين للشيخ علامة القصيم عبدالرحمن السعدي وقرأوا عليه في عنيزة منهم: «عبدالرحمن منصور الزامل، وعبدالعزيز سليمان القاضي»^(٣).

قال الدكتور وليد المنيس: «شخصيات من أهل الكويت اتصلت بالعلامة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ولم أقف على مراسلاتهم وهم السادة: عبدالعزيز يوسف المزيني، صالح عبدالرحمن العبدلي، عبداللطيف الشايع، أحمد غنام الرشيد».

(١) انظر مجلة الكويت (ص: ٢٦٤-٢٦٦).

(٢) د. يعقوب يوسف الحججي، الشيخ عبدالعزيز الرشيد سيرة حياته، (ص: ٤٩٥).

(٣) الدكتور وليد المنيس، الأجوبة السعدية على الأسئلة الكويتية، (ص: ٣٥).

هذه الشخصيات عاصرت العلامة بن سعدي - رحمه الله - واتصلت به، وجلست إليه، ومنهم مَن حمل رسائله وكتبه إلى الكويت، ومنهم مَن التقاه وسلّم عليه، وقد ظهرت أسماء بعضهم على رسائل العلامة ابن سعدي، إذ كان العلامة ابن سعدي يُحمّل مَن يرأسله نقل تحياته وسلامه إليهم في الكويت»^(١). كانت هناك مراسلات بين الشيخ ابن سعدي ومجموعة من المشايخ في الكويت، من أبرزهم:

«رسالة الشيخ محمد الدعيج، عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م)»^(٢).

«رسالة الشيخ عبدالرحمن الدوسري، عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)»^(٣).

«رسالة الشيخ محمد بن سليمان الجراح، عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م)»^(٤).

وتناولت هذه المراسلات مسائل في العقيدة وثناء على العلماء المتمسكين بعقيدة السلف كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد ثبت تدريسهم لكتبهم، قال د. وليد المنيس: «ومما قرأناه على شيخنا محمد الجراح في مقدمة القول السديد في مقاصد التوحيد وهو تعليق وشرح مختصر لكتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وللعلامة ابن سعدي - رحمه الله - صفة عقيدة أهل السنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة»^(٥).

ومن صور التواصل العلمي أيضًا عالم الكويت وفقهها ابن جراح يشكر الشيخ عبدالله بن حميد على إهدائه له كتاب «نقض تأسيس الجهمية» لشيخ

(١) الدكتور وليد المنيس، الأجوبة السعدية على الأسئلة الكويتية، (ص: ٤٥).

(٢) الدكتور وليد المنيس، الأجوبة السعدية على الأسئلة الكويتية، (ص: ١١٨).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٤٢).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٨١). وللتوسع انظر إلى نماذج هذه المراسلات النافعة وغيرها التي جمعت في كتاب الأجوبة السعدية على الأسئلة الكويتية، للدكتور الفاضل وليد المنيس وفقه الله.

(٥) المصدر السابق (ص: ١١٢).

الإسلام ابن تيمية إذ قال فيها: «فقد وصلتني هديتكم السنّية (نقض تأسيس الجهمية) ... ولا تسأل عن سروري بها لأنني مشغوف بحب قراءة مؤلفات هذا الإمام الجليل؛ وكذلك مؤلفات تلميذه الإمام المحقق ابن القيم»^(١).

٧- انتشار الوعي في المجتمع الكويتي:

وتظهر بعض الإشارات عن انتشار الوعي في المجتمع الكويتي في هذه المرحلة حتى تسيدت هذه الثقافة نتيجة عدة مؤثرات وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من ثقافة المجتمع الكويتي حتى التغريبيين أنفسهم الذين اختطفتهم الثقافة الغربية مبكراً اعترفوا بذلك وعلى رأسهم فاطمة حسين، بل وكانت تعتر بأنه جزء من تراثها وثقافة مجتمعتها حين كانت في بعثتها إلى مصر واستنكرت بعض المشاهدات التي رأتها، فتقول:

«نحن القادمين من بلد اتخذت الوهابية سلوكاً ومن تعاليم المصلح الديني الشيخ محمد بن عبد الوهاب نبراساً يضيء طريقها في الدّين والدنيا»^(٢).

وتقول أيضاً حينما طلبت منها معلمتها زيارة قبر أخيها عبد الوهاب حسين التي كانت وفاته في القاهرة، فرفضت ذلك، وقالت: «نحن وهابيون لا نزور القبور»^(٣).

* * *

(١) د. وليد المنيس، عالم الكويت وفتيها وفرضيها الشيخ محمد بن سليمان آل جراح.

(٢) فاطمة حسين، أوراق ص: ٣٧٥.

(٣) فاطمة حسين، أوراق ص: ١١١.

الفصل الثالث

تعقبات على ما كتبه الدكتور خليفة الوقيان بشأن
الدعوة الإصلاحية

ليس هدف هذه الدراسة التعليق على كل ما ذكره الدكتور خليفة الوقيان لكن أحببت إيضاح ما يرجح ضعف أقوال مَنْ يتحدثون عن موضوع الإصلاح الديني بإطلاق القول دون ضابط علمي،
أبدأ بأولها:

١- قال الدكتور خليفة الوقيان: «يُعَدُّ الوهابيون مَنْ يقبل دعوتهم داخلًا في الإسلام وَمَنْ يخالفهم مرتدًا» ص ٢٣٩ في الحاشية.

ولم يعز الدكتور هذه المسألة المهمة إلى أي مصدر!

وإنما ألقى هذا القول على عواهنه والباحث المنصف أو مَنْ يقوم بحثه على أسس موضوعية يجب عليه حين يذكر مسألة مهمة مثل هذه أن يرجع للمصادر الأولية ليكون قوله مبني على أساس سليم، وقد كتب علماء الدعوة الإصلاحية العديد من المؤلفات، فمن أين أتى بهذا الكلام؟

٢- قال الدكتور خليفة الوقيان وهو أحد رموز الليبرالية في الكويت: «ويبدو أن الأفكار التي نادى بها الدعوة السلفية الوهابية في بداية ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب كانت موضع حوار في الكويت ولعلها كانت محل تشكيك وعدم قبول، بسبب تعارضها مع طبيعة الانفتاح والتسامح التي سادت المجتمع الكويتي»^(١).

يقول ويبدو أن بعض علماء الكويت كانوا متأثرين بأعداء الدعوة الوهابية أكثر من تأثرهم بدعاتها، فالشيخ عثمان بن سند ١٧٧٦م الذي عاش في زمن

(١) الثقافة في الكويت (ص: ٢١٧).

الشيخ عبدالله بن صباح كان يجاهر بسب الوهابيين^(١).

نجدُ أن الدكتور خليفة الوقيان لم يراعِ السِّياق التاريخي للأحداث بين أنصار الدعوة الإصلاحية وخصومها بالرغم من اعترافه بتكفير الشيخ عثمان بن سند لهم ودعوته لقتلهم، ولم يتطرق في بحثه إلى العقائد المنتشرة في العالم الإسلامي وما تحويه من خرافات وبدع مخالفة بذلك العقيدة الإسلامية الصحيحة، وذكر عدم قبول أهل الكويت لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، ولم يذكر منهم إلا ابن سند وابن شطي فقط!، وماذا عن الباقيين؟

وهو ما تعمد إغفاله، فالواجب عليه كباحث إحصاء المخالفين وهم - اثنين فقط - والموافقين للدعوة الإصلاحية من علماء للكويت وأن يعتمد على أقوالهم وتقريراتهم ليعلم أنه خلاف ما ذكره في كتابه، وكتابات الرشيد والقناعي تعتبر أولى هذه المصادر التي يمكن أن يعتمد عليها لمعرفة موقفهم من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، فلو عاد إلى هذه المصادر لما جزم بهذا الرأي الغريب!

قال المؤرخ عبدالله العثيمين: «والمأمل في كتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من العلماء يرى أن دعوتهم تركز على وجوب إخلاص العبادة لله، ورفض كل ما يتعارض مع التوحيد مثل الاعتقاد بالأولياء، ومن اطلع على كتب علمائهم المعروفين، وهو ينشد الحق سيجدها متفقه مع النقل الصحيح والعقل السليم في قضية التوحيد الجوهرية.

ولعل أوضح الأمثلة على سلامتها ما أبداه مؤرخ مصر، عبدالرحمن الجبرتي، من إعجاب بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما أظهره علماء الأزهر من إقرار بصحتها عندما عرفوا مضمونها وذلك في وقت كان فيه حاكم مصر يقاتل السعوديين^(٢).

(١) الثقافة في الكويت (ص: ٢٢٧-٢٢٨).

(٢) كتاب محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ، ١٩٩٠ م، ص: ٢١٦.

٣- لم يتبع الدكتور تسمية معينة لأنصار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ولم يضع لها تعريفاً خاصاً وضابطاً معيناً للتمييز بينها وبين إخوان من طاع الله ولا أدري هل هذا تعمدٌ منه أو غفلة لا تليق بمثله لأنها تجعل القارئ محتاراً حينما يقرأ ما كتب، مرة يصفهم الوهابيين أو الإخوان أو الإخوان الوهابيين، فهو لم يستقر على مصطلح، وفي الدراسات العلمية لا بد أن تكون التسمية موحدة في جميع المواضيع وهذا ما لم يلتزم به، بالإضافة إلى أنه لم يضع ضابطاً معيناً، ونحن إذا رجعنا للمصادر الأولية التي تناولت تاريخ الكويت نجد أنهم يفرقون بين أنصار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من علماء الدعوة النجدية وبين إخوان من طاع الله.

ومن ذلك ما ذكره الشيخ عبدالعزيز الرشيد في تاريخ الكويت وهو شاهد عيان في معركة الجهراء، ومثله الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وهو المعروف بين الباحثين التفريق بين إخوان من طاع الله وعلماء نجد ومن ذلك ما ذكره السعيدان في موسوعته لما عرّف الإخوان قائلاً:

«منظمة إرهابية ترأسها فيصل بن دويش، تألفت جماعتهم على شكل حزب عام ١٩١٤م بتشجيع من عبدالعزيز بن سعود حاكم نجد ليأمن جانب الدويش الذي كان قد قام بثورته الأولى في مايو ١٩٠٧ وقد أفاد منهم ابن سعود حيث زودهم بالسلاح والعتاد لغزو الأراضي المجاورة لنجد لغرض الإصلاح الاجتماعي والدعوة إلى اعتناق المذهب الوهابي وقد تهور الإخوان وقذفوا أهل الكتاب بالكفر بسبب التدخين واعتدوا على الكويت عدة مرات أهم ذلك عدوان ١٩٢٠م الذي أدى إلى معركة الجهراء الشهيرة وقد اندحروا في تلك الحرب وقتل منهم الكثير، وهم ليسوا وهابيون بالمعنى الصحيح ولكنهم من محترفي الغزو والسلب والنهب ولما قويت شوكتهم توغلوا في غيهم وعدوانهم وأوقعوا ابن سعود في مشاكل سياسية مع العراق مما جعله يتوقف عن إمدادهم ومساندتهم حتى قاموا بثورة ضد ابن سعود

سنة ١٩٢٩ عرفت بثورة الإخوان وهي الثورة الثانية بقيادة فيصل الدويش لمحاربة ابن سعود بسبب إدخاله المخترعات الحديثة انتهت بالقبض على زعمائهم والزج بهم في السجون وانتهت جماعتهم بموت زعيمهم فيصل الدويش سنة ١٩٣٠»^(١).

ولاحظ ما ذكره السعيدان من أنهم ليسوا وهابيين بالمعنى الصحيح، وأما مخالفة علماء الدعوة النجدية لتصرفات إخوان من طاع الله فهي كثيرة، نذكر منها على سبيل ما يخص معركة الجهراء الوساطة التي ذكرها البسام في كتابه علماء نجد في ثمانية قرون وهو أن بعد معركة حمض بين الإخوان وأهل الكويت غضب الملك عبدالعزيز وبعث العلامة عبدالله بن عبدالعزيز العنقري صاحب الحاشية على الروض المربع والعلامة محمد بن عبداللطيف آل الشيخ ليبلغا الدويش بالعلاقات التي بين ابن سعود وابن صباح وأمرانه بالكف عن الغارات على الكويت أو على ما هو تابع لآل الصباح وأن يرد ما أخذه منهم فنجحت سفارة الشيخين وتم المقصود من ذلك^(٢).

- معركة الجهراء:

بين يدي هذه المعركة أود الإشارة إلى نقاط مهمة لا بد من مراعاتها حين نتناول لهذه المعركة:

١- الرجوع للمصادر الأولية:

عاصر كل من الشيخ عبدالعزيز الرشيد والشيخ يوسف بن عيسى القناعي لهذه المعركة، وذكروا أحداثها ونتائجها، وكان الشيخ عبدالعزيز الرشيد شاهد عيان رئيسي في هذه المعركة، ومع ذلك لم يصدر منهما أي اتهام

(١) حمد محمد السعيدان، الموسوعة الكويتية المختصرة، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٨١م ج١، (ص: ٤٨-٤٩).

(٢) كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون (ج: ٤، ص: ٢٠٦).

مباشر إلى الدعوة الإصلاحية، أو حتى تعريض كما صنع الوقيان في كتابه، بل ثبت دفاعهم عنها والثناء على علمائها كما تقدم من كلامهم.

٢- صَنَّفَ وَكَتَبَ علماء الدعوة النَّجْدِيَّة العديده من المصنفات وهي بين أيدينا، وبإمكان أي باحث الوصول إليها، ولم توجد فتوى واحدة لأحد علماء الدعوة المُعتبرين بتكفير أهل الكويت، بل ثبتت وساطتهم لرد الإخوان ومنعهم ونهيههم على ما أقدموا عليه.

٣- ليس من الإنصاف تحميل دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب مسؤولية تصرفات إخوان من الله أو غيرهم من المتحمسين.

قال المؤرخ يوسف حمد البسام:

«وما يُنسب إلى أهل نجد تكفيرهم من عاداهم، هو بلا شك تزوير من خصومهم، وإن وقعت بعض الأشياء من بعض جفاة البدو والجُهاال، فليس من الإنصاف أن يُنسب ذلك إلى أهل نجد»^(١).

٤- مشاركة أهل نجد دفاعًا عن الكويت:

قال المؤرخ يوسف بن حمد البسام:

«نهض معظم أهل نجد وأهل الزبير القاطنين في الكويت مع إخوانهم الكويتيين لنجدة المرحوم الشيخ سالم ومن معه من المُحاصرين في القصر الأحمر»^(٢).

(١) المصدر: كتاب الزبير قبل خمسين عاما نبذة تاريخية عن نجد والكويت، ص ١٥٧. هذا الأمر يتعمد إغفاله من بعض المُعرضين حينما يتناولون معركة الجهراء في سياق ذم الدعوة الإصلاحية، خاصة من بعض متطرفي الليبرالية أو متعصي العجم من الشيعة، وتناسوا أنه ثبت تاريخياً موقفهم السَّلبي وعدم مشاركتهم في هذه المعركة ومطالبتهم للجنسية البريطانية.

(٢) المصدر: كتاب الزبير قبل خمسين عامًا ص ٢٧٩.

وقال عبدالله الحاتم:

«ومن ذلك ما وقفه فريق من أهل نجد وهم ليسوا من أهل الكويت، ولكن عزَّ عليهم أن يروا إخوة لهم في الدم واللحم يذهبون إلى ساحة المعركة دون أن يكون لهم نصيب في الدفاع عن البلدة»^(١).

* * *

(١) كتاب من هنا بدأت الكويت ص ٥٩.

الفصل الرابع

مظاهر تأثير علماء الكويت بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب^(١)

(١) انظر إلى تقارير علماء الكويت وقارن بينها وبين أناس لا همَّ لهم إلا الطعن بالدعوة السلفية وفي رموزها كشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب، وحثهم على التبرك بالقبور والمقامات والاستغاثة بالأموات.

إن الناظر إلى المبادئ التي ارتكزت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١) - رحمه الله - يمكن من خلالها معرفة مظاهر تأثير علماء الكويت وأهلها، من أهمها:

١- الحث على التوحيد والتحذير من الشرك.

التوحيد أعظم شيء عند الله وأعظم شيء يجب على العبد لله ومن أجله خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب، فالعناية بالتوحيد من أهم المهمات وأوجب الواجبات لذا لا بد من بثه بين الناس وتعليمه وتحذيرهم من الشرك بكل صورته وأنواعه.

وبهذه المبادئ قامت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، ومن أوضح العلامات في ذلك وأشهرها كتابه المسمى (كتاب التوحيد) فهو: «بديع الوضع، عظيم النفع، لم أر من سبقه إلى مثاله أو نسج في تأليفه على منواله»^(٢). وعند النظر فيما قرره علماء الكويت الإصلاحيين في هذه المسألة تجد تأثيراً ظاهراً بما قرره علماء الدعوة، يقول عبدالله بن خلف الدحيان:

(١) لمعرفة حقيقة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب:

- الدرر السنية ١/ ٣٧٢ الطبعة الخامسة.

- الشيخ محمد عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي ص ٢١.

- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها على العالم الإسلامي الشيخ صالح العبود ص ٢٤٧.

(٢) سليمان بن عبد الرحمن الحمدان في مقدمة كتابه الدر النضيد شرح التوحيد.

«قد خلق الله الجن والإنس ليعبدوه ويوحده قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾» [الذاريات: ٥٦-٥٨] فما أرسل تعالى رسله، وأنزل كتبه، وخلق السموات والأرض، إلا ليعرف ويوحّد ويعبد ويكون الدين كله له، والطاعة كلها والدعوة له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ﴾ [الأنبياء: ٦١]، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٣] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١١) [الطلاق: ١٢] فأخبر - سبحانه وتعالى - أن القصد بالخلق والأمر، أن يعرف بأسمائه وصفاته، ويعبد وحده لا شريك له، وأن يقوم الناس بالقسط في جميع ما كلفهم الشرع، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وهو العدل ومن أعظم العدل التوحيد، بل هو رأس العدل وقوامه، كما أن الشرك أعظم الظلم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ- وَهُوَ يَعِظُهُ- يَبْنَؤُ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) [لقمان: ١٣]»^(١).

ويقول الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «توحيد الألوهية وهو توحيد الله بأفعال عباده وصرها إليه وحده كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبه والإنابة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ والآيات الدالة على وجوب صرف هذه الأنواع من العبادة إليه تعالى كثيرة»^(٢).

وكانت هناك رسالة للسيد عمر عاصم الحسنى الأزميرى^(٣) تُعنى بعقيدة

(١) مجالس رمضان (ص: ٢٦، ٢٧).

(٢) مجلة التوحيد، العدد الأول (ص: ٢).

(٣) انظر رسالتي عقيدة التوحيد عند أهل الكويت أرفقت معها رسالة السيد عمر عاصم.

التوحيد وأنواع العبادة وما يضادها من الشرك تُدرّس في المدرسة المباركية، وهي أول مدرسة نظامية في الكويت مما يدل على حرصهم على بيان فضله وأهميته^(١).

هذا الكلام مطابق تماماً لما قرره علماء الدعوة في مؤلفاتهم ورسائلهم^(٢).

وفي التحذير من الشرك والغلو في القبور:

حذر الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من الغلو في القبور، وبينوا أن أول شرك وقع في الأرض إنما كان من الغلو في الصالحين، ومن الغلو فيهم الغلو في قبورهم، بل إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما رأى كثرة وقوع الناس وافتتانهم بالقبور نوّع في التحذير منه، وذلك بذكره في أكثر من باب في كتاب التوحيد وبتراجم مختلفة كباب ما جاء في التعليل فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!

وباب «ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون

(١) تزداد قيمة المسائل أو الأصول الشرعية بسبب كثرة المعارضين لها في الواقع؛ كما حصل سابقاً في مسألة المسح على الخفين وهي مسألة فقهية سهلة لا تستدعي أن تكون أصلاً، لكن حين أنكرها أهل البدع ازدادت قيمة هذه المسألة عند العلماء حتى قال ابن عبد البر: «الحكم الجليل الذي به فرّق بين أهل السنة وأهل البدع».

فكيف إذا كانت هذه المعارضة في الأصول؛ لذلك حرص المصلحون من علماء الكويت على تدريس ثلاثة الأصول في أول مدرسة نظامية في الكويت أنشئت عام ١٩١١م؛ مما يدل على زيادة العناية بتثبيت ما كثرته المعارضة فيه في زمنهم كقضايا التوحيد وما يناقضه من صور الشرك وبيان عقيدة الإسلام الصافية من لوثات الخرافات والبدع.

وذكر نحو هذه التقارير الشيخ عبدالعزيز حمادة وعبد الرحمن الدوسري ومحمد بن جراح وعبد الله السنند وغيرهم من علماء ومشايخ الكويت، للتوسع راجع رسالة د. دغش العجمي ورسالة د. خالد فلاح العازمي «جهود علماء الكويت في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة».

(٢) الدرر السننية (٢/ ١٨٢).

الله» ليكون ذلك أوقع في القلوب وأحسن في التعليم وأعظم في الترهيب وأبلغ في التحذير^(١).

يقول الشيخ عبدالجليل الطبطبائي: «ومنه ما عمَّ به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليق حائط أو عمود أو تعظيم عين أو حجر أو شجر، لرجاء شفاء أو قضاء حاجة، وقبائحهم في هذه ظاهرة غنية عن الإيضاح والبيان، وقد صحَّ أن الصَّحابة مروا بشجرة سدر قبل حنين كان المشركون يعظمونها وينوطون بها أسلحتهم - أي يعلقونها بها - فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط فقال ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(٢).

ويقول عبدالله بن خلف الدحيان: «ونهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن فاعله، ونهى عن تعلية القبور، وأمر بتسويتها، ونهى عن البناء عليها وتخصيصها، والكتابة عليها، والصلاة إليها وعندها، وإيقاد المصابيح عليها، كل ذلك سدًّا لذريعة اتخاذها أوثانًا، ونهى عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، لكون هذين الوقتين وقت سجود الكفار للشمس، ففي الصلاة نوع تشبه بهم في الظاهر، وذلك ذريعة إلى المشابهة والموافقة، بل أكد ذلك بالنهي عن الصلاة بعد العصر وبعد الفجر، وإن لم يحضر وقت سجود الكفار للشمس، مبالغة في هذا المقصود، وحماية لجانب التوحيد، وسدًّا لذريعة الشرك بكل ممكن»^(٣).

وقال الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «إخواني: نقُّوا دينكم من البدع والخرافات، والأضاليل والخزعبلات، وطهروه من الشرك بسائر أنواعه، والتجئوا إلى

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص: ٣١٩)، وحاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص: ١٥٣).

(٢) القول الحسن (ص: ٣٧) كتاب د. خالد فلاح العازمي.

(٣) مجالس رمضان (ص: ١١٥-١١٦).

ربكم في ملماتكم، وادعوه في سركم وعلانيتكم ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، أيها الإخوان: ما هذا الضلال الذي ضرب الدين في سويدائه سُلت من التوحيد يمينه، وارتفع من الشرك رأسه، يستغاث بأموات لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، ويُرجى منهم ما لا يُبتغى أن يرجى إلا من فاطر الأرض والسماء، وقياب القبور تُشاد وتُذور إلى أربابها تُساق، محادة لله في دينه، ومخالفة لرسوله في هديه.

ماذا نعمل أيها الإخوان ونقول؟ ومن ندعو لتلافي هذا الخطر العظيم؟
أعلماء الدين؟ وهم أصل بلائه؟! أم المثرين وهمهم الوحيد تنمية ثرواتهم؟
أم العامة وهم أتباع كل ناعق؟

حالة تفتت الأكباد، وتذيب القلوب، لو أبصرنا خاتم الرسل عليها لأنكر أن يكون أمثالنا من أمته، أو من يستحقون شفاعته والأمر يومئذ لله، فعليها أيها الإخوان أن نتوب إلى الله - تعالى - من تفریطنا، ونبتهل إليه - سبحانه - لإصلاح حالنا^(١).

٢- الشفاعة:

خَصَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب الحديث عن الشَّفاعة بمزيد عناية، وذكر لها باباً مستقلاً في كتاب التَّوحيد، وكان قصده من ذلك أن يرد على المشركين الذين يبررون شركهم ودعاهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم: نحن ندعوهم مع علمنا أنهم مخلوقون مملوكون، ولكن حيث إنَّ لهم جاهاً عظيماً عند الله ومقامات عالية ندعوهم ليقربونا إلى الله زلفى، وليشفعوا لنا عنده كما يُتقرب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم، وهذا من أبطل الباطل، وهو تشبيه

(١) مجلة التوحيد، العدد الثالث، (ص: ٣).

الله العظيم ملك الملوك الذي يخافه كل أحد، وتخضع له المخلوقات بأسرها، بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء في تكميل ملكهم، ونفوذ قوتهم، فأبطل الله هذا الزعم وبيّن أن الشفاعة كلها له كما أن الملك كله له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى إلاّ توحيده وإخلاص العمل له، فبيّن أن المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة، وبيّن أنّ الشفاعة المثبتة التي تقع بإذنه إنما هي الشفاعة لأهل الإخلاص خاصة وأنها كلها منه، رحمة منه وكرامة للشافع، ورحمة منه وشفوعاً للمشفوع له، وأنه هو المحمود عليها في الحقيقة، وهو الذي أذن لمحمد ﷺ فيها وأناله المقام المحمود، فهذا ما دلّ عليه الكتاب والسنة في تفصيل القول بشفاعته، فاعتنى الشيخ بذكر النصوص الدالة على إبطال كل وسيلة وسبب يتعلق به المشركون بأهتهم، وأنه ليس لها من الملك شيء لا استقلالاً ولا مشاركة ولا معاونة ولا مظاهرة ولا من الشفاعة شيء إنما ذلك كله لله وحده، فتعيّن أن يكون المعبود وحده»^(١).

وقريباً من هذا التقرير كانت تقارير علماء الكويت ومصالحهم؛ لذا كان إنكارهم شديد على من يقع منه ذلك.

يقول الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «نحن لا نُنكر أن توجد شراذم ممن ينتمون إلى الإسلام يأتون بأعمال أمام النبي ﷺ وبعض صلحاء أمته تشبه ما يُصرف لله من أنواع العبادات، ولكن شرعة الإنصاف لا تسيع اتخاذ مثل هذا حُجة على الإسلام وأهله، ذلك أنّ الأوباش إن كانوا يعتقدون أن ما يأتون به هو من ضروب العبادات التي يجب صرفها إلى الله، فإنهم بذلك قد خرجوا من الدّين ولا بد، ومرقوا منه كما يمرق السّهم من الرّمية»^(٢).

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٢٨)، القول السديد (ص: ٥٨)، التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٢١٣).

(٢) مجلة الكويت (ص: ٢٠١-٢٠٢).

ويقول الرشيد أيضًا: «أما السعي وراء صرف وجوه الناس إلى الأموات للذبح لهم والنذر لقبورهم والاستغاثة بهم فمما لا يخفى خطره على مَنْ عَرَفَ الحكمة من إرسال الرسل إلى الخلائق جمعاء، فقد اتفقت كلمتهم - صلى الله عليهم وسلم - على وجوب إخلاص العبادة بسائر أنواعها ذبحًا وندرا، ودعاءً، واستغاثةً له - تعالى - دون أحد من خلقه أيا كان»^(١).

واختار الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ما عليه اعتقاد السلف الصالح في حكم التوسل بالنبي ﷺ موافقًا لما قاله الشيخ محمد رشيد رضا في قوله حين نقل عنه: «خلاصة كلامه أن التوسل يراد به ثلاث معانٍ، فالأول: التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به، والثاني: التوسل بذاته وشفاعته فهذا كان في حياته ويكون في يوم القيامة بشفاعته، والثالث: التوسل بمعنى الإقسام على الله بالنبي فهذا لم تكن الصحابة تفعله لا في حياته ولا بعد مماته ولا عند قبره وإنما ينقل عن أحاديث ضعيفة ممن ليس قوله حجة»^(٢).

وقال الشيخ يوسف بن عيسى القناعي: «وقد شاهدت بنفسي في العراق والهند أمورًا منكرة لا يقرها شرع، ولا يقبلها عقل، رأيت أناسًا يستغيثون بصاحب القبر الميت ويطلبون منه ما هو تحت تصرف الخالق، ورأيت أناسًا يتمرغون على الأعتاب ويصيحون بطلب مرادهم من صاحب القبر، وأناسًا يضعون السلاسل في أعناقهم، وأناسًا يدخلون أيديهم في شبابيك القبر رافعين الأصوات يطلبون من صاحب القبر الفرج، وأهل العمائم ينظرون إلى هؤلاء البلهاء ويتلمسون لهم القبول، والشباب المتعلم ينظر إلى هذه السخافات ولا يفوه ببنت شفة، فرحماك يا رب من هذه العقول السخيفة، وهل يُرجى للمسلمين حياة والسواد الأعظم هذه نهاية مدارك»^(٣).

(١) الملتقطات (ص: ٥٨٢).

(٢) مجلة التوحيد العدد السابع (ص: ١).

(٣) الملتقطات (ص: ٨٢).

وقال الشيخ يوسف بن عيسى أيضاً: «أقول إني شاهدت بنفسي في العراق ما قاله الشوكاني عند حديث: (لَا تَدَعِ تَمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ) (من اعتقاد الجهلة بأهل القبور من جلب المنافع ودفع الضرر وشد الرحال إليها واستغاثتهم بها لقضاء الحوائج وتفريج الكرب، وأهل العمائم ينظرون إليهم ولا ينهونهم عن هذه المناكير التي يأبأها دين التوحيد؛ والسبب في ذلك أنهم لو قالوا لهم أن النفع والضرر بيد الله وليس لصاحب القبر حل ولا عقد لترك السواد الأعظم الزيارات لهؤلاء الرمم وانقطع عن أهل العمائم ما يدر الزوار من الدنانير، فإننا لله وإنا إليه راجعون على هذه المصائب التي بلّيت بها المسلمون، وكلها من علماء سوء»^(١).

هذا الكلام مطابق تماماً لما قرره علماء الدعوة في مؤلفاتهم ورسائلهم^(٢).

وذكر نحو هذه التقارير الشيخ عبدالعزيز حمادة والشيخ عبدالرحمن الدوسري والشيخ محمد بن جراح والشيخ عبدالله السند والشيخ عبدالله النوري وغيرهم من علماء ومشايخ الكويت^(٣).

٣- النهي عن البدع والتمسك بالسنة:

تميزت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالحرص على السنة والاتباع والحذر من البدعة والابتداع، وقرر أئمة الدعوة هذا الأصل في كثير من كتبهم ومؤلفاتهم، أثبتوا أن البدعة لا يصح تقسيمها إلى بدعة حسنة وأخرى سيئة، بل كل بدعة ضلالة^(٤) وقد سار الإصلاحيون في الكويت على هذا كما سيأتي.

(١) الملتقطات (ص: ٣٥٨) ولا ينهونهم في الأصل يفهمونهم، كتاب جهود علماء الكويت في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، د. خالد فلاح (ص: ٧٩).

(٢) الدرر السنية (٢/ ١٨٢).

(٣) للتوسع انظر: رسالة د. دغش العجمي «أمراء وعلماء من الكويت على عقيدة السلف» ورسالة د. خالد فلاح العازمي «جهود علماء الكويت في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة».

(٤) ينظر: الدرر السنية (٢/ ٣٤٥).

أ- التمسك بالسنة:

«قد أكد العلماء على الالتزام بالسنة وأن ذلك من موجبات الإيمان المحتمة على المسلم وحذروا من مخالفة السنة وأمروا بالعناية بها ونشرها بين الناس». يقول الشيخ عبدالجليل الطبطبائي: «وإذا اتضح لك ما قررناه وتقررت مسامعك بحلاه من لزوم متابعة الرسول والتأسي بهديه والمحافظة على المستطاع من أمره ومجانبة نهيه، وبأن لك أن الخير كله منحصر بمتابعته والتمسك بعُرى سنته، فتكون من الدعاة إلى طريقته جهداً وتنطق في ذلك نفيس ما عندك»^(١).

يقول الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان: «ثم بين جل جلاله أن مخالفة أمر نبيه ضلال وعاقبة أمرها خسران ووبال، فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٦٣) وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٦٥) فحذّر سبحانه وأوعد وأقسم وأكد لتعلموا أن من شعب الإيمان وكمال الإسلام والإتقان اتباع سنته وآثاره والتسليم والتصديق لأفضيته وأخباره وتوقيره وتعظيمه وإجلاله وتكريمه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا^(٩) وكما قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١٥٧) ألا وإن من تعظيمه وتوقيره المطلوب لإيثار حبه على كل محبوب، ففي الحديث المتفق على صحته أن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٢).

(١) القول الحسن (ص: ٥٢)، كتاب جهود علماء الكويت في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة (ص: ١٦٧).

(٢) مجموعة الخطب (ص: ٢٥٥-٢٥٦)، وجهود علماء الكويت في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة (ص: ١٦٨).

وقال الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «والمؤمن الذي خالطت بشاشة الإيمان قلبه هو من يتمسك بعروة الحديث إذا صح عنده ويهتدي بنوره الوضّاح غير ملتفت إلى أي قول مهما عظم صاحبه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾»^(١).

ب- التحذير من البدع:

يقول عبدالجليل الطبطبائي: «قوله (وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا) والمحدثات جمع محدثة والمراد بها ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويُسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس بدعة، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة، فإن كل شيء أُحْدِثَ على غير مثال سابق يُسمى بدعة»^(٢).

وقال أيضاً: «قوله ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ) أي أنشأ وابتدع وأتى بشيء من قبل نفسه ولم يكن موجوداً في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو المُسمى بالبدعة.

قوله (في أمرنا) أي ديننا وشرعنا، وعبر عنه بالأمر تنبيهاً على أن هذا الدين أمرنا الذي نهتم به ونشتغل به بحيث لا يخلو عنه شيء من أقوالنا ولا من أفعالنا»^(٣).

ويقول عبدالجليل الطبطبائي: «وَمِنْ أَشَدِّ الْبِدَعِ الضَّلَالَةُ الْمُحَرَّمَةُ بِدَعِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ كَالْقَدْرِيَّةِ وَالرُّوَافِضِ وَالْمَرْجِئَةِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّا بَيَّنَّهُ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْفِرْقِ الْهَالِكَةِ، وَأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ كَمَا قَالَ الْمُصْطَفَى ﷺ: (إِنَّهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ

(١) مجلة الكويت والعراقي (ص: ٢٦٤، ٢٦٥)، وجهود علماء الكويت في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة (ص: ١٦٨).

(٢) القول الحسن (ص: ٢٨) كتاب جهود علماء الكويت في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة (ص: ١٧٩).

(٣) المصدر نفسه (ص: ٤٦).

إِلَّا مَا كَانَ عَلَيْهِ أَنَا وَأَصْحَابِي)، والناجي مَنْ تَمَسَّكَ بِهِدْيِهِمْ وَابْتَغَى أَثْرَهُمْ
وَاهْتَدَى بِسُنَّتِهِمْ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ»^(١).

وقال أيضًا: «وأشد أهل البدع اليوم في زماننا وأضلهم بدعة الرافضة، فإنها
بدعة قبيحة شنيعة وقد عمّت وطمّت وتنوع ضلالاتهم وفساد عقائدهم وأكاذيبهم
وتحريفهم معاني كتاب الله وما أنزل الله به وحمله على ضلالتهم أمر مشهور»^(٢).

قال الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان: «أيها الناس اتقوا الله بامثال أوامره
واجتناب نواهيه وزواجره وجاهدوا أنفسكم على التمسك بما شرع ومخالفة
الآهواء في المعاصي والبدع»^(٣).

قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «والرسول ﷺ يقول فيما ثبت عنه (كُلُّ بَدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ) وقد تقرر في علم الأصول أن (كل) هي أم أدوات
العموم التي لا يخرج شيء من الأفراد من دائرتها ولهذا يقول الإمام مالك -
رحمه الله - (مَنْ زَعَمَ أَنَّ فِي الدِّينِ بَدْعَةً حَسَنَةً فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ)
خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾»^(٤).

يقول الشيخ يوسف بن عيسى: «وأقول من البدع ما يُصنع بالعراق، وهو
إذا مات الميت جلس أهله للتعزية وجعلوا لهم قُرَاءَ يقرأون القرآن، وأهل
الميت يتكفون للمعزّين بالطبخ وتقديم أنواع المأكولات للمعزّين، ومن
المعزّين مَنْ يُقدّم هدية من الأرز والسمن وما أشبه ذلك، وهذا خلاف سنة
النبي ﷺ، بل على الجيران أن يصنعوا لأهل الميت طعامًا ويُقدّم لهم؛ لأنهم
في شغل شاغل من ألم المصيبة، وقد أمر الرسول بذلك وقال: «اصْنَعُوا لِآلِ
جَعْفَرٍ طَعَامًا»^(٥).

(١) المصدر نفسه (ص: ٣٨).

(٢) المصدر نفسه (ص: ٤٠).

(٣) علامة الكويت عبدالله الدحيان، (ص: ٣١٩).

(٤) مجلة الكويت والعراقي (ص: ٤٩٥).

(٥) الملتقطات (ص: ٥١١).

التحذير من الصوفية:

كثيرًا ما نقلَ الشيخ يوسف بن عيسى في كتابه «الملقطات» هذه الكلمة عن الشافعي (رأي الأئمة في التصوف)، قال الشافعي: إذا تصوّف الرجل في الصباح لا يأتي المساء إلا وهو مجنون.

ونهى الإمام أحمد عن قراءة كتب المحاسبي مع التزامه الكتاب والسنة علمًا وعملاً^(١).

قال الشيخ يوسف بن عيسى القناعي: «وحدة الوجود عند الصوفية هي أن وجود الخالق هو عين وجود الخلق أي أن: ذات العبد هي ذات الرب وجميع الكون وما فيه من مخلوقات شيء واحد، وبعبارة أوضح أن العبد جزء من الرب تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وأما وحدة الشهود فهي أن يغيب عن شهود نفسه بالفناء في الله ولا يرى إلا الله في كل شيء، وأهل وحدة الوجود والشهود جاءت للصوفية عن البراهمة والبوذية»^(٢).

قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «ما كنت أحسب أن السيد التفتازاني بلغ به انحطاط الفكر، والجهل بالشريعة إلى هذا الحد المُرري، لم يدر بخلدي أن أسمع منه كلمة يحسّنُ فيها ما يعملها الجهلاء عند المشاهد والقبور مما هو شرك يسلم صاحبه من الإسلام رضى أم أبى، نحنُ لا ننكر من الطرق إلا ما هو مصادم للشريعة ومخالف لما عليه سلفها الصالح، ننكر هذا راجين الأجر من الله، وننكر على أربابه أيا كانوا، ننكر ما يقوله بعضهم لبعض إخوانه: (لو رأيت أبا يزيد البسطامي مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة !!)^(٣).

وننكر وصية بعضهم لمريديه عندما حضرته الوفاة بأن يستغيثوا به إذا نزلت

(١) الملتقطات (ص: ٤٨٦).

(٢) الملتقطات (ص: ٢٥٨).

(٣) الأثر في إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٣٥٦). قال د. دغش: هذا الكتاب عمدة الصوفية.

بهم نازلة بعد أن يفارقهم فإنه ينجيهم، ويحذرهم من الاستغاثة بالله، وأنهم
إن فعلوا هلكوا!!

وننكر قول بعضهم: أنا الله وليس في الجبة إلا الله...

ونُنكر قول بعضهم: إن الولي إذا وصل إلى حد الفناء سقط عنه التكليف،
وننكر وننكر مما لو أردنا الإفاضة فيه لبلغ مجلدات!!

وأحملك هنا إذا أردت أن تعرف حقيقة عقيدتنا في الطرق وأربابها على
رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية سماها (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء
الشیطان) فحينها ستعرف الحق الذي تجاهلته^(١).

وقال الرشيد عن كتاب الميزان للشعراني: «فيه نظريات صوفية مخالفة
لظاهر الشريعة الغراء»^(٢).

وحذّر الرشيد من وحدة الوجود وحذّر من ابن عربي وطائفته إذ يقول:
«إن لشذاذ الصوفية القائلين بوحدة الوجود أقوالاً كثيرة مخالفة لعقائد
الإسلام»^(٣).

* * *

(١) مجلة التوحيد (ص: ٧-٦) بتصرف، كتاب أمراء وعلماء من الكويت على عقيدة السلف،
د. دغش العجمي (ص: ١٨٨).

(٢) مجلة الكويت العدد الأول (١-٤٤) كتاب أمراء وعلماء من الكويت على عقيدة السلف.
قال د. دغش العجمي (ص: ١٩٠): «الشعراني من رؤوس الخرافة الصوفية، وقد ملأ كتبه
بما لا يصدقه إلا المجانين، هذا عدا ما فيها من شركيات وبدع لا تمت إلى الإسلام بصلة».

(٣) مجلة التوحيد، عبدالعزيز الرشيد (ص: ٤).

خلاصة هذا المبحث:

هذه بعض مظاهر تأثر علماء الكويت بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ولا يمكن الجزم بأن علماء الكويت لم يتأثروا بدعوة الشيخ؛ لأنهم لا يذكرون الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه كثيراً في مؤلفاتهم ورسائلهم وخطبهم ومحاضراتهم سوى كلمات عابرة، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن علماء الكويت غير متأثرين بالدعوة ومنهجها، كما أن القول أن علماء الكويت بدت على بعض تقاريرهم ما يدل على تأثرهم بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يلزم منه الحكم عليهم أنهم وافقوا أئمة الدعوة بكل أقوالهم وأفعالهم.

لكن أود التنبيه على مسألة مهمة كثيراً ما يتم الخلط فيها، فمن المناسب أن نقول بعد أن عرضنا تقارير علماء الكويت، التي تخالف ما عليه المتصوفة من ضلالات، كالكلام المتعلق بالتوحيد والاستغاثة بالأموات وما يحصل عند القبور من بدع وشركيات، فهذه التقارير لا يقبلها الصوفية ويرمون أصحابها بالوهابية!!.

فمن الإجحاف ما يفعله بعضهم من التوقف من الناحية التاريخية عند ما يسمى بالمولد الذي احتفل به بعض علماء الكويت ليستدل به أن الكويت صوفية!!

فيمسح بعد ذلك كل كلامهم وتقاريراتهم وحتى تحذيراتهم من الصوفية الخرافية والقبورية؟

وما سبق من تقارير لعلماء الكويت لو قررنا مثلها اليوم لرمانا الصوفي الأشعري بالوهابية والمجسمة وغيرها من ألقاب تنفيرية كعادة أهل البدع والأهواء معترفاً بأن هذه التقارير تخالف عقيدته وتوجهه، وأما الجواب فيما يتعلق ببعض اجتهاداتهم كاحتفال بعضهم بالمولد فأقل ما يُقال أنها نتيجة طبيعية أن تبقى بعض الرواسب من بقايا البيئة السابقة التي اعترف

بسلبيتها الشيخ يوسف بن عيسى القناعي: «نشأت في الكويت كما نشأ غيري من أبنائها في محيط عمّه الجمود واستحكمت فيه البدع والخرافات التي سترت الحق وقلبت الحقائق»، فقد نشأوا في زمن صعب اختلط فيه الحابل بالنابل والسنة بالبدعة والحق بالباطل، فكيف إذا أضفنا إقرار الشيخ يوسف بن عيسى بأن أصل الاحتفال بالموالد بدعة ومع ذلك رخص فيه إذا لم تصحبه محاذير شرعية، والعالم في شريعتنا ليس بمعصوم فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، وذنبه مغفور ومغمور في بحر حسناته، ولا نتابعه في خطئه.

يقول الشيخ يوسف بن عيسى: «لم يكن في زمن النبي ﷺ والصحابة والتابعين وتابعي التابعين شيء من الاحتفالات بالمواليد، وأول من أحدثها الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع، فابتدعوا ستة مواليد، مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - ومولد علي، ومولد فاطمة الزهراء، ومولد الحسن ومولد الحسين، ومولد الخليفة الحاضر، وأول من أحدث المولد النبوي في مدينة أربل الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع واستمر ذلك إلى يومنا هذا، وقد زيدت في عصرنا هذه الاحتفالات بمواليد الملوك والأمراء وبيوم جلوسهم للحكم.

فأعياد الميلاذ هذه كلها بدع لم تُعرف في زمن السلف الصالح، وأما حكمها شرعاً فهي على حسب ما يقترن بها، فإذا كان الاحتفال مقترناً بذكر السيرة الحسنة للمُحتفل به كذكر ما له من الأعمال الطيبة والإحسان إلى الفقراء والمساكين، فهذه بدعة لا تصادم الشرع، وإن كان الاحتفال مشتملاً على المفساد كشرب الخمر واختلاط الرجال بالنساء، والثناء الكاذب بما لا يستحقه المُحتفل به فهذا حرام، والله أعلم»^(١).

ومع بيان الشيخ يوسف بن عيسى بأن أصل المولد بدعة، إلا أن احتفالهم

(١) الملتقطات، (ص: ٣٢٣).

كان قاصراً على قراءة سيرة النبي ﷺ ومآثره، بخلاف ما يفعله غلاة المتصوفة اليوم في مجالس احتفالاتهم من قراءة أشعار فيها استغاثة بغير الله وغلو في جناب المصطفى ﷺ وتدنيس للمساجد بآلات اللهو والرقص، فهذا كافياً في القول بتحريمه، فكيف إذا كان العمل في أصله مبتدعاً ولم يكن في القرون المفضلة؟.

* * *

الفصل الخامس

بداية الحركة الإصلاحية الدينية في الكويت

كان للحركة الإصلاحية التي قادها الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان والشيخ يوسف بن عيسى القناعي والشيخ عبدالعزيز الرشيد دورًا واضحًا في مسيرة الثقافة في الكويت، ويظهر ذلك من خلال ما كُتب عنهم وما قاموا به من مشاريع إصلاحية عديدة، وكان سبب التركيز على مسيرتهم؛ لأنهم يمثلون حلقة الوصل بين الكويت القديم والكويت الحديث، وأنهم قاموا بإزاحة العلماء التقليديين عن المشهد الثقافي ثم تسيدوه لثقة الناس بهم، فأزاحوا كثيرًا من الخرافات والبدع التي كان يتلبس بها العامة من خلال خطبهم ومقالاتهم، وأمّا مَنْ شَرِقَ بدعوتهم وألب عليهم، فهؤلاء كانوا أخلاطًا وأصنافًا وغالبهم أخذته حمية وعصية جاهلية تجاه دعوتهم، أو كانوا ممّن يخافون فوات حظ من حظوظ الدنيا التي كانوا يتأكلون بها قبل أن تنهض الدعوة الإصلاحية في مواجعتهم.

فقد تحولت الحركة الإصلاحية إلى ظاهرة اجتماعية وفكرية، وقد أحدثت تأثيرًا عميقًا في بنية المجتمع الكويتي فكريًا، وصنعت عقلاً جمعيًا لدى قطاع عريض من أبناء المجتمع الواحد، وقد تقدّم الحديث عن تأثيرها وتأثيرها وأسباب التأثير والعوامل المشتركة بينها وبين دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، وأمّا الإيجابيات التي أحدثتها فهي منشورة ومشهورة في الكتب التي تناولت تاريخ الكويت، لا يتسع المجال لبسط الحديث عنها؛ لهذا قَصَرْتُ كلامي في هذا البحث على جزئية الإصلاح الديني؛ لأنه ثمة نغمة تردد كثيرًا وهي أن الطرح الديني السلفي هو طرح متشدد لم تعرفه الكويت، وقد قضى على التسامح التي تشهده منذ عقود، وهو أحد أسباب انتشار الجمود الفكري، وهذه الفكرة تلقى رواجًا عند الليبراليين وغيرهم،

والحقيقة أنَّ هذا الانتقاد سببه:

١- قصور التتبع التاريخي لتاريخ الأفكار في المجتمع الكويتي:

فمن يُقارن بين الخطاب الديني السلفي وبين خطاب الحركة الإصلاحية في الكويت سيُدرِك تمامًا أنهم امتداد طبيعي لها، فكلاهما ينتمي للسلف الصالح عقيدة ومنهجًا.

٢- خفاء المضامين الدَّعوية التي نادت بها هذه الحركة الإصلاحية.

كان من نتيجة الإعراض عن المضامين التي جاءت بها هذه الدعوة الإصلاحية، تجهيل الأجيال عن حقيقتها، وصرْفهم عن التَّحدُّث عن أهم الموضوعات التي تناولتها واهتمت بها أو حذرت منها؛ فلذلك أصبح الواحد منَّا حين يتحدَّث عن التوحيد ونشر السُّنة والتَّحذير من البدع، تُرفع شعارات الخشية على الوحدة الوطنية أو إثارة الحساسيات بين أبناء الوطن الواحد!

لذلك يستحسن الوقوف على أهم آثارهم في مجال الإصلاح الديني ومعرفتها:

١- تصحيح العقيدة الإسلامية من شوائب الشُّرك والبدع والخرافات، وإرجاعها إلى ما كانت عليه في عهد خير القرون، عقيدة مبنية على الكتاب والسُّنة بفهم سلف الأمة.

٢- مثلت دعوتهم امتدادًا للدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي، وبالأخص الدعوة الإصلاحية في نجد، إذ في حُقبتهُم كان الموحدون متميزين في كل بلد، في الشَّام ومصرَ والعراق والمغرب العربي والهند وإندونيسيا؛ لذلك ظهرت الكثير من نماذج وصور التعاون بينهم.

٣- التحرر من ربة التقليد الأعمى، وانتشرت في المساجد تعليم كتب السُّنة كالبخاري وغيره.

وأصبح الأصل عندهم مرجعية الوحي، وهي الحاضرة في استدلالاتهم،

وهي التي يُرد إليها كلام كل أحد بعد النبي - صلى الله عليه وسلم -، فما عدا ذلك فهو مخالف للسلف في أصل منهجهم وأساس طريقتهم.

٤- ظهور نشاط دعوي مؤثر أسهم في حركة تحصين المجتمع، وانتشرت عدة حواضن علمية كتأسيس الجمعية الخيرية، والمدرسة المباركية وغيرها.

هذه المضامين التي دعوا إليها هي ما يُفسر اصطباغ الثقافة الدينية الكويتية بها، إذ هو نتيجة لها، فوجود الخطاب السلفي كان محصوراً بطبقة ذوي الأصول النجدية وهم إحدى فئات المجتمع، لكن الدعوة الإصلاحية نجحت في توسيع دائرة التأثير للوصول إلى غالبية طبقات وفئات المجتمع الكويتي، وهو ما أسهم في تكوين العقل الجمعي الكويتي وفقاً لما أنتجته دعوتهم.

ومن تلك المظاهر السلبية التي ساهموا في القضاء عليها:

١- وجود المزارات والافتتان في القبور:

ومن المظاهر الخرافية التي كانت موجودة في فيلكا ما ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب: «افتتان بعض الناس بالطواغيت والغلو في أدعاء الولاية والصلاح مثل يوسف والأشقر وأبي علي والخضر من أهل الكويت»^(١).

قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد عن جزيرة فيلكا: «وفيها مزاراة قد فُتت العامة فيها فكانوا يذبحون لها وينذرون ويبتهلون إليها في قضاء الحاجات وإبراء العاهات، ويستغيثون بها في رد الغائب ومنح الأولاد إلى أفعال لا يقرها عقل ولا نقل، ومن تلك المزارات خمسة: الخضر، وسعد، وسعيد، والبدوي، وابن غريب، ولكن هذه الاعتقادات قد أخذت بالتناقص والاضمحلال»^(٢).

وذكر نحو هذا الكلام المؤرخ سيف مرزوق الشمالان.

(١) الدرر السنية (١/١٠٣).

(٢) تاريخ الكويت (ص: ٢٤).

٢- الجمود والتعصب:

قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «كانت الكويت من نشأتها إلى قبل عشرين سنة غارقة في بحر الجمود ومنغمسة في حمات التأخر، ولا أثر للحركة العلمية والفكرية فيها، وكان الشائع بين أهلها إذ ذاك مبادئ الفقه والعربية والخط المتوسط والحساب البسيط، وماعدا هذا من العلوم العصرية والمشاريع النافعة والآراء الحية فليس لها أثر بينهم، ولو وجد شيء منها إذ ذاك لنفروا منه ومن أهله النفور العظيم ولرموا متعاطيه بالزندقة والإلحاد»^(١).

٣- انتشار البدع:

وكان الشيخ يوسف بن عيسى القناعي يقول عن نفسه: «نشأت في الكويت كما نشأ غيري من أبنائها في محيط عمّه الجمود واستحكمت فيه البدع والخرافات التي سترت الحق وقلبت الحقائق، وكان لمؤلفات الإمامين ابن تيمية وابن القيم ومجلة المنار الغراء أكبر أثر في إنارة السبيل أمامي وإماطة الستار الذي أبصرت من خلفه الحق واضحا، فنفرتُ بعده من كل ما ألفتة مما لا يتفق والدين في شيء»^(٢).

فمن أسباب تحريف الدين وتغيير الشرائع وفشو البدع تقاعس أهل العلم عن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي ذلك يقول المعلمي: «وقد مضت عدة قرون لا تكاد تسمع فيها بعالم قائم بالمعروف لا يخاف في الله لومة لائم، بل ولا تجد رجلاً من أهل العلم إلا وهو حافظ لحديث (حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ هَوَىٰ مُتَّبِعًا وَشُحًّا مُطَاعًا وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَوِيصَةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ) يعتذر به عن نفسه، ويعذل به مَنْ رآه يتعرّض لإنكار شيء من المنكر... وعلى كل حال فالمعروفون من العلماء

(١) تاريخ الكويت (ص: ١٢٧).

(٢) عبدالعزيز الرشيد، تكملة تاريخ الكويت، شرحه وحققه: خالد عبدالقادر عبدالعزيز الرشيد، الطبعة الأولى، ١٩٢٦، (ص: ١٤١).

بذلك أفراد يعدون بالأصابع والجمهور ساكتون، وأما في القرون المتأخرة فشاعت المنكرات بين الملوك والأمراء والعلماء والعامّة ولم يبق إلا أفراد قليلون لا يجسرون على شيء، فإذا تحمّس أحدهم وقال كلمة، قالت العامة: هذا مخالف للعلماء، ولمّا عرفنا عليه الآباء، وقال العلماء: هذا خارق للإجماع مجاهر بالابتداع، وقال الملوك والأمراء هذا رجل يريد إحداث الفتن والاضطرابات، ومنّ المُحال أن يكون الحق معه، وهؤلاء العلماء ومنّ تقدمهم على باطل، وعلى كلِّ فالمصلحة تقتضي زجره وتأديبه!

وقال بقية الأفراد من المتمسكين بالحق: لقد خاطر بنفسه وعرضها للهلاك، وكان يسعه ما وسع غيره!

وهكذا تمت غربة الدّين، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون! (١).

قال خالد الفرّج في كتاب الخبر والعيان في تاريخ نجد (٢): «وكثير هم الذين يرون الفساد بالغاً أشده، والاعوجاج حد ميله، والأمة في فوضى من الأخلاق والعادات الفاسدة الطارئة على سننها القويمة، فينكرونها، ولكنهم لا يجدون سبيلاً إلى الإصلاح، ولا يد لهم في مقاومة التيار، فيتوجعون ويتأوهون ويقتلون نفوسهم حزناً وألماً دون أن يفكروا بكلمة حتى يقولونها، أو اتخاذ خطة لملاقة ذلك الخطر الداهم الذي يحسون به ومنه يتألّمون. وهم على كثرتهم لا يفيدون أمتهم ولا يستفيدون».

لذا بعد ما رجع المصلحون من رحلاتهم العلمية أخذوا يدعون إلى العقيدة الصحيحة وإلى نبذ الخرافات والبدع بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا بدّ لكل قائم بالإصلاح من الاصطدام بعناصر معارضة تتعارض أهواؤها ومصالحها مع هذه الإصلاحات؛ ولذا استشعر أهل الجمود والخرافات أنهم أمام خطر يهدد نفوذهم الروحي في الكويت ويجعلهم كغيرهم من

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ص: ١١٣-١١٤).

(٢) (ص: ١٤٤).

الناس حصل النزاع والتخاصم وانقسم الناس في الموقف من هذا الصراع فريق يعارض بشدة الإصلاح، وفريق مؤيد لهم ويرى أن طريقهم خلاص للمجتمع من رق العادات والخرافات المخالفة للشرع، وفريق ثالث مؤيد للمبادئ لكنّه ينأى بنفسه عن أي صراع أو ربما يخالف طريقتهم بالهجوم على خصومهم^(١).

فلما بدأ المصلحون بطرح المشاريع العامة لصالح جميع مكونات المجتمع، خلق المعارضون حواجز مصطنعة وخوف مبالغ فيه تجاه ما هو جديد ولم تكن آراؤهم نابعة من أصول شرعية، وقد كانت هذه الفئة مهيمنه على الرأي العام وليس لديهم رغبة في الحوار ولا تتيح للجانب الآخر لكي يعبر عن رأيه فضلاً على أن يؤخذ به، فأى حركة ستفسر بتفسير مسبق وجاهز أمام أي مشروع إصلاحي؛ لذلك رأى الشيخ عبدالعزيز الرشيد لا بُدّ من المواجهة فبدأ بمحاورته الإصلاحية حيث قال^(٢): «أيها السادة إني

(١) لذا لمارجع الشيخ يوسف بن عيسى من رحلته إلى الحجاز كانت تراوده الأفكار الإصلاحية وفتح مدرسة خاصة له، وقد كان ممن تأثر بالشيخ شعيب الدكالي الذي أدخل عقيدة السلف إلى أهل المغرب وأرسل محمد أمين الشنقيطي إلى الزبير ليؤسس مدرسة النجاة، وكانت فكرة المدرسة التي أنشأها الشيخ يوسف بن عيسى القناعي بنصيحة من محمد أمين الشنقيطي كما ذكر الشيخ عبدالعزيز الرشيد في تاريخ الكويت.

(٢) من رسائل الشيخ عبدالعزيز الرشيد، إعداد: شيخة عبداللطيف الرشيد، الكويت، ٢٠١٧، (ص: ٧٥-٧٦-٧٧-٧٨).

مما يلاحظ تتابع الباحثين على رسم صورة نمطية معينة حول الخلاف بين الجامدين والعلماء الإصلاحيين في الكويت فقط، فأخذوا صورة الخلاف من جانب وتركوا جانباً مهمّاً، وسبب ذلك قد يكون قلة المصادر التي تبسط لنا طبيعة هذا الخلاف من ناحية، ومن ناحية أخرى ما يتعلق بالتقريرات الشرعية سواء للمصلحين أو من خالفهم، فلو نظرنا للمباحث العقدية التي كان يطرحها المصلحون ستكشف شيء من طبيعة هذا الخلاف وهذا لا يكون إلا لمتخصص في معرفة جذور وأصول هذه التقريرات التي ينطلق منها كلا الفريقين وليس مجرد مؤرخ لصعوبة الفصل بين البحث التاريخي والعقائدي، فتنميط

صمّمت على ذلك ولكن تجسّمت أمامي أبحاث عديدة وآراء كثيرة فاخترت منها أهمها ألا وهو تشخيص داء المسلمين، وقد بحثت كما بحث سواي عن أصل ذلك الداء لا شخصه وفتشت عن جذوره كما فتش غيري لأقطعها. فتشت عنه في مجالس الزُّهاد والفقراء بل بين الجماعات المختلطين والأفراد المتفرقين، فمللت من البحث عما أريد وسئمت من التفتيش عما أبتغي حتى كاد اليأس يستولي علي، ولكنني أخيراً علمتُ أن من أهم ذلك هو فساد مَنْ بيدهم أزمة الآراء وبأكفهم أعنة الأفكار. فساد مَنْ إذا قالوا أصغي لقولهم أو أمروا امثّل أمرهم. فساد قوم لهم من السلطة الدينية على السواد الأعظم ما ليس لسواهم. فساد مَنْ يدعون أنهم حملة الدين وأنهم معاقله وحصونه. فساد أولئك العلماء الذين أقاموا قصوراً عالية للعقائد الباطلة ورفعوا رايات خافقة للآراء الكاسدة مما لا يتفق مع الدين في نقطة من نقطه ففساد أولئك هو من أعظم أدواء المسلمين بل من أظهر أسباب تسفلهم وانحطاطهم على أنهم لو حصروا فساد عقائدهم في محيط أفكارهم لكان الخطب سهلاً والمصيبة صغيرة، ولكنهم نشروها بين أولئك الأغرار فاعتقدوا فيهم أنهم الأولياء الصالحون والعلماء المخلصون. اعتقدوا فيهم ذلك الاعتقاد فكانوا آلة بأيديهم يديرونها كيف شاؤوا ويصرفونها إلى حيث أرادوا. نشروها بينهم فظنوها من الدين والمخالف لها مخالف لحقيقته جاحد لربه. ظنوا هذا الظن الباطل فعادوا مَنْ قام بينهم مبيناً فساد ما اعتقدوه وبطلان ما رأوه رامين له

الخلاف بجعله بين القديم والجديد والجمود والتطور مخالف لحقيقة الخلاف، فقد كانت هناك بدع ومخالفات قد تلبّس بها بعضهم، وخلقوا سبباً ضد كل من يخالف السائد في عصرهم، لذلك سعى المصلحون إلى مواجهته وإزالة هذه الخرافات بعدة وسائل، ولو نظرنا إلى المحاضرة الإصلاحية للشيخ عبدالعزيز الرشيد سنجد أنه لخص كثيراً من طبيعة ذلك الخلاف في العالم الإسلامي كله وليس فقط في الكويت، ونجد أيضاً كثيراً ما تطرق العلماء كالشيخ يوسف بن عيسى ومن وافقهم من الشعراء والمثقفين عن الحديث عن علماء السوء وتغريهم للعامة وعدم إنكارهم ما يحصل عند القبور من منكرات.

بالزندقة والإلحاد بالمروق والفساد.

أيها السادة! إنني أقول ذلك وأنا على يقين أن كلامي هذا سيسوء قومًا جاهلين صَرَبَ الجمود خيامه في أذهانهم. نعم يسوؤهم ويسوء قومًا ملئوا حقدًا وحسدًا وغيظًا على الحق وأهله، ولكن مالي ولهم أيها السادة فليقولوا ما شاؤوا وليجلبوا عليّ بخيلهم ورجلهم فأنا لم أقل إلا الحق ولم أنطق إلا بالصواب.

وإن ارتبتم أيها السادة في صدق ما أقول فانظروا إلى ما عمله العامة عند الأموات في سائر الجهات، وما يأتون به من المآثم والمنكرات من حج إلى قبورهم كحج بيت الله الحرام، والالتجاء إليهم كالتجائهم إلى الملك العلام، ومنكرات تفقأ عين الدين وتطفئ مصباح اليقين، منكرات يتخذ العدو منها سلاحًا يقاتلنا به وحجة يحتج بها علينا، منكرات تجري على مرأى ومسمع من أولئك العلماء. بل القادة الجهلاء وهم عنها صامتون لا ينكرون ولا يتكلمون ولا يعظون ولا يُذكِّرون، مصيبة عظيمة ضربت الدين على رأسه وأحرقت أحشائه وضلوعه، وليتها - أيها السادة - وقفت عند هذا الحد المُحزن ولكن الأمر الذي لا يُطاق والمصيبة التي لا تُحتمل أن أولئك العلماء لتلك الأعمال يحسنون ولهاتيك العقائد يصححون، ويدلون لها بالحجج والبراهين، هذا ما سلكوه فيما جاء الدين بإبطاله والقرآن بنفيه، أما إذا ذكرت بينهم نظرية من النظريات العصرية أو رأي من الآراء التي لم يألفوها وهي مما يقبلها الدين ويتسع صدره لها، فإنهم ينفرون منها ويستشيطون غيظًا وتحمر وجوههم وتعلو أصواتهم إظهارًا لحرصهم على الدين وخوفهم على عقائد الموحدين، وفي الحقيقة لم يأتوا بذلك إلا ليصطادوا به أموال المساكين فحسبنا الله ونعم الوكيل.

فمالهم - سامحهم الله - آلموا الدين وأهله وأبكوا النبي وحزبه، قل أيها الصديق من الذي أمرهم بذلك فخاضوا تلك المعارك غير هيايين؟ آله أذن

لهم في كتابه أم على ربهم يفترون؟ ما لهم حسبوا أنفسهم كالمجاهدين عنه وقد جزوا بسيف دفاعهم عنقه وأزهقوا روحه».

وقد ذكر الشيخ عبدالعزيز الرشيد أن من أسباب نفرتهم من المدارس هو الخوف على سقوط منزلتهم بين الناس وضرب لمعين زرقهم الذي منه يسترزقون؛ لذلك أخذوا يحتجون بحجج واهية، وقد ردَّ عليهم الشيخ عبدالعزيز الرشيد في هذه المحاضرة مستدلًا بكلام علماء الإسلام في الرد عليهم قال: «فقد قال به جملة من علماء الإسلام كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والرازي وغيرهم من حملة الشريعة الذين لا تتهمهم في دينهم»^(١).

ومما قاله^(٢): «إننا فيما كتبناه لم نوجّه سهام الانتقاد إلى جميع العلماء وإلى جميع سائر أهل العمام منهم، ولو كانوا هداة راشدين، كيف وما قلناه صريح في التخصيص لمن صدعوا بما يخالف العقل والنقل وأحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله، لشهوات حيوانية ومطامع تافهة وكانوا حجر عثرة في طريق أهل الإصلاح.

وهذا قولنا وغيرنا في أولئك الدجالين، أما من كان من العلماء العاملين المتفانين في حب الإصلاح فإننا نقدسهم ونحترمهم الاحترام العظيم، ونرى لهم حقًا يكاد يفوق حق الأبوة، ونكون خصمًا لمن يتعرضون لهم بسوء ويحاولون الحطّ من كرامتهم»^(٣).

وهذا ملخص لأبرز ما تم تشخيصه من المحاضرة الإصلاحية للشيخ عبدالعزيز الرشيد موضحةً فيها العراقيل التي كانت حَجَر العثرة أمام مشاريعهم الإصلاحية.

(١) من رسائل الشيخ عبدالعزيز الرشيد (ص: ٩٤).

(٢) من رسائل الشيخ عبدالعزيز الرشيد (ص: ٩٨).

(٣) من رسائل الشيخ عبدالعزيز الرشيد (ص: ١٠٠).

كان فساد مَن بيده السلطة الدينية^(١) من أعظم الأدواء إلى حد أنه وصفهم بالدجالين وكان من أبرز سماتهم:

١- يدعون أنهم حملة الدين وأنهم معاقله وحصونه.

٢- أقاموا قصورًا عالية للعقائد الباطلة ورفعوا رايات خافقة للآراء الكاسدة مما لا يتفق مع الدين.

٣- نشروا بين الأغرار أنهم الأولياء الصالحون والعلماء المخلصون فكان الأغرار كالآلة بين أيديهم يديرونها كيف شاءوا ويصرفونها حيث أرادوا ظنًا منهم أن هذا هو الدين.

٤- المخالف لهم عندهم أنه جاحد لربه ومَن يُبين فساد اعتقادهم يرمونه بالزندقة والإلحاد والمروق والفساد.

٥- لا ينكرون ما عمله العامة عند الأموات في سائر الجهات وما يأتون به من المأتم والمنكرات: مثل:

أ- حج إلى القبور كحج بيت الله الحرام.

ب- الالتجاء إليهم كالتجاء إلى الملك العلام.

وقد ذكر أن هذه المنكرات تجري على مرأى ومسمع من أولئك العلماء.

٦- ينفرون من النظريات العصرية ويزعمون أن ذلك حرص على الدين ويأكلون به أموال المساكين^(٢).

وفي أثناء هذه المحاضرة عمل محاورة إصلاحية على شكل مسرحي مثل فيه خصوم الإصلاح بصورة شيخ جامد له عمامة يعارض هذا الإصلاح،

(١) وقد صدق الرشيد إذ ما من دولة فيها ضريح أو مزار أو انتشار للبدع والخرافات والجمود إلا وتجد خلفه في المؤسسات الدينية فرق منحرفة عن الإسلام...

(٢) راجع المحاضرة الإصلاحية للشيخ عبدالعزيز الرشيد.

وسببت هذه المحاضرة والمحاورة ضجة في الكويت، يذكر د. يعقوب الحججي عن الأستاذ حمد الرقيب أنه يقول: «لقد أصبحت مثل هذه التمثيليات حديث الدواوين والمجالس في الكويت في تلك الأيام، كما أصبحت عليه كرة القدم هذه الأيام»^(١).

قال د. يعقوب الحججي: «لم يذكر لنا الشيخ عبدالعزيز من الذي يقصده بالشيخ الجامد في هذه المحاورة، ولكن الأستاذ عبدالرحمن العمر الذي قام بأداء دور الشيخ في هذه المحاورة أوضح فيما بعد أن المقصود به هو الشيخ أحمد الفارسي»^(٢).

وقد قال الشيخ يوسف بن عيسى القناعي عن علماء السوء حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْأَبْرَارُ يَرْجُونَ اللَّهَ لَخَوْفِ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦٦) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾^(٣) «فالولي بينه الله بقوله وهو المؤمن التقي، فعليه أن كل مؤمن اتقى محارم الله فهو ولي، ولا بعد تعريف الله شيء، فالأرض مملوءة بأولياء الله ولا تنخدع لقول المخرفين الذين يقولون إن الولي هو الذي يمشي على البحر وتطوى له الأرض ويؤدي صلاته في الحرم الشريف، وأما البشري لهم في الحياة الدنيا فهي كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾^(٤٧) ﴿٤﴾ وأما البشري في الآخرة فهي بشري الملائكة عند قبض الأرواح بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ

(١) مقابلة الحججي مع الأستاذ حمد الرقيب في ٢٤ إبريل ١٩٩٣م انظر كتاب: الشيخ عبدالعزيز الرشيد سيرة حياته (ص: ٩٧).

(٢) الشيخ عبدالعزيز الرشيد سيرة حياته (ص: ٩٧)، ونقل د. الحججي هذه المعلومة من مجلة البيان عدد ٩٥، فبراير، ١٩٧٤م.

(٣) سورة يونس، الآيات: ٦٢-٦٤.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٧.

ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَزَلُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ (١) «(٢)».

وقال الشيخ يوسف بن عيسى القناعي عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ «وهل يُعقل أن الوثن الذي لا يسمع ولا يعقل ولا يبصر يكون شفيعاً لهم عند الله؟ (ومثل هؤلاء القبوريين الذين يعتقدون أن صاحب القبر ينفع ويضر، ويطلبون منه ما هو من خصائص الله - تعالى - من تفريج الكرب وسعة الرزق وإيقاع الضرر بالأعداء، فويل لهم من هذه الغواية ثم ويل وويل لعلماء السوء الذين يرونهم ويسمعون هذه المنّاكير ولا ينكرون عليهم هذا الاعتقاد ولا يرشدونهم إلى الطريق المستقيم)» (٣).

وقال الشيخ يوسف بن عيسى القناعي: «فتش على جميع المسلمين - عدا أهل نجد وما حولها - تجد هذا المعتقد الفاسد في السواد الأعظم منهم، فعليك أن تزور هذه القبور المزينة بالذهب والفضة والحرير لأجل تلك الرمم البالية، فترى الناس حولها وما هم فيه من مخالفة الدين يصرخون ويستغيثون بأعلى أصواتهم ضارعين إلى هذه الرمم التي في القبور يطلبون منها كشف الكرب، وإنزال الرزق، وإعطاء الولد، وإنزال العذاب على أعدائهم، أمور ومهازل يضحك الأجانب منها ويرونها من الدين الإسلامي، وعلماء السوء بعمائم كالأبراج ينظرون إلى هؤلاء السخفاء ويقولون لهمك إن هؤلاء الرمم أعطاهم الله التصرف بهذا الكون، فهم ينفعون ويضرون، فويل لهم من غواية الجهلاء، وويل لهم مما يفترون، فيا علماء السوء أبرزوا لنا صكاً من الله لأهل هذه القبب بهذا التصرف في كونه إن كنتم صادقين، وهل يُرجى لنا حياة، والسواد الأعظم هذا معتقده؟ فأين هؤلاء الأوصياء والأولياء والأقطاب

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

(٢) الملتقطات (ص: ٣٩٤، ٣٩٥).

(٣) الملتقطات (ص: ٢٤٥).

والأوتاد عن طرد اليهود من فلسطين؟ أمّا كيفيكم يا معشر المسلمين المخرفين المتفرقين انتصار هذه الشريعة اليهودية مع كثرتكم وقلة عددهم؟ أفترضون بهذه المذلة والإهانة مع كثرتكم وقلة عدد اليهود؟ فموتوا كراماً في نصرة دينكم، ولا تموتوا جبناءً مخذولين»^(١).

وقد كتب خالد الفرّج روايته التي سماها منيرة^(٢) محاولاً من خلال هذه القصة معالجة الجمود والتخلف والخرافة رافضاً الدجل والشعوذة باسم الدين، وقال الشيخ عبدالعزيز الرشيد معلقاً على هذه الرواية: «رواية بديعة بعث بها إلى الكويت الأديب الفاضل والشاعر المفلق خالد بن محمد آل فرج من القطيف، حيث يتنعم بقرب سمو الأمير الجليل محمد بن عبدالرحمن آل سويلم، وهي رواية مفيدة دبّجها شاعر الخليج النابغ بقلمه السيّال مصوراً فيها الويلات التي يجرها أولئك الدجالون على السذج والبُلّه من الناس ذكوراً وإناثاً والمصائب التي تنزل بمن يسبحون بحمدهم ويعتقدون فيهم أنهم من عباد الله الصالحين، وهم ليسوا من الصلاح في شيء، وإنما للدرهم والدينار صاموا وصلوا.

وقد ابتلي بهؤلاء وأمثالهم الإسلام والمسلمون من أقدم العصور إلى هذا اليوم، ولم يخلُ منهم قطر من الأقطار حتى الحجاز في سالف عهده، وهو مهبط الوحي ومنبع الدين ومعدن الحق والإصلاح».

وأخذ الشيخ عبدالعزيز الرشيد يذكر آثار الملك عبدالعزيز آل سعود على العالم الإسلامي في انتشار السُّنة واضمحلال هذه البدع والخرافات إذ قال:

(١) كتاب الملتقطات (ص: ١٩٥-١٩٦).

(٢) منيرة هي رواية أدبية كتبها الأديب خالد الفرّج صاحب الملاحم الشعرية والمتوفى سنة ١٣٧٤ هجري، وحاول الفرّج من خلال هذه الرواية الكشف عن بعض العادات الاجتماعية والدينية المخالفة للشرع من خلال بطله الرواية منيرة وهي فتاة وهبها الله جمالاً لكنها ساذجة خاضعة لقصص الخرافيين والدجالين.

«أما اليوم، فقد طهره الله - تعالى - من هذه الأدران تطهيرًا بفضل الصدق والإخلاص وبفضل الرجال العاملين الذين قبضوا على زمامه، وبفضل سهر صاحب الجلالة ملك العرب والإسلام على مصلحته ومصلحة أبنائه وحرصه على إحياء الدين ومعالمه وتنقيته من زوان البدع والخرافات التي كادت تقضي عليه، وبالحكاية التالية يتبين مبلغ العناية التي كان يبذلها جلالته إزاء الحق والدين في تلك الربوع:

حمل بعض أهل الطرق في مصر إلى صاحب الجلالة - الملك عبدالعزيز - وصية يرجوه فيها العطف عليه وعلى أمثاله من أرباب الطرق المقيمين اليوم في مصر، بأن يرتب لهم ما يقوم بوأد حياتهم قائلاً: إن ما كان يدخل جيوبنا من الأصفر الرنان قد انقطع أو قلَّ، وذلك بسبب استيلاء جلالته على الحجاز، فإن كل من يذهب إليه من حجاج مصر الذين يعتقدون فينا لا يرجع أحدهم إلا وقد تغير رأيه واختلقت عبقريته فيحرمنا إذ ذاك ما كان يتفضل به سابقاً ويقطع ما كان يدره علينا من الخيرات والأموال.

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب»^(١).

وكانت هذه إحدى قصائد خالد الفرج التي تناول فيها أثر البدع والخرافات على ضعف الأمة:

«حتى قضوا لكنهم أبقوا به	أثراً كموضع طعنة المطعون
هذا التفرق والتخاذل بيننا	آثار ما بذروه منذ سنين
وذه الطرائق والقبور مشيدة	من بيننا أثر من التوهين
الله والإسلام يبرأ منهم	فالجأ لحصن من هداه حصين
عبداللطيف لك السعادة والهنا	فأقبل هناء مبشر وضمين

(١) مجلة الكويت، (ص: ١٢٦، ١٢٧).

هذا اجتماع للإخاء مؤسس بيدي عواطف أخوة في الدين
فاقبل تحيات الجميع أرفها بلسانهم ولأنت خير قمين»^(١)

لقد أحدثت حركة الإصلاح التي أقامها الشيخ عبدالعزيز الرشيد والشيخ يوسف بن عيسى القناعي وأنصارهم الكثير، خصوصاً في إصلاح العقيدة والعبادات وقمع البدع والمنكرات، فمن الطبيعي أن ينقسم الناس إلى مؤيدين لهم ومعارضين (الجامدين الخرافيين) للمحافظة على مصالحهم الدنيوية ومكانتهم الاجتماعية، كما انقسم الناس مع الرسل وجميع المصلحين ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(١٩) فلم يقصد المصلحون بهجومهم تفريق الناس، إنما كان قصدهم الإصلاح والتقويم والهداية والتعليم، وإلا فهل يرضى منصف السكوت على هذا الجهل المتفشي وهذه الخرافات والبدع؟! فهم كانوا يرون أن السكوت عنهم موت محقق لهذه الأمة وإغراق لها في بحر الجمود والخمود، ولا يستفيد منه إلا الدجالون الذين جعلوا من الدين تجارة كما وصفهم الشيخ عبدالعزيز الرشيد.

وقد كشف الشيخ عبدالعزيز الرشيد عن أسماء أبرز مَنْ كانوا حجر عثرة في طريقهم للإصلاح إذ يقول:

«للدجالين آثارهم السيئة في كل بلد، وللكويت منهم حظ كبير، ونصيب كما لغيرها، وهم فيها كثيرون لا كثرهم الله ولا أعالهم»، «وتعهد الرشيد بكشف أسرارهم فرداً فرداً»، إلا أنه قال: سأكتفي بزعميين من زعمائهم المقدمين في الأيام الخالية كان لهما حركة قوية في إضرام نار الجمود وإخماد مصابيح الحرية الحقة، أحدهما فارسي والثاني إحسائي».

(١) مجلة الكويت (ص:.....).

أ- الشيخ أحمد الفارسي:

وكان من أولهم الشيخ أحمد الفارسي الذي كان من المعجبين في نفسه المحقّقين لغيره، قال لأحد مرّديه بعد ما أبدى له إعجابه في خطب الثعالبي: «لو كنتُ حاضرًا هناك لما كان باستطاعته أن يتفوه بكلمة واحدة أمامي»^(١) وكان يتوهم أنه جمع علم الأولين والآخرين ويعلل الرشيد اغترار العامة به: «أن ذلك راجعٌ إلى عدم وجود أهل العلم والتميز من أهل المعرفة والنقد»^(٢). وتحدث الشيخ عبدالعزيز الرشيد عن صور تغريه بالعامّة قائلاً:

«كان يصارحهم بلا حياء ولا خجل بتفرده في العلم وبذه من سواه بالمعرفة، ويسرد لهم من كراماته ما ينخدع بها الضعيف، حتى لقد سمعنا بعضهم يقول: إن الملائكة لتصافحه ليلة القدر، إن الأرض تُطوى له ليلة العيد إلى حيث يشاء من البلاد لئلا يبصر النساء المتبرجات يومه، إلى غير ذلك مما لا أحب الإفاضة فيه هنا، ظل مدة بين ربوع الكويت يبث أفكاره الساقطة وأراءه الجامدة حتى احتل مركزاً عاليًا هناك وانقاد له السواد الأعظم انقياد الأعمى لدليله»^(٣).

ومن عجيب القصص عنه ما ذكره د. يعقوب الحجّجي^(٤) عن أحمد الفارسي إذ يقول لأتباعه أنه يذهب كل جمعة للحج ويرجع، فقال له الشيخ عبدالعزيز الرشيد كاشفًا تغريه بالعامّة: «الحج أشهر معلومات» فكيف تذهب في غير وقت الحج؟!

(١) تاريخ الكويت (ص: ١٠٤).

(٢) تاريخ الكويت (ص: ١٠٣، ١٠٤).

(٣) تاريخ الكويت (ص: ١٠٤).

(٤) محاضرة د. يعقوب يوسف الحجّجي عن الأسر النجدية في الكويت ألقاها في مركز حمد الجاسر.

موقف الفارسي من مجلة المنار:

وكان الفارسي لا يرى مطالعة الصحف «وكانت لهجته - الفارسي - على من لا يخنع له ولا ينقاد لرأيه شديدة، ولما علم باشتراك آل خالد الكرام بمجلة المنار الغراء للعلامة الكبير والأستاذ الإمام السيد رشيد رضا فثارت ثائرتة وأخذ يصب عليهم قنابل غضبه زاعماً أن الشرع لا يبيح لهم مطالعة تلك الصحف التي تجمع - بزعمه - العقائد الزائفة والآراء المبتدعة، ونظراً لمنزلته بين العامة والخاصة لم يكن في وسع أولئك النجباء مصارحته برفض ما قال وإن كانوا يعلمون بغشه وتدليسه.

وقد كتب قصيدة يزعم فيها كشف ضلال مجلة المنار، قال الرشيد: وهذه القصيدة التي أقامت الكويت وأقعدتها إذ ذاك وهذه هي التي حُيِّل للناس أن صاحبها من الذين لا تزال تأتيهم من الله النفحات، وهذه هي المعول الذي هدَّ به صاحبه بناء الأستاذ الجليل بزعمه»^(١).

يقول الشيخ الفارسي في ذم المنار وصاحبها رشيد رضا:

ورب المنار امتاز عنهم بدعوة إلى شرع شيطان عليه بلاء
به صمم أو أن في قلبه عمى عن الذكر فالإسراء فيه شفاء
فإن عقرب عادت للسع نعدھا بنعل وضرب للبلاء بلاء

من آثار زيارة الشيخ رشيد رضا والشنقيطي وحافظ وهبه:

قال عبدالعزيز الرشيد متحدثاً عن «النصائح الثمينة التي كان يبيثها أهل العلم والفضل من الغرباء الذين يتخذون ساحة الكويت ميداناً لتعاليمهم الراقية وأفكارهم الحية، وفضحهم هناك دسائس أهل الغش والخداع، فبذلك اقتلعوا من أذهان الكثيرين أدغال الجمود وحصدوا أشواك التعصب وبذروا

(١) تاريخ الكويت (ص: ١٣٥).

البذور الطيبة الصالحة، وكان أول مَنْ حاز قصب السبق في هذا المضمار الأستاذ الكبير العلامة المحقق السيد رشيد رضا، فإنه في السنة التي زار فيها الكويت أحدث انقلاباً بين أهلها وتأثيراً عظيماً بخطبه الرنانة التي قام بها في أكثر من جامع، وهو يتدفق كالسيل المنحدر، قام بتلك الخطب الساحرة هناك فتاب إلى الله كثير ممن كانوا يعتقدون في فضيلته السوء، وأصبح الراغبون في العلوم الراقية التي كانوا يحرمونها أولاً جمّاً غفيراً بعد أن كانوا يعدون على الأصابع، وكذا ازدادت الرغبة في مجلته الغراء بعد أن لم يكن لها من المشتركين إلا اثنان أو ثلاثة، ولا ريب أن كل هذا من الإصلاح المنشود أو من الطرق التي توصل إليه وضرب على نغمته المطربة فضلاء جاؤوا بعده منهم: العلامة الأستاذ المحدث الشيخ محمد الشنقيطي والأستاذ الفاضل الشيخ حافظ وهبه المصري^(١).

ولم يقف العلماء المصلحون صامتين تجاه هذا الهجوم، فقد تصدوا له بالقلم واللسان، بل حاولوا أن تنعقد مناظرة أو مناقشة لتُكشف الحقائق أمام الناس؛ لذا قال الرشيد: «فلا زال الفارسي يتبوأ منزلة عالية بين أهل الكويت إلى أن زار الشيخ محمد رشيد رضا الكويت عام ١٣٣٣ هجري، فحينها سقط الرجل من أعين معتقديه وبان لهم جهله ومراوغته»^(٢).

قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «ذلك أن الأستاذ رشيد رضا رغب في الاجتماع به في (مجلس) الفاضل الشيخ يوسف بن عيسى ليتجاذب وإياه أطراف الحديث ويناقش فيما نُسب إليه فوعده ولكنه لم يف، وقال لمن لأمه أنه خشي من استياء آل الصباح الذين نزل ضيفاً عندهم إذا ما ساءه قيام الحُجة عليه، ثم مَنْ هو الحَكَم الذي يفصل بيننا إذا تنازعنا، اعتذر عن حضوره بما سمعت والحقيقة أنه أصيب برعدة شديدة وخوف ما عليه من مزيد فقد كان

(١) تاريخ الكويت (ص: ٣٥٣).

(٢) تاريخ الكويت (ص: ١١٠).

شجاعاً قبل قدوم الأستاذ ومقدماً قبل أن يطلب منزلته^(١).

وكان - الفارسي - كثيراً ما يرغب في مجالسة الجهلاء من العامة ويزهد في مخالطة العلماء وأهل الأدب، وإلى هذا يشير الشيخ عبدالعزيز بن حمد آل مبارك في القصيدة التي لأستاذنا الفاضل الشيخ عبدالله الخلف:

على أننا ندنو ويناى وأننا نرى القصد في الحالين من صنعه لا قا

وقد حاول الأستاذ المحدث الشيخ محمد الشنقيطي الاجتماع به أيام كان في الكويت، وتوسل لذلك بوسائل عديدة ولكنه لم يتح ذلك إلا مرة واحدة وقد كانت على غير علم من صاحبنا الفارسي^(٢).

قال الرشيد: والخلاصة أن هذا الرجل اليوم قد أصبح منبوذاً من كل أحد نبذ النواة بعد أن كان له المقام المشمخر والعز الأقدس، وما ذلك إلا لأن الباطل لجليج والحق أبلج، وأنه لا يصح إلا الصحيح ولا يبقى إلا الأنسب^(٣).

الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ ناصر المبارك ابن حاكم الكويت:

قد كانت لزيارة محمد رشيد رضا للكويت هزة عنيفة أيقظت الكثير من أهل الكويت ونبهتهم على ما هم فيه من جمود ودفعتهم للحركة والنشاط.

قال الشيخ محمد رشيد رضا عن ما شاهده في الكويت: «أنزني - حاكم الكويت الشيخ مبارك - في قصره الجديد الذي هو قصر الإمارة، وتولى مؤانستي ومجالستي في عامة الأوقات نجله الشيخ ناصر رئيس لجنة مدرسة الكويت؛ لأنه هو الذي يشغل عامة أوقاته في مدارس العلم ومراجعة الكتب حتى صار له مشاركة جيدة في جميع العلوم الإسلامية.

(١) المصدر السابق (ص: ١٣٥).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٢٩).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٣٦).

وأقيمت في الكويت أسبوعاً كنت كل يوم - ماعدا يوم البريد - أُلقي خطاباً في أكبر مساجد البلد فيكتظ الجامع بالناس، وكان يحضر مجلسي كل يوم وجهاء البلد من أهل النفوس وحب العلم، يسألون عما يُشكل عليهم من أمر دينهم، وأما الشيخ ناصر المبارك فكان يسأل عن دقائق العلوم في العقائد والأصول والفقه وغير ذلك على أنه لم يتلق عن الأساتذة فهو من مظاهر الذكاء العربي النادر»^(١).

قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد عن الشيخ ناصر بن مبارك الصباح: «كان - يرحمه الله - ذا تُقى وصلاح وعفة ونزاهة وميل شديد للعبادة، حتى لقد كان يُكثر نفل الصلاة وصيام التطوع، وكانت له رغبة في العلوم والمعارف، مما يترك الكويتيين إذ ذاك يستبشرون به ويتأملون به خيراً لوطنهم»^(٢).

قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «ومن غرائب هذا الشاب النابه - الشيخ ناصر المبارك - أنه كان في ابتداء أمره يرى في شيخ الإسلام ابن تيمية رأيه في الزنادقة والملحدين!

وقد جرى نزاع طويل في هذا الصدد بينه وبين بعض الأساتذة الفضلاء^(٣) في الكويت، أو شك أن يُفضي إلى ما لا تُحمد عقباه ولكن هذا الشاب الراحل علم بفطرته السليمة خطأه الذي ارتكبه أولاً، بل علم بغش مَنْ كان يلقيه تلك التعاليم الزائفة، فكان بعد أن استنارة بصيرته يرى أن ابن تيمية في الحقيقة هو: شيخ الإسلام ابن تيمية وإمام الأنام وحامي حرمة الدين»^(٤).

(١) مجلة المنار (١٦-٣٩٨)

(٢) تاريخ الكويت (ص: ٢٢٩).

(٣) قال الباحث عبدالحميد الشايجي أنه قد أخبره الشيخ عبدالرحمن العبيدان في مسجده بكيفان عما جرى بين أستاذه العلامة عبدالله بن خلف الدحيان والشيخ ناصر المبارك الصباح في شأن شيخ الإسلام ابن تيمية، كان ذلك في يوم السبت ٢٢/٣/١٩٩٧ (ص: ٣٨ في الحاشية من كتابه الدعوة السلفية في الكويت واقعها ومشكلاتها).

(٤) تاريخ الكويت (ص: ٢٢٩، ٢٣٠).

الثاني: عبدالعزيز بن صالح العلجي الأحسائي

قال عبدالعزيز الرشيد: «يفد هذا الرجل إلى الكويت من الأحساء فيقيم هناك مدة ينفث فيها سمومه القتالة، ويسعى في إيقاظ الفتنة النائمة وإضرام نار البغضاء في القلوب، ويستعمل الوسائل العديدة بلا خوف ولا حياء، تكون الكويت آمنة مطمئنة وما هو إلا أن تطأ قدمه أرضها حتى يُنكر الابن على أبيه والأخ على أخيه وينشر من زيغه وضلاله ما يضحج الدّين منه، ومن أخف ما كان يحدثه استسهال معتقديه إطلاق الكفر والإلحاد على المسلمين واستحلال دماء الموحدين وتقربهم إلى الله بهجر المؤمنين».

«وسعى عند حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح لإقناعه على نفي اتباع الشيخ محمد رشيد رضا من الكويت أو قصرهم على ما يريد لحماية عقائد العامة منهم، لكن الشيخ مبارك علم بما جرى واستتج بفطرتة السليمة، ففاجأ مَنْ كان يأوي إليهم العلجي بقوله: «اعطوا صاحبكم ما قسم له ودعوه يذهب إلى بلده فلسنا بحاجة إلى أمثاله ممن ييثون الفتن ويحكمون على أهل العلم بالكفر والظلال، ودعوه بغادر البلد سريعاً وإلا أخرجناه منها قسراً».

فشكر الناس مباركاً على ما عمل وعدوا ما قاله من حسناته ولكن مهما يكن فقد بذر هذا الرجل بذوراً فاسدة أثمرت التعصب الذميم تعصباً لا نزال نعاني من جرائه الأمرين ونكابد في قلعه الأذى والنصب».

محاولة اغتيال رشيد رضا في الكويت:

«حكم بعضهم من جراء تعاليمه - العلجي - بكفر الأستاذ السيد رشيد رضا واستحلال دمه حتى حاول أحدهم قتله في السنّة التي زار الأستاذ فيها الكويت، وترصد له الطريق الذي اعاد المرور منه، ولكن من حُسن الحظ أن منع القدر الأستاذ المرور ذلك، حمدنا الله وأثنينا عليه كثيراً؛ لأن قتل الأستاذ مع كونه خسارة كبيرة على الإسلام والمسلمين يكون نقطة سوداء في تاريخنا وعاراً نلبسه أبد الآباد.

ثم أتدري لماذا حكم عليه بالكفر واستحل دمه المعصوم، كان ذلك لأن
الرجل الأحسائي يقول في فضيلته.

إلى الله نشكو من ضلال على عمد اتتنا به الجهال عن كل مرتد
فلو كتب الأسلاف واستبدلوا بها مجلات أصحاب المنار التي تردي

وصرَّح بعض معتقديه في مجلس عام بقوله: (إن قتل ثلاثة من أهل
الكويت ثمن لدخول الجنة بغير حساب الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي
والشيخ صقر بن سالم الشيب وكاتب هذه السطور)، وقامت قيامة بعض
السفلة على شاعر الكويت أيضًا عندما نُشرت له مجلة المرأة الجديدة قصيدة
بعنوان (يضر النصح) قال فيها.

وخلوا في الديانات افتراقًا يؤول بكم إلى الحرب العوان
ودينوا من تكاتفكم بدين لكم يُلقى التقدم بالعنان

قامت قيامة ذلك السفية على الشاعر الفاضل إذ فهم من قوله هذا أنه لا
يرى فرقًا بين المسلم والكافر حتى قال: كنت شاكًا في تدهره وكفره. أما الآن
فقد اتضح لي ذلك وهناك تمالي هو وأسافلة مثله على قتله^(١).

فلما علم بذلك الشاعر صقر الشيب أعلن بيع بيته متأسفًا عليه ليسلم على
نفسه قال:

أظلتني بشرقي الكويت خطوب ألزمتني قعر بيتي
وما بيعك يا بيتي بسهل ولكن فيك خفت اليوم موتي
أيسهل أن أبيع اليوم بيتًا وفيه أنت يا نفسي ربيت

(١) تاريخ الكويت (ص: ١٣٧-١٣٨).

فدوبي من أساك عليه ذوبي وإلا يا لكاع فما وفيتي

أبيات حزينة معبرة عن عظم ما نزل به، وكاد الشاعر يبيع بيته لولا شفاعات من إخوانه الصادقين بأن لا يفعل، وقد علم هو وعلمنا أن ما أصابه من أولئك السفهاء هو كله من نفثات ذلك الأحسائي المتلبس فإنه هو الذي حكم عليه بالكفر أولاً وهو الذي افتى بهجره ثانياً^(١).

قال الرشيد: «قد يلومني جاهل متعصب فيما كتبه في هذا الفصل ويرميني بالميل لتفكيك عرى الوحدة والاجتماع، وسوف لا أعبأ بلومه ولا برميته، أما من شرب كأس الإنصاف وفحص الحقائق فحس محقق خبير، فأنا على يقين أنه سيمنحني من العذر أوسع ويرى ما كتبه واجباً دينياً، كيف يسوغ لنا السكوت عن كشف أسرار هؤلاء المدلسين الذين تقوّلوا على العلماء والمصلحين بما سمعت، ولم لا يعتبرون هم ومن على شاكلتهم البادئون بالاعتداء الساعون لإثارة الفتنة النائمة يسوغ السكوت عنهم وقد نسبوا لنا كل عظمة ورمونا بكل افتراء وزلزلوا عقائد العامة بتدجيلهم وأفسدوا فطرهم بمكرهم وخداعهم واستولوا على أفكارهم بما يظهره من زهد مصطنع وتقى غير صحيح^(٢).

وإن كانوا يرون ما يقولونه فينا وفي سوانا من الدين فنحن نرى إبطال ما زعموه من الدين أيضاً كما يرون. نحن نود أن نكون يداً وحدة في كل ما يرفع الوطن ويعليه وفي كل ما يحمي عقائد أهله من الزيغ والضلال، ونكون كتلة في مقاومة ما يتخلل بلادنا من مفاسد ومنكرات^(٣).

* * *

(١) تاريخ الكويت للرشيد (ص: ١٣٩).

(٢) تاريخ الكويت للرشيد (ص: ١٤٣-١٤٤).

(٣) تاريخ الكويت للرشيد (ص: ١٤٥).

الفصل السادس

أثر جهود العلماء الإصلاحيين في إصلاح العقيدة

لقد نجحت الحركة الإصلاحية في الكويت في محاربة الجهالات والبدع عن طريق الكتب العلمية والدروس والخطب وبناء المدارس والأندية الأدبية والثقافية والمشاريع الإصلاحية المتعددة، التي كان لها عظيم الأثر في بث الروح في جذور المجتمع الكويتي، فأحيوا ضمير هذه الأمة، تاركين صخب الأحزاب السياسية التي كانت منتشرة في العالم الإسلامي وراء ظهورهم، متخذين شعار الإصلاح الحقيقي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، فانتشرت صحوة إصلاحية ذات شعبية عارمة يقودها الشيخ عبدالله خلف الدحيان والشيخ عبدالعزيز الرشيد والشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وفق منهج الأولويات، نشأت بلا حزب سياسي، فتجاوزت الأحزاب والتيارات السياسية، وتجاوزت أنظمة الحكم، وحدود الدولة، بل وفرضت نفسها على الحياة السياسية، فكان من أولى القرارات السياسية والشعبية التي صدرت في المجلس التشريعي الأول عام ١٩٣٨م، بهدم مقام الخضر المزعوم في جزيرة فيلكا، وقد مثل طلابهم امتداداً لمشروعهم الإصلاحي سواء في دعوتهم أو قراراتهم الشرعية؛ لذا لما بُني مقام الخضر مرة ثانية، وأخذ الجهال يتوافدون عليه، لفت ذلك نظر الشيخ أحمد الحصين فاستشعر مسؤوليته الوطنية وواجهه الشرعي، فقام بجمع الفتاوى من الشيخ عبدالله النوري والشيخ محمد بن جراح وغيرهم من العلماء، في وجوب إزالة هذا المنكر وبيان خطورته وأنه مناقض لأصل الإسلام، فتمت إزالته، وبهذا تبذرت مظاهر الشرك والخرافة عن سماء الكويت، فأصبحنا في نعمة عظيمة لا نرى في الكويت هذه المظاهر التي شوّهت صورة الإسلام المشرقة في كثير من البلاد الإسلامية، وقبّض الله لهذا البلد رجالاً صانوها من هذه الخرافات التي تابها الشريعة السمحاء والعقل الصحيح والفترة السليمة.

الفصل السابع

الأضرحة في فيلكا

جزيرة فيلكا^(١)

«وأما متى أصبحت لفظة فيلكا تكتب رسمياً هكذا، فيمكننا أن نستنتج هذا من خلال بعض الكتابات التي تعود إلى منتصف القرن الثامن عشر. فالرحالة الدنمركي كارستن نيبور يدون اسمها في خريطتها التي رسمها للخليج العربي عام ١٧٦٥م بنفس اللفظة «فيلجة» كما سمعها من الأهالي، ولكن بعد هذا التاريخ بدأت تظهر على الخرائط وفي المؤلفات التاريخية والملاحية، مرة باسم فيلجة وأخرى باسم فيلكا خاصة بعد قيام الإنجليز بعمل مسح شامل لمنطقة الخليج العربي والجزيرة العربية»^(٢).

قد تقدم ذكر وجود بعض الأضرحة في فيلكا من كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب والمؤرخان عبدالعزيز الرشيد وسيف مرزوق الشمالان، ولا يعني وجود هذه الأضرحة رضا أهل الكويت عنها، فقد ثبتت كراهية حكام الكويت لما يفعله الجهال عندها كما نقل ذلك ديكسون، وتقدم من تقارير علماء الكويت إنكارهم الشديد على ما يُفعل عند الأضرحة من بدع وشركيات، وأما سبب وجود هذه الأضرحة فهو راجع إلى عدة أمور لا بد من بيانها:

(١) جزيرة فيلكا عريقة في القدم وقد اكتشفت فيها آثار تعود إلى عصور ما قبل الميلاد وخاصة العصر الهلنستي القرن الثالث قبل الميلاد والذي بلغت فيه فيلكا أوج ازدهارها. ذكرها في تاريخه كل من عالم النبات بيليني ٢٣-٧٩ م. والمؤرخ آريان الذي كتب سيرة الإسكندر في القرن الثاني الميلادي، وقال إن أسمها القديم ايكاروس. كانت من أولى المحطات التي تتوقف عندها السفن في طريقها من اور إلى جنوب الخليج.

خالد سالم محمد، صور من الحياة القديمة في جزيرة فيلكا (ص: ٥-٦).

(٢) خالد سالم محمد، صور من الحياة القديمة في جزيرة فيلكا (ص: ١٥).

١- الأضرحة قبل وجود الكويت:

هذه الأضرحة الذي يظهر أنها كانت موجودة قبل وجود الكويت ككيان سياسي، وقبل وجود أهالي الجزيرة، إذ يقول الباحث خالد سالم محمد^(١): «قد سكن الأهالي جزيرة فيلكا ١٧٧٣ م بعد أن هجروا قراهم القديمة بسبب الأوبئة»؛ لذلك هو يرى أن بدء تاريخ أهالي الجزيرة يبدأ من ١٧٧٣ م. وأما عن وجود هذه الأضرحة من قديم ما ذكره هارولد ديكسون في كتابه «الكويت وجاراتها»:

«البرتغاليون احتلوا جزيرة فيلكا في وقت من الأوقات، وأخذوا يتاجرون من هناك مع بر الكويت، ويُقال إن طاعوناً من الجرذان أرسله عليهم الأولياء^(٢)، طردهم من الدشت^(٣) في البداية، ثم من وسط الجزيرة حيث تراجعوا». يُعلق خالد سالم على هذه الرواية لديكسون أنها موافقه لرواية يردها كبار السن في الجزيرة.

٢- عزلة أهل فيلكا:

ذكر لوريمر^(٤) أن عدد أهل فيلكا ٢٠٠ رجل وكانوا قرابة ٥٠٠ نسمة وأنهم من أصل مختلط ويقال أغلبهم جاؤا من جزيرة خارج^(٥)، ولم يكونوا

- (١) خالد سالم محمد، صور من الحياة القديمة في جزيرة فيلكا ص ٦.
- (٢) قال الباحث خالد سالم معلقاً على كلمة الأولياء من كلام ديكسون: يقصد قبور الأولياء المنتشرة على طول سواحل الجزيرة، وأشهرها قبور كل من: محمد البدوي وشيخ غريب ومقام الخضر. جزيرة فيلكا صفحات من الماضي ص ٥٥.
- (٣) الدشت: قرى الجزيرة تقع في الجهة الشمالية الشرقية من الساحل. جزيرة فيلكا صفحات من الماضي خالد سالم محمد ص ٥٦.
- (٤) جي. ج. لوريمر - كاتب إنجليزي وضع كتاب دليل الخليج الذي يقع في ١٤ مجلداً بترجمته العربية التي تتألف من قسمين تاريخي وجغرافي، قام مؤلفه بجمع مادته عام ١٩٠٤.
- (٥) كتاب دليل الخليج، القسم الجغرافي (ج ٢ ص ٦٦١)، قلت: قوله جزيرة خارج يقصد جزيرة خرج وهي تقع بين بر فارس والإمارات، وأغلبهم أهل سنة.

يختلطون كثيراً بغيرهم.

قال الباحث خالد سالم محمد: «ولموقع الجزيرة وعزلتها في الماضي بعض الأثر في حياتهم الاجتماعية والمعيشية وبخاصة مجتمع ما قبل النفط»^(١).

ومن أسباب عزلتها أن المواصلات بين الكويت وفيلكا تتم بواسطة المراكب الشراعية وعلى فترات متباعدة^(٢) ولم تسهل المواصلات إلا منتصف الأربعينيات بعد وجود المراكب البخارية.

وذكر لوريمر أنه حين سمح الشيخ مبارك الصباح للتجار الأغنياء من الكويت والخارج العمل في فيلكة تضايق التجار الأصليين^(٣) ولم يكن أهل فيلكا الأصليين يمارسون هذه الزيارات ولم يكونوا يعتقدون فيها^(٤).

لذلك نجد لوريمر ينسب ما يحصل من تصرفات عند هذه الأضرحة للبحارة العرب، وأما ديكسون فنسب من يعتقد هذه الاعتقادات لبعض الشيعة. وأما الباحث خالد سالم محمد فلم يحدد صفات معينة لهؤلاء الزوار.

٣- أنها محطة عبور للبحارة العرب:

تتميز فيلكا بوجود العديد من المياه العذبة، فهي أحد الأسباب الجاذبة للبحارة العرب للوقوف عندها، ويبدو مع الوقت صاحب وجودهم وكثرة زياراتهم وجود مثل هذه الأضرحة، لأن أغلب من يزور هذه الأضرحة هم من خارجها.

قال لوريمر: «ويكثر عدد الوافدين من اليمن والهند وأفغانستان وبلوشستان

(١) خالد سالم محمد، صور من الحياة القديمة في جزيرة فيلكا (ص: ٧).

(٢) خالد سالم محمد، صور من الحياة القديمة في جزيرة فيلكا (ص: ٨٦).

(٣) دليل الخليج القسم الجغرافي (ج ٢ ص ٦٦٣).

(٤) بحسب شهادة الأهالي.

لزيرة الأضرحة... ويعاود البحارة العرب الزيارة مرارًا للوفاء بنذورهم التي يندرونها في حالات المرض والخطر في البحر فيذبحون رأسًا من الغنم أو الماعز أو يحرقون البخور أو يطعمون الفقراء، وربما كان هذا هو نفس الخضر الذي له ضريح في جزيرة عبادان، وسمعتة في جزيرة فيلكة كبيرة لا سيما في أوساط البحارة الذين يجلونة كثيرًا ولكن ضريح الخضر لا يزوره الكثير من الحجاج الأجانب كما ذكرنا من قبل عن غيره» ومما قاله أيضًا: «ومما لوحظ هذا العام تخلف الإيرانيين عن هذه الزيارات»^(١).

وأما ديكسون فيقول: «ويؤمن بعض سكان الكويت من أتباع المذهب الشيعي بالقصة الطريفة التي تقول إن الخضر يتوجه من مكة يوم الأربعاء من كل أسبوع انطلاقًا من مقره بالبصرة، ثم يقضي يوم الخميس في فيلكا ويعود متبعًا نفس الطريق يوم الجمعة!!

ومن هنا يجب على السيدة التي تريد الإنجاب أن تتواجد في مقام الخضر في الأيام التي لا يخرج فيها حتى تنال بغيتها!

وكثيرًا ما تشاهد مجموعات من النساء والأطفال متجهة من الكويت إلى فيلكا للنزهة، وزيرة مقام الخضر تحقيقًا لهذا الغرض والحكام لا يخفون استيائهم لانتشار أمثال هذه الخرافات ويبدلون كل ما في وسعهم لمنع هذه الزيارات»^(٢).

قلت: وهذا والله أعلم يفسر عدم ضم الدولة السعودية الأولى للكويت مع قدرتها على ذلك وهو راجع لأمر:

١- عدم ظهور عداء مباشر للدعوة الإصلاحية.

٢- أن الأضرحة لم تكن موجودة في مدينة الكويت الخاضعة لحاكمها

(١) دليل الخليج القسم الجغرافي (ج ٢ ص ٦٦٣).

(٢) الكويت وجاراتها، (ص: ٤٨).

مباشرة إنما في جزيرة بعيدة معزولة ويقصدها البحارة من خارجها.

٣- أن الذي أقام هذه الأضرحة هو من خارجها ولم تكن هذه الممارسات التي تحصل عند الأضرحة محل رضا عند أهل الكويت.

وأما ما يتعلق بغزوة مناع أبو رجلين وبن عفيصان فسببها سياسي، والمقصد منه تهديد الشيخ عبدالله على دعمه سياسياً بمن يضر بالدولة السعودية ولم يكن سببه دينياً وقد فصلت ذلك في بحثٍ آخر ليس هذا محل تفصيله.

هدم مقام الخضر:

كان أول تصدي من علماء الكويت وشعبها لما يقع من خرافات شركية عند مقام الخضر عام ١٩٣٨م «فقد أصدر المجلس التشريعي الأول عام ١٩٣٨م، قراراً بهدم المقام الموجود في فيلكا وإزالة أثره»^(١).

يقول خالد سالم محمد:

«وفي الثلاثينيات من هذا القرن وبعد أن فُتن الناس به وأصبحت دوره تُستغل من البعض لأفعال مُشينة، أمر المرحوم أحمد الخلف أمير الجزيرة الأسبق بهدم المقام وإزالة عُرفه واستراحاته، ولم يبقَ منه إلا الحجارة»^(٢).

قال الباحث جاسم منصور الفيلكاوي في كتابه فيلكا كما عايشتها ص ٨٤:

«قد كان زوار مقام الخضر قديماً قلة قليلة، ثم بدؤا في الازدياد شهراً بعد شهر، عند ذلك أمر أمير فيلكا بهدم قبة المقام»^(٣).

«قام البعض - بعد الهدم الأول - بتجميع الحجارة ورصها فوق بعضها البعض وأصبح المقام كالتلّ العالي، وعملوا أعلاه حوضاً دائرياً فكان الزوار

(١) د. عادل محمد العبدالمغني، يوميات المجلس التشريعي (الدورة الأولى).

(٢) المصدر: جزيرة فيلكا صفحات من الماضي ص ٥٣.

(٣) المصدر: جاسم منصور في كتابه فيلكا كما عايشتها ص ٨٤.

يصعدون إليه ويلطخونه بالحناء، ويعبّون البخور داخله ويرشون جدرانه بماء الورد، وظلَّ هذا الشكل إلى أن أزالته نهائياً بلدية الكويت في نهاية السبعينيات»^(١).

ولما شيد المقام المزعوم للخضر مرة ثانية أنكر الشيخ أحمد عبدالعزيز الحصين ما شاهده وراه بعينه، إذ يقول: «فإني شهدت رجالاً ونساءً من عوام الناس قد أضلهم الشيطان يذهبون إلى جزيرة فيلكة لزيارة الأثر المنسوب كذباً وبهتاناً إلى الخضر - عليه السلام -، يتبركون به ويذبحون له ويبخرونه ويطيّبونه بأغلى طيب، وينذرون له لشفاء مريض أو ولد عاقراً شهدت هؤلاء الذين أغواهم الشيطان فضل سعيهم، فعجبت من سخافة عقولهم وشدة جهلهم وضعف عقيدتهم، وأنكرت عليهم شركهم، وقلت لهم: ليس لمخلوق كائناً من كان أي نفع في ذلك، وإنما ذلك بيد الله وحده، فادعوه وحده واطلبوا منه جميع حاجاتكم لا تشركوا به شيئاً.

فما كان جوابهم لنصيحتنا إلا أن قالوا - يلمزوننا - أنتم من الوهابية لا يعظمون الرسول حق قدره، ولا الأولياء والصالحين.

فقلنا لهم: الوهابية هم الذين على الدين الصحيح الموروث من مشكاة النبوة الصافية، وهم يعظمون الرسول والأولياء أشد من تعظيمكم ولكنهم لا يعبدونهم»^(٢).

«فطلب الشيخ الحصين من صديقه الشيخ عبدالرحمن الجطيلي بتأليف رسالة في كتابة نبذة مختصرة عن حياة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، ليعلم من يجهل دعوة الشيخ أنها دعوة حق وإصلاح، وأنه متبع وليس مبتدع

(١) جزيرة فيلكا صفحات من الماضي ص ٥٣-٥٤، خالد سالم محمد.

(٢) مجموعة الشيخ عبدالرحمن الجطيلي العلمية، أعتنى بها: نواف عبيد بن سعد الرعوجي (ص: ١٠-١١).

وأنه مذهبه هو مذهب السلف الصالح»^(١).

«فلما انتهى الشيخ عبدالرحمن الجطيلي من تأليف الرسالة التي كانت بعنوان «نبذة مختصرة عن حياة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» وأرسلها إلى الشيخ أحمد الحصين الذي قام بدوره في السعي بطباعتها وسرعان ما نفذت الطبعة الأولى وكان بدعم من المحسن الكويتي الكريم الشيخ عبدالرزاق الصالح المطوع»^(٢).

وقام وأستفتى العلماء من داخل الكويت وخارجها، في الإنكار على المقام المزعوم أنه للخضر، وألف رسالة في ذلك، فقامت البلدية بعد حشده لآراء العلماء والرأي العام الكويتي بهدم هذه القبة^(٣).

* * *

(١) المصدر السابق، (ص: ١١).

(٢) انظر المصدر السابق (ص: ٩)، نقل فيها رسالة الشيخ أحمد الحصين التي يعود تاريخها: رمضان ١٥ - ١٣٩٧ هـ، ٢٩ أغسطس ١٩٧٧ م.

(٣) للتفصيل راجع رسالتي عقيدة التوحيد عند أهل الكويت.

تراجم علماء وأدباء الكويت الذين ذكرهم الشيخ عبدالله البسام
ضمن كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون

١ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن فيروز^(١)

(١٠٧٢هـ - ١١٣٥هـ)

الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن فيروز بن محمد بن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب الوهبي التميمي نسباً، النجدي ثم الكويتي بلداً.

قال حفيده: (وأما الجدُّ الشيخ محمد الذي سُمِّيَ الفقير باسمه؛ فإنَّ مولده في السنة الثانية والسبعين بعد الألف في أشيقر) . اهـ . فهو جدُّ العالم المشهور محمد ابن فيروز^(٢).

قال حفيده أيضاً ما نصُّه: (والجدُّ أخذ العلم عن الشيخ سيف بن عزَّاز والشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب التميميين وهما المذكوران في سندي في الفقه)^(٣). اهـ.

فقد قرأ على مشايخ عصره حتى أدرك وصار من الفقهاء المشار إليهم، فولِّيَ القضاء في الكويت، وهو أوَّل قاضٍ وَلِيَّ قضاء الكويت، فقد قال مؤرِّخ الكويت الشيخ عبد العزيز الرشيد: (أما أوَّل من تولَّى القضاء فغيرُ معروفٍ بالتحقيق، وأقدم من عُرف هو الشيخ محمد بن فيروز جدُّ ابن فيروز المشهور، كما أخبرني أستاذنا الشيخ عبد الله ابن خلف)^(٤). اهـ.

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٦/ ٢١٩ - ٢٢١.

(٢) تاريخ الكويت، ص ٩٢.

(٣) ينظر السحب الوابلة ٣/ ٩٧٧.

(٤) تاريخ الكويت، ص ٩٢.

ثم قال ابن رشيد: (ولا يبعد أن يكون ذلك الأستاذ هو أول قضاتها؛ لأنه توفي في الكويت سنة ١١٣٥ هـ، وقد علمتُ قُرْبَ السنة التي تأسس الكويت فيها من سنة وفاته)^(١). اهـ.

قلتُ: إن تأسيس الكويت هو بين عامي ١١١٠ هـ إلى ١١٢٥ هـ على ما رجَّحه مؤرِّخو الكويت.

والقصد أنَّ المترجم توفي في السنة الخامسة والثلاثين بعد المئة والألف في البلد المعروف بالكويت قرب البصرة.

وابنه عبد الله عالم فقيه، وحفيده محمد من مشاهير العلماء، وهو الذي عُرفوا به وبشهرته، ولكلٌّ من الابن والحفيد ترجمة في هذا الكتاب^(٢).

وقد أخذ عن المترجم عدَّة من علماء نجد والأحساء، علماء نجد والأحساء، منهم ابنه الشيخ عبد الله، فقد قال حفيده الشيخ محمد ابن فيروز ما نصُّه: (وأخذ عن الجدِّ ابنه الوالد وابن أخيه عبد الرحمن بن إبراهيم^(٣)، والشيخ سليمان بن ثاقب، وابن أخته الشيخ أحمد بن سليمان بن علي بن مشرف^(٤))^(٥). اهـ.

ونبَّه هنا أنه في «تاريخ ابن عيسى» في سنة ١٠٨٤ هـ قال: (كان مقتل عبد

(١) تاريخ الكويت، ص ٩٣.

(٢) ينظر الابن في ٤/٣٨٠، ترجمة رقم (٥١٥)، والحفيد ص ١٩٤ من هذا المجلد، ترجمة رقم (٧٤١).

(٣) لكن في نسخة «السحب الوايلة» لمحمد السلیمان البسام فيها: إبراهيم بن عبد الرحمن. (المؤلف).

(٤) هذا هو الابن الثالث للشيخ سليمان بن علي بن مشرف جدَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا أعرف شيئاً عن هذا الابن المتعلم، وإنَّما نقلته عن قلم من نقل عن الشيخ محمد ابن فيروز وهو يذكر تلاميذ جدِّه. (المؤلف).

(٥) ينظر السحب الوايلة ٣/٩٧٧.

الله بن فيروز بن محمد بن بسام^(١).

قلتُ - أنا عبد الله بن عبد الرحمن البسام-: بين وفاة صاحب الترجمة ومقتل عبد الله بن فيروز إحدى وخمسون سنة؛ فالظاهر أنَّه جدُّه. وقد كانت وفاة المترجم في الكويت وهو قاضيه، وذلك سنة ١١٣٥ هـ، كما نص على هذا حفيده، رحمه الله تعالى.

* * *

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ٥٣.

٢- الشيخ عثمان بن محمد بن أحمد بن سند^(١) (...-١٢٥٠ هـ)

الشيخ عثمان بن محمد بن أحمد بن راشد بن سند بن راشد بن حمد بن ناصر بن راشد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن مدلج بن حمد بن رباح آل أبو رباح، الذين هم من آل حسني، ثم من آل بشر، ثم من قبيلة عنزة القبيلة الوائلية الربعية العدنانية.

فأسرة آل سند من بطن آل أبو رباح من قبيلة عنزة، وآل أبو رباح كانوا يقيمون مع أبناء عمّهم آل مدلج في بلدة (التَّوَيْم) - بضم التاء المشدّدة، بعدها واو مفتوحة - إحدى بلدان سدير.

ثم إنّه في أول القرن السابع توجّه علي بن سليمان بن حمد وابن عمّه راشد بن سليمان إلى (حمد بن عبد الله بن معمر)، رئيس مدينة العيينة، فاشترى منه مكان بلدة حريملاء، وكانت أطلالاً بعد سكانها آل أبو ريشة أسرة من الموالي ضَعَفَ أمرهم وذهبوا، واستولى عليها (ابن معمر) بعد رحيلهم.

فاشترى عليُّ وراشد حريملاء، وانتقلت إليها أسرتهما وعمروها وسكنوها، وصارت هي قاعدة بلدان الشعيب، وتفرّق كثير من أسر آل أبو رباح في بلدان نجد وغيرها، وانتقل منهم أسر إلى الزبير.

وكان ممّن انتقل أسرة المترجم (آل سند)، انتقلوا إلى الكويت؛ وذلك في أول القرن الحادي عشر الهجري، فولد المترجم في جزيرة (فيلكة) التابعة لدولة الكويت، ونشأ في هذه الجزيرة التي يمتّهن فيها أسرته صيد الأسماك،

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١١٥/٥ - ١٢٤.

وأخذ فيها مبادئ القراءة والكتابة.

ثم إنَّه رغب في العلم، فنزح إلى مدينة البصرة القريبة من جزيرته، وكان غالب سكان الخليج يتبعون مذهب الإمام مالك، فصار هو مذهب المترجم. والجامع الذي استفاد منه هو جامع الكواز: فحلة المشرق، إحدى محاليل البصرة، وبعد أن أكمل دراسته في الكواز انتقل إلى المدرسة المحمودية، ودرس فيها العلوم الطبيعية؛ كالجغرافيا والتاريخ والعلوم العصرية، ثم انتقل إلى المدرسة الخليلية، واستوفى في هاتين المدرستين ما فيهما من العلوم.

كما قرأ في البصرة على العلامة الشيخ محمد بن فيروز، وعلى الشيخ إبراهيم بن ناصر بن جديد، والشيخ عبد الله بن شارخ، والعالم الكبير الشيخ عبد الله البيتوشي، وعلى غيرهم من علماء البصرة والزبير.

ثم رحل إلى بغداد فأخذ عن علمائه، كالصدر السيد محمد أسعد الحيدري، مفتي الحنفية والشافعية ببغداد، والشيخ محمد أمين، مفتي الحلة، والسيد أحمد الحياتي، قاضي بغداد. وقرأ على علامة العراق والشام الشيخ علي ابن المُلَّا محمد بن سعيد السويدي، وعلى الشيخ السيد زين العابدين المدني حين وروده إلى بغداد، وعلى الشيخ خالد النقشبندي.

ثم إنَّه حجَّ وجاور بمكة المكرمة والمدينة المنورة مدَّةً قرأ فيها على علماء الحرمين، وعلى من يرُدُّ إليهما من العلماء.

والمترجم من النوابع في سرعة الحفظ وجودة الفهم وبطء النسيان، والرغبة العظيمة في العلم، والجِدُّ العظيم في تحصيله، وهذه العوامل الهامة صيرت منه - مع توفيق الله تعالى - آية كبرى في المحصول العلمي، وبكونه موسوعة كبرى في العلوم الشرعية والعلوم العربية والعلوم التاريخية وغيرها.

وقد درّس في البصرة والزبير، وأخذ عنه تلاميذ كثيرون، منهم:

١- الشيخ عبد اللطيف بن سلُّوم.

٢- الشيخ عبد الرزاق بن سلُّوم.

٣- الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن حميدان بن تركي.

٤- الشيخ عثمان بن محمد المَزِيد^(١).

٥- الشيخ محمد بن تريك.

وقد عيّن مديراً ومدرّساً لمدرسة في البصرة، بناها المحسن الثري محمود بن عبد الرحمن الرديني النجار البصري، وكانت هذه المدرسة في البصرة تسمّى (المدرسة الرحمانية)، شقيقة الأزهر من حيث الأهمية، فكلُّ متخرّجٍ هذه المدرسة في عصره من تلاميذه. كما تولّى في البصرة الإفتاء والتدريس في المدرسة (الخليلية).

ثم إنَّ الوالي داود باشا طلب منه المجيء إلى بغداد فسافر إليه، فلمّا وصل إليه أجلّه وعظمه وجعله سميره ونديمه، فكان يقضي أكثر أوقات فراغه معه؛ لِمَا يَجِدُ في مُجَالستِهِ من العلوم المنوّعة والآداب الجَمَّة.

كما عَظَّمه علماء بغداد وتلمذوا عليه واستفادوا منه، واعتبروا وجوده بينهم غنيمة كبرى، فهو شيخ العصر من حيث وفرة العلوم وتنوّع المعارف.

ثم إنَّ الوجيه الكبير أحمد بن رزق طلب منه زيارة بلده الزبارة، فاستأذن من الوالي داود، فأذن له في ذلك فذهب، فجعله الصدر المقدّم في بلده، واحتفى به احتفاءً بالغاً، واعتبر قدومه إليه زينةً لبلاده وغنيمةً في بساطه، ورغب منه دوام البقاء عنده، ولكن الزبارة تضيق عن معلوماته وتصغر في وجه نشاطه العلمي، فعاد إلى عاصمة الرشيد بغداد.

مؤلفاته:

(١) ستأتي ترجمته، ص ١٢٦ من هذا المجلد، وليس فيها «محمد».

هي كثيرة جداً ومفيدة؛ لأنّها ليست مجرد نقل، وإنّما كتبها من علوم هَضَمَها، ومعارف شَرَبَها، فجاءت مؤلفاته بأفكار حرّة من معارفه الخاصة، وبمعانيه المبتكرة، وصاغها بأسلوبه الأدبي وجَمَلِه البليغة، ومن هذه المصنّفات:

١٩. «الشُّذرات الفاخرة في نظم الورقات الناضرة»، نظم في أصول الفقه^(١).

٢٠. منظومة في فقه المالكية، سمّاها «الدُّرّة الثمينة في مذهب عالم المدينة».

٢١. «تحفة التحقيق لمعرفة الصديق»، في ألغاز الفرائض، توجد مخطوطة.

٢٢. «الفائض في علم الفرائض»، توجد في مكتبة المحامي عباس عزّاوي، ومكتبة العزاوي انتقلت إلى مكتبة جامعة الملك سعود في الرياض.

٢٣. «النُّخبة في أصول الحديث».

٢٤. «نظم النُّخبة في أصول الحديث»، للحافظ ابن حجر.

٢٥. شرح ذلك النظم.

(١) وقد قرّظها السيد الشيخ محمد الرافعي أديب طرابلس الشام بقوله: (وقفت على هذه الشذرات فضّلتها على شذرات الذهب، وقلّبت طرّفي في هذه الزهرات التي أصابها صوب الأدب، فصاعدت الزفرات إليها شوقاً إلى ناظمها، فكيف مثل هذه الدُّرّة أن تُحرّم منه الشام وتحظى به البصرة، ولعمري إنه لجدير أن تُشدّ إليه الرواحل، ويُرفع مقامه على الرؤوس والكواهل، ويُفضّل على أبناء عصره تفضيل الفرض على النوافل. كتبه الفقير محمد الرافعي، وهو في حلب عام ١٢١٥ هـ).

وقرّظها الشيخ عبد الله العطاني، فقال: (نظرتُ في هذه الشذرات التي هي كالزهرات، فلورأها ابن الوردي لقال: هذه من بعض وردي، ولا أظن يبيري الزمان أخاها روماً يجري مجراها، كيف وناظم عقدها وناسج بردها الفاضل النبيل وارث سيبويه والخليل عثمان بن سند؟! فلقد رأيتُه في حلب فرأيت منه العجب) (المؤلف).

٢٦. منظومة في العقائد، سمّاها «هادي السعيد في جوهرة التوحيد»، ضمّنها «جوهرة البرهاني اللقاني»، وزاد عليها .

٢٧. «الصّارم القرضاب في نحر من سبّ أكارم الأصحاب»^(١)، وهي مجموعة شعرية تضمّنت أكثر من ألفي بيت، وجميعها في الردّ على الشاعر الشيعي دِعْبِل الخزاعي، وهي عندي - أنا محرّر هذه التراجم - بخط الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد صاحب «السحب الوابلة في طبقات الحنابلة»، ويوجد منها نسخة في مكتبة (رامبور) في المكتبة العباسية^(٢).

٢٨. «أصفي الموارد من سلسال أحوال بني خالد»، قال الشيخ صالح بن عثيمين في كتابه «السابلة»: (هو كتاب نفيس يحتوي على فوائد تاريخية وفرائد أدبية، ومن اطّلع عليه عليم ما للمترجم من اليد الطولى في فنون الأدب).

٢٩. كتاب نظم في تاريخ ومدح الإمام أحمد بن حنبل .

٣٠. «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود»، وهو كتاب ضخم، جمع

(١) وقد نشرته دار الآفاق العربية بمصر عام ٢٠٠٧م، بتحقيق الدكتور: عبد الحميد هنداوي.

(٢) لما قال هذه القصيدة التي ردّها على الشاعر الشيعي دِعْبِل - قبّحه الله - أجازها عليها

الشيخ يوسف بن أحمد بن محمد بن رزق العقيلي جائزة سنّية، فأُتبع عثمان بن سند رده على دعبل بهذه القصيدة في مدح يوسف بن رزق، وهي هذه:

أَلَسْتَ بِبَحْرِ أَنْجَبَتِكَ بُحُورٌ	نَمَنَهَا إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ بُدُورٌ
سَمَوْتَ بِأَقْطَابِ عَلَى فُطْبِ رَأْيِهِمْ	دَوَائِرُ أَفْلَاكِ الْأُمُورِ تَدُورُ
أَيُّوسُفُ فَافْخَرْ إِنَّمَا أَنْتَ طَالِعٌ	بِهِ السَّعْدُ يَبْدُو وَالشُّرُورُ تَغُورُ
بَعَثْتَ النَّدَى طِفْلاً وَأَجْرَيْتَ عَيْنَهُ	كَأَنَّ النَّدَى مَيْتُ وَبِذَلِكَ صُورُ
وَإِنَّ لِسَانَ الْمَدْحِ عَنْكَ لِقَاصِرٌ	وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا فَعَلْتَ قُصُورُ
وَيَا رَبِّ فَرَعَ فَاقَ بِالْبَدْلِ أَصْلَهُ	وَإِنْ أَخْرَتَهُ أَرْمُنُ وَعُصُورُ

إلى تمام القصيدة، وهي في (٢٤) بيتاً. (المؤلف).

فيه هذه وقائع القرنين الثاني عشر وأول الثالث عشر، وهو عندي، وهو من مراجع التراجم التي نجمها.

وقد اختصر «مطالع السعود» الشيخ أمين الحلواني المدني في ثلاث كراسات، وطبعه محب الدين الخطيب بمطبعة الفتح، وعلّق عليه. والحلواني زاد فيه، ومن تلك الزيادة أنّه زار الإمام فيصل بن تركي آل سعود في الرياض، ووصف بلاط الإمام فيصل، وهذه الزيادة وقعت بعد وفاة مؤلّف الأصل.

٣١. «الغرر في وجوه وأعيان القرن الثالث عشر» ولكنه لم يتم.

٣٢. «سبائك العسجد في أخبار أحمد بن رزق الأرشد»^(١).

٣٣. «تاريخ بغداد».

أمّا مؤلّفاته في اللغة العربية؛ نحوها وصرّفها وبلاغتها وعروضها، فهي:

٣٤. نظم «مغني اللبيب» لابن هشام في خمسة آلاف بيت، وهو من أهم كتب قواعد النحو.

٣٥. نظم «الأزهرية» للشيخ خالد الأزهري.

٣٦. «نظم قواعد الإعراب» لابن هشام.

٣٧. منظومة في مسوغات الابتداء بالنكرة، توجد في مكتبة الشيخ محمد العوجان إن كانت لا تزال محفوظة.

٣٨. منظومة في العدد.

٣٩. «كشف الزبد عن سلسال المدد»، في تذكيره وتأنّيته.

(١) وأحمد بن رزق هو أحمد بن حسين بن رزق العقيلي أحد بني جبر، انتقل من بلد الزبارة واستوطن بلدة قردلان، وقد توفى فيها عام ١٢٢٤ هـ، وخلف أموالاً عظيمة وثروة كبيرة آلت إلى ابنه محمد. (المؤلف).

٤٠. «هدية الحيران في نظم عوامل جرجان» أي عوامل القاضي الجرجاني.
٤١. «رسالة في كسر همزة إنَّ وفتحها» نظم في (٤٢) بيتاً، توجد في
المكتبة

العباسية في البصرة.

٤٢. «الغشيان عن مقلّة الإنسان في النحو والصرف»، وتحتوي على
(٢٤٧) صفحة، توجد في المكتبة العباسية في البصرة.

٤٣. «تعليقات على شرح الكافية للرضي»، توجد في المكتبة العباسية في البصرة.

٤٤. «منظومة في البلاغة»، توجد في المكتبة العباسية لآل باشا أعيان.

٤٥. «الجوهر الفريد في العروض».

٤٦. منظومة في علم القوافي، باسم «السلسيل الصافي»، منها نسخة في
خزانة كتب الألوسي.

٤٧. منظومة في قافية موحّدة، اسمها «الجيد في العروض».

٤٨. منظومة أخرى في الموضوع نفسه.

هناك رسائل وقصائد ومناظيم كثيرة للمؤلف، ولكنها موزّعة بين المكتبات
الخاصة والعامة.

وليت بعض الشباب الجادّ حاول جمع تراثه وقدم فيه شهادة؛ فإنّها ستنال
إعجاب العلماء والمفكرين.

ما قاله العلماء عن المترجم:

قال الشيخ عثمان المزيد من سكان مدينة عنيزة: وأنشدنا لنفسه شيخنا
العلامة الفاضل الشيخ عثمان بن سند المالكي البصري ومدّرّسها:

حَدَارِ حَدَارٍ مِنْ إِغْضَابِ شَيْخٍ فَإِنَّ الشَّيْخَ مَعْرُوفُ الْحُقُوقِ

فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ كُلَّ ذَنْبٍ سَوَى مَا لِلْمَشَايخِ مِنْ عُتُوقٍ^(١)
فَلَا تَطْلُبُ بِلَا شَيْخٍ عُلُومًا فَذَا حُمُقٌ يُؤَدِّي لِلْفُسُوقِ
فَ«طه» شَيْخُهُ جَبْرِيلُ يَرْوِي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ذَا وَثُوقِ

وقال الشيخ بهجة الأثري: (ابن سند العربي القح الفحل المسلم، مثله من ينهض لمناهضة دَعْبِ الخزاعي ويكيل له الصاع صاعين في الدفاع عن حياض سادات المسلمين).

وقال بعض مؤرّخي الزبير: (الشيخ عثمان بن سند من أكابر العلماء الأجلاء الذين تفخر بهم البصرة والزبير، ساجل علماءها وألّف الكثير في علوم العربية والمنطق وسائر العلوم، وهو إلى ذلك شاعرٌ فحل).

وقد ترجم له مراد أفندي فقال: (الشيخ عثمان بن سند النجدي ثم البصري الوائلي نسبياً، هو الإمام العلامة الرُّحلة الفهامة، حَسَّان زمانه، وبديع أوانه، خاتمة البلغاء، ونادرة النبغاء، صاحب المؤلفات البديعة، منها «أصفي الموارد» كتاب نفيس يحتوي على فوائد تاريخية وفرائد أدبية، من اطلع عليه عَلِمَ ما للمتراجِم من اليد الطولى في فنون الأدب نظماً ونثراً).

وقال الشيخ خالد النقشبندي: (إنَّ الشيخ عثمان بن سند حريزُ الزمان، وقد أثنى عليه جَمع من الأئمة).

وقال الشيخ الفاضل أحمد الشهبواني اليميني في كتابه «حديقة الأفراح»: (القول فيه (عثمان بن سند) إِنَّهُ طَرْفَةُ الراغب، وبُغْيَةُ المستفيد الطالب، جامع سور البيان، ومفسّر آياتها بِالطَف تَبَيان، أَفْضَلُ من أَعْرَب عن فنون لسان العرب، وهو إذا نظم أَعْجَب، وإذا نثر أَطْرَب، إِنَّهُ لِإِمَام هذا العصر.

(١) نبيه الفارئ الكريم أن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وقد صنّف «مطالع السعود في أخبار الوالي داود» جمع فيه أخبار العراق وأحداثه وأخبار نجد باديتها وحاضرتها، ولما اطّلع عليه الوالي داود أكرمه وأجلّه وأدناه، وصار هو جلسه ونديمه، وعلم من هذا السّفَر الجليل قيمة الشيخ عثمان بن سند العلمية والأدبية والتاريخية^(١).

وقال أحد مؤرّخي الكويت: (إنّ نزوع ابن سند في فنّ السيرة نزوع المؤرّخ الضليع، ولسنا نَجافي الواقع لو أطلقنا عليه اسم (مؤرّخ الخليج العربي)؛ لعدد ما وضع من المؤلفات في الجغرافيا وسيرة أبناء هذا الساحل العربي الأصيل).

وقال الشيخ إسماعيل المدني: (إن هذا الفاضل ممّن شاع ذكْرُه، وملاً الأسماع مدْحُه وشكْرُه، فهو من العلماء العارفين، ومن أفاضل المحدثين، له اليد الطولى في العلوم العربية والفنون الأدبية، نظّم غالب المتون من سائر الفنون، وقد اشتهر في هذه الديار، وظهر ظهور الشمس في رابعة النهار، وكان حنبلي المذهب، فتحول إلى مذهب الإمام مالك).

وقال الشيخ يوسف بن راشد المبارك: (الشيخ عثمان بن سند هو العلامة، والعمدة الفهامة، له تاريخ «مطالع السعود»، فيه غرائب وفوائد قد أفنى عليها الدهر، ولولا هذا الإمام لكانت هذه الوقائع في عالم النسيان).

وقال جامع هذه التراجم عبد الله بن عبد الرحمن البسام عفا الله عنه: إنّ الشيخ عثمان بن سند من كبار العلماء، ونوابغ البلغاء، وفحول الشعراء، وإنّه موسوعة علمية في كل باب من أبواب العلم وفي كل فنّ من فنون الأدب، فهو عالم عصره، وعلامة مصره.

ونحن نشني عليه وندعو له حينما تصدّى للشاعر الهَجَّاء الخبيث دِعْبِل الخزاعي الذي تهجّم - قبّحه الله - على سادات الصحابة؛ أبي بكر وعمر وطلحة والزبير وعائشة وأندادهم، فهجّاهم وشتمهم وازدراهم، فتصدّى له

(١) حديقة الأفراح، ص ٣٠٣.

الشيخ عثمان بن سند بالرّدّ عليه بمجموعة شعره «الصارم القرصاب في نحر من سبّ أكارم الأصحاب»، فكان في هذا الردّ البليغ ما يشفي العليل ويروي الغليل.

ونحن نعتب على الشيخ عثمان ونلومه - وهو النجديُّ الأصل، ونجدُّ هي منبت السلفية - أن ينحاز مع المنحرفين عن هذه الدعوة السلفية، ويكون مع أصحاب الطُّرُق الصوفية، ثم لا يكفيه هذا حتى تناول بالسبِّ والنقد شيخ الإسلام ابن تيمية صاحب المدرسة السلفية، مما جعل الشيخ عثمان بن منصور الناصري يرد عليه، وهو معاصر له و مُجاوِر في العراق مدّة الطَّلَب.

وكتاب الشيخ عثمان بن منصور اسمه «الردّ الدامغ»^(١) على الزاعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية زائف»، تأليف الشيخ عثمان بن عبد العزيز بن منصور النجدي عفا الله عنه.

وقال الشيخ عثمان بن منصور في مقدّمة ردّه: (قال عثمان بن منصور العمري^(٢) التميمي الحنبلي ستر الله عيوبه وغفر له ذنوبه، ردّاً على عثمان الفيلكي ثم البصري سامحه الله ، لَمَّا سَبَّ شيخ الإسلام وقدوة الأعلام أحمد ابن تيمية قدّس الله روحه ونور ضريحه، ونسبّه مع ذلك إلى التجسيم والتضليل في مُحاورَة صدرت بيني وبينه، فأتى به فيها مُعترِضاً بسبّه وأنا أسمع، بحضرة تلميذ له يقال له: محمد بن تريك، فأبذى بالكلام في ذلك السب، وأقذع وسبّب مع ذلك نجداً وأهلها، فحينئذٍ لم أتمالك عند سبّه شيخ الإسلام إلّا أن قلتُ منتصر اله...)^(٣).^(٤)

(١) في الطبعة الثانية: «الدافع».

(٢) في المسودة، ص ٥٧٩، وحاشية السحب الوابلة ٢/٧٠٤: «العمروي».

(٣) الردّ الدامغ على الزاعم أن شيخ الإسلام زائف، ص ٩١.

(٤) بعد هذا عثرنا عليها، وذكرناها في ترجمة الشيخ عثمان بن منصور المتقدمة. (المؤلف).

ينظر عثمان بن عبد العزيز بن منصور ص ٧٤ من هذا المجلد، ترجمة رقم (٥٥١).

هذا بعض ما جاء في المقدمة، ولم أعثر فيما عندي من الأوراق إلا على المقدمة، ولعل الله ييسر الباقي، فجزى الله الشيخ عثمان بن منصور خيرًا على غيرته ورده.

وفاته:

أجمَعَ المؤرخون على أنَّ وفاة المترجم في بغداد، واختلفوا في سنتها، والزَّاجح أنَّ وفاته عام ١٢٥٠ هـ، وقد دفن مجاورًا للعابد الشهير معروف الكرخي، رحمهما الله تعالى.

* * *

٣- الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن فارس^(١) (١٢٣٥-

(١٣٢٦هـ)

الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن فارس بن عبد الله بن إبراهيم آل فارس، وآل فارس أسرة ترجع إلى (آل بو سعيد)، أحد أفخاذ بطن (آل مزروع)، ومزروع هو ابن رفيع بن حميد بن حماد بن مخرب بن صلاة بن عبدة بن عدي بن جندب بن الحارث بن عمرو الندي، فهُم من (بني عمرو) أحد قبائل بني تميم القبيلة الشهيرة الخطيرة، وعمرو الندي هو الجواد المشهور الذي افتخرت به قبيلته، ومنهم الشاعر الفارس (رميزان بن غشام) من قصيدة يقول فيها^(٢):

لَنَا مَفْخَرٌ بِالْأَضَلِّ عَمْرُو وَمُنْدُرٌ
إِذَا قَدَّمُوا عِنْدَ الْفَخَّارِ الْعَشَائِرِ

ومندر هذا هو الشجاع المشهور الذي يُعَدُّ عن ألف فارس.

ومن آل مزروع أسر كثيرة، منهم (آل فارس) في الروضة والكويت والرياض وغيرها من البلدان، يقيمون حيث تكون أعمالهم ومصالحهم.

والقصد أن المترجم من قبيلة بني عمرو بن تميم، وكانوا يقيمون في قفار البلدة المشهورة قرب مدينة حائل، فَقَدِمَ جَدُّ هَذِهِ الْأُسْرَةِ (مزروع) منها إلى روضة سدير، فعمرها هو وذريته، وبنوا سدودها المشهورة، وصاروا هم رؤساءها، وانتقالهم من قفار إلى الروضة كان حوالي عام ٨٠٠هـ فكثروا في الروضة وصار بينهم فتن تفرقوا من أجلها في البلدان، ومنهم أسر نزحت من أجل أعمالهم ومصالحها.

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٦/ ٢٠٤-٢٠٧.

(٢) عنوان السعد والمجد ٦/ ١٤٧ (ضمن خزانة التواريخ النجدية).

أما المترجم فقد وُلد في بلد أسرته (روضة سدير) عام ١٢٣٥هـ، ونشأ في هذه البلدة، وبعد سنّ التمييز دخل كُتَّاباً للمقري (عبد العزيز بن دامغ) تعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة، وزاد شوقه ونهَمَه في مواصلة التعليم، فأخذه عن علماء بلده، وهو مُعاصر ومُواطن للعلامة الشيخ عبد الله أبا بطين، فلعله قرأ عليه في الروضة قبل انتقال الشيخ أبا بطين عنها.

ولمَّا شَبَّ صار له جولة وسياحة في البلدان من أجل طلب العلم ومن أجل أعمال تجارية، ثم اتخذ من بلد الكويت مقراً له وموطناً، وصار يتلقَى العلم برغبة ونهَم وكان ممَّن حَثَّه على التفرُّغ له الشيخ عبد الله بن جميعان الكويتي، فكان من مشايخه في هذه البلدان:

١. عبد الله بن جميعان.

٢. الشيخ أحمد بن صعب.

٣. الشيخ صالح بن حمد المبيض.

٤. الشيخ حبيب الكردي.

٥. الشيخ الفداغي.

٦. الشيخ عبد الجليل الطبطائي.

٧. الشيخ عبد العزيز العتيقي.

وغيرهم من العلماء.

ولما نَهَلَ من العلم افتتح في الكويت كُتَّاباً للتربية والتعليم فكان كُتَّابُه نموذجاً لتعليم القرآن الكريم بالتجويد والأداء الجيّد، ولتعليم الحساب بقواعده وكسوره ولتعليم الخطِّ بأنواعه وفنونه، ولتعليم مبادئ العلوم الشرعية والعلوم العربية، ولتعلُّم الخطابة والوعظ.

فأخرج من هذا الكُتَّاب أجيالاً من المتعلِّمين والمتفنِّين الذين سدُّوا فراغاً في الدوائر الحكومية والمحلات التجارية.

وله خَطٌّ فائقٌ بجماله وحُسْنُه، وتمشيه مع قواعد الإملاء الصحيحة، رأيتُ منه نماذج هي الغاية في جمال الخطِّ وحُسْنِ صورته، وصار له ذِكرٌ كبير، وصيْتُ ذائعٌ لدى جمهور الكويتيين، فقد قال عنه العلماء، وكتبت عنه الصحفُ الثناء العاطر والذِّكرَ الحسن والسيرة الحميدة.

قال عنه الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان: (الشيخ محمد بن فارس بهجةٌ المَجالِس، هو العالم الفاضل الكامل، كان مثلاً للورع في اجتناب الشبهات، كان يجلس بعد صلاة الفجر في داره ويجمع ابنائه وأحفاده لمُدَارسة القرآن العظيم إلى أن ترتفع الشمس، ويحُضُّهم على ذلك، ومن تخلف منهم عن الحضور عاتبه، ثم يصلي صلاة الضحى ويقرأ عليه من يريد القراءة في الفقه).

وقالت إحدى الصحف الكويتية: (البيت الثالث هو بيت ال فارس، وهذا البيت قد خرَّج ثلثة من العلماء؛ كالشيخ محمد بن عبد الله الفارس الذي مزَج بين العلم والتجارة، وقد كان هذا الشيخ نبزاً للكويت في تلك الحقبة من الزمن، وهو آخر القرن الثالث عشر.

وتحت عنوان (مُربُّون من بلدي): (الشيخ محمد بن عبد الله بن فارس نشأ على حب العلم واتجه في تعلُّمه اتجاهًا دينياً، وعشق القراءة وفهم إعجاز القرآن الكريم، كما قرأ كتب التفسير والحديث والفقه.

وتلמד على عدد من العلماء في مكة والمدينة والعراق، حيث ارتحل فتفقه في المذاهب الأربعة، وبرع في المذهب الحنبلي، كما تعلَّم النحو والصرف وباقي علوم اللغة العربية؛ ليتذوق أسلوب القرآن الكريم من خلال فصاحته وبلاغته.

كان عالماً متبحراً، وفقهياً نفسياً، يمثِّل يُسر الشريعة وسماحتها، ويُظهر جمالها وجلالها، وأنها الشريعة الكاملة التامة الصالحة لكل زمان ومكان.

وكان له في الوعظ والإرشاد أسلوب حكيم ومدخل سليم، فكان يُخاطب ويوجِّه كلَّ إنسان بما يلائمه، حتى أحبه الناس وألفوه، وصارت له شعبية كبيرة عند كلِّ الطبقات).

وقال الكاتب فرحان آل عبد الله: الشيخ محمد بن عبد الله الفارس: بهجة المَجالس، وتحفة المُجالس، فهو العالم العامل الفاضل محمد بن فارس، التميمي نسباً، الحنبلي مذهباً، السلفي معتقداً، النجدي أصلاً، الكويتي موطناً. وُلِد من أبوين كريمين في روضة سدير من البلاد النجدية، ثم سافر إلى الكويت ١٣٥٣ هـ فاتصل بالسيد الطبطائي قادماً من البحرين، فصار المترجم يأخذ عنه ويستفيد منه، كما حلَّ بالكويت الشيخ (نافع) أحد تلاميذ ابن سلوم، فقرأ عليه «غاية أولي النهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى» للشيخ مرعي الكرمي.

وفي عام ١٢٦٤ هـ اتجه المترجم إلى البلاد المقدسة، وفي مكة قابل الشيخ أبا بكر المُلَّا واستفاد منه، ثم عاد إلى الكويت وعاد إلى نفع الناس بالتدريس والوعظ والإرشاد.

ثم في عام ١٣١٠ هـ قَصَد البلاد المقدسة للحج وزيارة المسجد النبوي الشريف، وجاور بالمدينة المنورة مدة أمَّ فيها بالمسجد النبوي الشريف، ودرَّس في المسجد النبوي، ثم عاد إلى بلده، وقد شعر بالضعف وانحلال الجسم، وما زالت صحَّته في تأخر وانحطاط.

وفي عام ١٣٢٦ هـ، توفي في بلد الكويت مأسوفاً عليه.

فقد قال الأستاذ فرحان بن عبد الله الفرحان: (قد احتلَّ الشيخ محمد بن فارس مكانة عظيمة في النفوس)، وزاد بقوله: (إنَّ الشيخ لم يموت، وقد خلَّف ذرية طيبة من أحفاده، وهم الشيخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن محمد بن فارس، وابن عمِّه الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن محمد بن فارس)، وقد تقدَّم لهما ترجمتان في هذا الكتاب^(١)، رحمهم الله تعالى.

* * *

(١) ترجمة الشيخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن ٣٩/٥، ترجمة رقم (٥٣٩)، ترجمة الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله ٤٢/٥ ترجمة رقم (٥٤٠).

٤- الشيخ عبد الله بن خلف بن دحيّان ^(١) (١٢٩٢هـ - ١٣٤٩هـ)

وُلد الشيخ عبد الله بن خلف بن دحيّان في الكويت في الثامن والعشرين من شوال سنة ١٩٢٩هـ، وكان والده خلف الدحيّان بدوياً من قبيلة حرب، وكان مقيماً في بلدة المَجْمَعَة عاصمة سدير من بلدان نجد. وكان إماماً وخطيباً في جامعها، ومعلّماً القرآن لأولاد البلدة^(٢)، فسافر إلى الكويت في حدود عام ١٢٨٥هـ.

ووُلد له المترجم عبد الله في الكويت، ونشأ في ظل والده وتعلّم عنه القرآن الكريم ومبادئ الكتابة والحساب، ونشأ على سيرة حسنة وسريرة مستحسنة، وحبّ إليه العلم.

فشرع في قراءة الفقه على العالم الشيخ محمد بن عبد الله الفارس، فقد لازمه وأخذ عليه مبادئ الفقه وعلوم العربية، كما كان مستمعاً عند السيد مساعد السيد عبد الجليل.

ثم سافر المترجم إلى بلدة الزبير سنة ١٣١٠هـ، إذ كانت أهلة بالعلماء، لا سيما علماء الحنابلة، فشرع في القراءة على الشيخ صالح بن حمد المبيض، وعلى الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الحمود، وعلى الشيخ محمد بن عبد

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٤/ ٧١-٨٥.

(٢) كان ذلك وقت حصار الإمام عبد الله الفيصل للمجموعة وحروبها معه؛ ولذا كان بعض الغزاة الذين مع الإمام يرتجزون بشعر نبطي وهم على أسوار البلدة، ومن أراجيزهم:
المطوع خلف بعد الخطابه صار يغني بالمحاريب
(المؤلف).

الله آل عوجان، وقد كان هؤلاء الثلاثة من كبار العلماء في تلك البلاد.

وهكذا اجتهد المترجم في طلب العلم عند هؤلاء العلماء الأجلاء، وفتح الله عليه بأنواع العلم، حتى من تلقى عنهم يُعجبون به وبسرعة معرفته وذكائه، وكان محبوباً لديهم جميعاً؛ لِمَا عرفوا فيه من الإخلاص والصدق والتواضع.

ثم رجع إلى بلده الكويت بعد سنتين، ثم عاد مرة ثانية للزير لتكميل دروسه، وبعد سنة عاد إلى بلده ولم يمض وقته سدى، بل كان مُكَبِّباً على الاطلاع والاستزادة من العلوم ليل نهار حتى حصل على علم غزير وفضل منير.

كما أنه استجاز العلامة مؤرِّخ نجد الشيخ إبراهيم بن صالح ابن عيسى، فكتب له الشيخ ابن عيسى إجازة مطوَّلة واستجاز العلامة محمد بن عبد الكريم الشبل العنيزي، فأجازه كذلك.

كما لقي العلامة عبد الله القدومي النابلسي الحنبلي، فإنَّه كان في المدينة النبوية حينما زارها المترجم سنة ١٣٢٤ هـ، فقد كان الشيخ القدومي يتردَّد على المدينة النبوية كثيراً، وقد صرَّح بأنَّه شيخه.

كما قرأ على الشيخ محمد أمين الشنقيطي في الكويت، وكذلك الشيخ أحمد الفارسي.

رحلته إلى الحج:

وفي سنة ١٣٢٤ هـ ذهب المترجم إلى الحج، وقد كانت رحلته هذه مفيدة للغاية، فقد مرَّ ببعض بلدان القصيم، والتي منها بريدة.

وقد كان بصحبته مجموعة من وجهاء الكويت وفضلائها، فحطُّوا رحالهم فيها، ثم بعد ذلك توجهوا إلى بلدة عنيزة، ولقي المترجم من فيها من أهل العلم والفضل، ثم مكثوا فيها أياماً، وبعد ذلك توجهوا إلى المدينة النبوية، ثم مكة المكرمة، وهناك حصل للمترجم ما يتمنَّاه من لقاء أهل العلم من مُختلف

البلدان، وقد ذكر جُلَّ هذا في قصيدته في رحلة الحج.

كما أنه لم ينسَ لأهل الفضل فضلهم وكرمهم، فقد أثنى على من صحبهم في هذه الرحلة الشاقة؛ فإنهم كانوا - كما لا يخفى - على الإبل.

أخلاقه وصفاته:

كان المترجم يُضرب به المثل في حُسن الخلق؛ من تواضع ونزاهة وصيانة واستقامة في الدين، يسعى في قضاء حوائج الناس؛ من كتابة للوثائق وعقود للأتكة طوال حياته، محتسباً الأجر من الله عزَّ وجلَّ، كما كان يعين ذا الحاجة الملهوف، ويساعد المحتاجين والفقراء.

وكان سمحاً كريماً لدى عامة الناس، وهو من الكرم بمكان عظيم، يتفقد أصحابه وجيرانه، ويواسيهم سرّاً، يجود بما لديه ولو كان قليلاً، ولا تزال هذه الأخلاق والسجايا تُذكر على ألسنة من أدركه إلى اليوم:

وَإِذَا سَخَّرَ الْإِلَٰهَ أَنَا سَا لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سَعْدَاءُ^(١)

ويقول عنه المؤرِّخ الشيخ عبد العزيز الرشيد: (هو أجَلُّ علماء الكويت اليوم وأصلحهم، وقد امتاز عليهم بالهدوء والسكون وحسن المعاشرة وبالأخلاق الفاضلة والآداب الجمَّة التي يُغبط عليها، قلماً يسيء إلى جلسه مهما بدر منه، صبور على الشدائد، جلد على المصائب، وهو على علمه لا يستنكف من الأخذ بمن هو دونه علماً)^(٢). اهـ.

ولأهل الكويت فيه اعتقاد عظيم يفوق الوصف بحيث إنَّ أكثرهم يأتي من نواحيها يوم الجمعة للصلاة خلفه واستماع خطبته وبعد الصلاة يزورونه في بيته للسلام عليه واغتنام رؤيته ودعائه واستماع كلامه والاستفادة منه؛ وذلك لعِفَّة النادرة وثقاه الصحيح.

(١) البيت من همزية البوصيري، ص ٤، طبعة دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.

(٢) تاريخ الكويت، ص ٣٢٧.

وكان محبباً إلى الناس عامة وإلى العلماء خاصة، لا يخلو مجلسه من العلم والعلماء.

وكان غزير الدمعة، لا ترتفع دمعته إذا مر بآية رحمة أو آية عذاب.

مواقفه من الأعمال الخيرية وتشجيعه لها:

كانت للمترجم مواقف مشهودة كعادة العلماء والمصلحين من الأعمال الخيرية.

ولما افتتحت الجمعية الخيرية سنة ١٣٣١ هـ وأُقيم لافتتاحها حفلة أُلقيت فيها خطب من بعض الغيورين الفضلاء، ومنهم الشيخ عبد الله الخلف، وكذلك حينما تأسست المدرسة الأحمدية سنة ١٣٤٠ هـ، كان الشيخ عبد الله الخلف أول خطيب افتتحها، شاكراً القائمين على تأسيسها، وحثاً الحاضرين على أن يجعلوا من هؤلاء أسوة لهم فيناصروا مشاريع العلم، ويفتتحوا دور التعليم، ودَكَر ما للعلم من فضل في إحياء النفوس وإيقاظ وتنوير العقول، وأنَّ الجدَّ لا تناله الأمة إلا بالعلم.

إمامته:

تولى المترجم الشيخ عبد الله الإمامة والخطابة، وذلك في مسجد البدر الذي أسَّسه ناصر بن يوسف البدر.

يقول المؤرِّخ عبد العزيز الرشيد: (أسَّسه الحاج ناصر البدر في الحي القبلي من ثلث والده يوسف البدر سنة ١٣١٥ هـ، وهو من المساجد التي تقام فيها الجمعة، وأول من عُيِّن فيه إماماً وخطيباً هو المترجم الشيخ عبد الله الخلف الدحيان....)^(١).

توليه القضاء:

(١) تاريخ الكويت، ص ٣٢٨ بنحوه.

كان القضاء متسلسلاً في آل العدساني، وكان آخر من تولى القضاء عبد الله بن خالد العدساني، فلما توفي سنة ١٣٤٨ هـ ظلَّ منصب القضاء شاغراً لمدة ثلاثين يوماً أو نحوها.

ومن المعلوم أنَّ المترجم الشيخ عبد الله كان من الزاهدين في القضاء تماماً، فإنَّه كان من الورع والصلاح بمكان كبير، فقد كانوا يحاولون معه في تولي القضاء وكان يمتنع من ذلك أيما امتناع، ولكن الضرورة ألجأته إلى ذلك؛ إذ لا يوجد من هو نظير له في العلم.

يقول الشيخ يوسف بن عيسى القناعي: (وتولى - أي الشيخ عبد الله - القضاء سنة ١٣٤٨ هـ، وكان مثلاً للعفة والنزاهة والعدل، ولم نعرف أحداً تولى وأدى واجبه مثله، وكان توليه القضاء بإلزام من الشيخ أحمد الجابر؛ لأنه متعين عليه القيام بهذه الوظيفة حيث لم يوجد من يمثله في العلم والصلاح، واستقام في القضاء محتسباً لم يأخذ عليه أجراً...).

وفي هذا يقول الشاعر الأديب إبراهيم الجراح

وَتَرَكْتَ أَرْزَاقَ الْقَضَاءِ تَرْفَعًا عَنْهَا فَمَا الدِّينَارُ أَوْ مَا الدَّرْهَمُ

وقد اشترط عليهم المترجم الشيخ عبد الله أن يكون وكيلاً للقضاء لا أن يكون أصيلاً فيه حتى يجدوا بديلاً له، وكان يقول: (ادعوا الله أن يريحني من القضاء).

ويقول الكاتب عبد الله الحاتم بعد أن ذكر منصب القضاء وأنَّه صار شاغراً بعد وفاة العدساني: (وكان الشيخ أحمد الجابر الصباح وكثير من الوجهاء والأعيان، يحاولون خلالها إقناع الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان بقبول هذا المنصب، ولمَّا لم يجد الشيخ عبد الله مهرباً من قبوله، وافقهم على أن يكون فيه نائباً لا أصيلاً إلى أن يجدوا من يقوم مقامه، ولكنه لم يمكث طويلاً، فإنَّه توفي في رمضان سنة ١٣٤٩ هـ رحمه الله تعالى).

ولما أُنيطت به هذه المهمة الصعبة قام بها أفضل قيام وأتمّه).

يقول الأستاذ عبد الله النوري مادحاً له عدلّه ورضا الناس بحُكمه لهم: (وعدله المشهور دليل على صدق إيمانه وثبات يقينه بربه، وَلِيّ القضاء فحَكَم فعَدَل ولم يَخَفْ في الله لَوْمَة لائِم ولا بطش ظالم؛ فَإِنَّه يَأْتِيه الخصمان فيسمع من كل منهما حُجَّتَه، ثم يعرض عليهما الصلح، فإن قَبِلَا وإلا حَكَم بما يعتقد أنه الحق، فيخرج الخصمان وكلاهما راضٍ بحكمه العادل، داعٍ له بالخير).

وقد كان الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت راضياً بتولي الشيخ عبد الله الخلف، فكلما صدر الحكم من قِبَل الشيخ عبد الله أخذ به ووضعهُ على رأسه؛ توقيراً وتبجيلاً للشيخ عبد الله.

وهكذا يكون العلماء الصلحاء في توليهم القضاء، تصلح بهم البلاد والعباد.

ثناء العلماء عليه:

قد أثنى كثير من أهل العلم على المترجم الشيخ عبد الله الخلف، وذكروا أوصافه الحميدة وخصاله الكريمة، واتفقت كلمتهم على وصفه بالعلم ومحاسن الأخلاق، والأدب الجم، فقد وصفه الشيخ إبراهيم ابن عيسى - وكان بينهما مراسلات - بقوله: (هو العالم الفاضل القاضي الفقيه الفرّضي النحوي الأديب العابد الصالح الورع الزاهد).

ومدحه العلامة المحقق خاتمة علماء الحنابلة بالشام الشيخ عبد القادر بن بدران المتوفي سنة ١٣٤٦ هـ، حينما أرسل له الشيخ عبد الله أسئلة وأجاب عليها بكتابه «العقود الياقوتية»، فأرسل له الشيخ عبد الله مرة أخرى، فأجابه بـ «الفريدة اللؤلؤية» وقال في مطلعها^(١): (فلما اتصلت تلك العقود بالعلامة الفاضل شيخ القطر الكويتي والنجدي، والشيخ عبد الله بن خلف بن دحيان

(١) الفريدة اللؤلؤية، المطبوعة مع: العقود الياقوتية، لابن بدران ص ٢٠٩.

عالم تلك البقاع وفاضلها...).

وقال علامة العراق محمود شكري الألوسي في رسالة له بعث بها إلى المترجم الشيخ عبد الله: (العالم الجليل، والكامل النبيل، تذكرة السلف الشيخ عبد الله بن خلف، أيد الله به أحكام الدين، وجعله قرّة عين للمسلمين (...).

وقال الشيخ المؤرّخ عبد العزيز الرشيد: (أستاذنا الجليل، العلامة الشيخ عبد الله الخلف...)^(١).

وقال أيضًا: (أستاذنا الفاضل الشيخ عبد الله بن خلف الدحيّان، هو أجلُّ علماء الكويت اليوم وأصلحهم.. وله في الفقه الحنبلي يد طولى)^(٢).

وقال العلامة الشهير محمد بن عبد العزيز بن مانع في رسالة له إلى الشيخ عبد الله بتاريخ ١٣ محرم سنة ١٣٤٣ هـ: (حضرة العلامة الأوحد، والفهامة الأمجد، العامل، والفاضل الكامل، الأخ الشيخ عبد الله بن خلف...).

وأثنى عليه شعراً الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك الأحسائي، فقال:

أَلَا بَلَّغَا عَنِّي فَتَى الْمَجْدِ إِطْلَاقًا وَمَنْ سَبَقَ الْأَقْرَانَ فِي الْعِلْمِ إِطْلَاقًا
وَأَرْبَى عَلَى نَهْرِ الْمَجْرَةِ فِقْهُهُ لَذَا زُهِرَهَا لَاحَتْ لِعَلْيَاهُ أَخْلَاقًا

وله إجازة من الشيخ ابن شبل جاء فيها: (أما بعد: فقد طلب مني الأخ الصالح الشيخ الله بن خلف الدحيّان أن أنظمه وأنسبه فيما انتسبت إليه في سلسلة مشايخنا، وأكثر اشتغالي على شيخنا علي بن محمد قاضي عنيزة ومفتيها فوق ثلاثين سنة، واشتغلت كثيرًا على شيخنا الورع الزاهد الشيخ عبد الجبار الزبيري، واشتغلت كثيرًا على شيخنا الورع الشيخ محمد بن عبد

(١) تاريخ الكويت، ص ٣٢٨.

(٢) تاريخ الكويت، ص ٣٢٧، ٣٢٨.

الله بن مانع).

وذكر بعد هؤلاء مشايخهم إلى أن قال: (واعلم أنني في نفسي أحقر من أن أجاز فضلا عن أن أجز، ومع هذا فإن الإجازة ليست شرطاً في تعليم الجاهل، وإنما اصطاح الناس على الإجازة، فجعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ المُجاز بأنه أهل للتعليم، وقد أجزت الشيخ عبد الله بن خلف بما تعلمنا من مشايخنا.

كتبه الفقير إلى رحمة ربه: محمد بن عبد الكريم بن شبل الحنبلي عام ١٣٢٥هـ). اهـ.

مجالسه العلمية وتلاميذه:

عمر المترجم الشيخ عبد الله وقته ومجالسه بالعلم والتدريس والوعظ والإرشاد العام، فقد درّس الحديث والفقه والتفسير، وغير ذلك من العلوم، فإنه يقرأ في الصباح في تفسير ابن كثير، ثم يُعقب ذلك بقراءة في «صحيح البخاري» مع «شرح فتح الباري»، وأما بين المغرب والعشاء فإنه كان يقرأ فنوناً متعددة، كلما أنهى قراءة كتاب شرع في قراءة كتاب آخر، وقد اعتنى عناية فائقة بتدريس كتب الفقه الحنبلي، فقد درّس الكثير من كتب متأخري الحنابلة، فمجموعة تقرأ عليه في «دليل الطالب» لمرعي الكرمي، ومجموعة أخرى في «زاد المستقنع» وأخرى في «الروض المربع»، إلى غير ذلك من كتب المذهب.

كما أنه فتح بيته ومجلسه لعامة الناس، فلا يردُّ الصغير ولا الكبير، وكان يجلس للزائرين صباحاً ومساءً.

يقول الشيخ عبد الله النوري رحمه الله: (لكن مجلسه ليس للقليل والقال، بل للوعظ والتذكير والإرشاد. يقرأ للناس من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا مرَّ بآية فسرها، ثم ذكر أسباب نزولها، ثم استنتج منها

أحكامها، وكذا الحديث يشرح لهم معناه، ويذكر شيئاً من حياة الصحابي الذي رواه). اهـ.

وقد انتفع به خلق كثير، وجمع وفير.

يقول الشيخ يوسف بن عيسى القناعي: (وكان محلّه مدة حياته مَجْمَعاً لطلبة العلم صباحاً ومساءً، واستفاد منه كثير من طلبة العلم من الكويت).

ومن تلاميذه:

١. الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وهو مشهور معروف، وقد قرأ على الشيخ في النحو «متن الأجرومية» توفي سنة ١٣٩٣هـ.

٢. الشيخ المؤرّخ عبد العزيز بن أحمد الرشيد، صاحب كتاب «تاريخ الكويت».

٣. الشيخ يوسف بن حمود، يقول القناعي: (وكان ملازماً لمحل الشيخ عبد الله الخلف لِمَا فيه من المذاكرة العلمية، وبعد وفاة الشيخ عبد الله لزم بيته وانقطع عن مخالطة الناس حتى توفي سنة ١٣٦٥هـ).

٤. الشيخ محمد بن جنيد، لازم الشيخ عبد الله واستفاد منه فائدة كبيرة؛ لكثرة ملازمته لمحل الشيخ عبد الله بن خلف، وكان لا يفارق مجلسه حتى توفاه الله حوالي سنة ١٣٤٢هـ.

٥. الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عبد اللطيف آل مبارك، عالم الأحساء.

٦. الشاب محمد بن عبد الله السبيل، الشقيق الأكبر لإمام المسجد الحرام بمكة المكرمة الآن، وقد توفي شاباً قبل أن يُؤلّد إمام المسجد الحرام الحالي، وقد سُمّي إمام الحرم باسم أخيه الأكبر (محمد).

٧. سعود بن محمد الزيد، وكان من الملازمين للشيخ، توفي عام ١٣٨٥هـ.

٨. محمد بن إبراهيم الشائقي، كان إماماً في مسجد العقيري الأول.

٩. الشيخ أحمد الخميس الجبران، وكان ابن أخته.
١٠. الشيخ عبد الوهاب العبد الله الفارس إمام مسجد آل فهد، وقد كان يدرس فيه الفقه، توفي سنة ١٣٩٥ هـ.
١١. الشيخ الداعية المشهور عبد الرحمن بن محمد الدوسري، توفي سنة ١٣٩٩ هـ^(١).
١٢. الشيخ عبد الله محمد النوري، توفي سنة ١٤٠١ هـ.
١٣. الشيخ عبد الوهاب عبد الرحمن محمد الفارس، وقد درس في المعهد الديني الفقه الحنبلي، كما كان إماماً لمسجد الفارس ولمدة ٥٤ عاماً.
١٤. العلامة الشيخ محمد بن سليمان بن عبد الله الجراح، إمام (مسجد السهول)، وقد انتفع بالشيخ عبد الله واستفاد منه، وقرأ عليه «الدليل» لكنه لم يتمه؛ لوفاة الشيخ عبد الله، كما أنه كان يحضر بقية دروسه في الصباح والمساء.
١٥. الشيخ الأديب إبراهيم بن سليمان الجراح، شقيق الشيخ محمد، وقد حضر على الشيخ عبد الله في «الدليل» وغيره من الدروس.

مكتبته الثمينة ونوادرها:

كان المترجم الشيخ عبد الله رَحِمَهُ اللهُ حريصاً غاية الحرص على اقتناء الكتب المخطوط منها والمطبوع في ذلك الزمان، ولكن كان جُلَّ تركيزه على الكتب الخطية، فدأب على التوصية عليها مع المسافرين إلى الشام ومصر وبغداد والحجاز ونجد، وقد حصل له من نجد الكثير، حتى صارت مكتبته من أنفس المكتبات، فقد كان له وكلاء في بريدة وعنيزة وأشققر والمجمعة

(١) ذكر المؤلف وفاته هنا على الصواب، بينما وردت وفاته سنة ١٣٨٩ هـ في ترجمته. ينظر ١٣٤/٣، ترجمة رقم (٢٩٩).

يحرصون عليها ولو كانت بغالي الأثمان، والتي لا يستطيعون الحصول عليها فإنَّه يكلف من يستنسخ له تلك المخطوطة.

ففي أشيقر كان وكيله شيخه العلامة إبراهيم بن صالح ابن عيسى، فإنَّه قد حصل عن طريق هذا الشيخ الشيء الكثير من الكتب التي هي غاية في النفاسة كما سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله، وكذلك كان شيخه الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل في عنيزة، فقد كان وكيلاً له هناك، وقد نقل من مكتبة الشيخ محمد بن شبل الكثير من نفائس المخطوطات، وفي بريدة صالح بن دخيل الجار الله، وعلي الخراز، وفي المَجْمَعَة العلامة الكبير أحمد بن إبراهيم بن عيسى، وطالب علم من آل صالح.

مآل مكتبة المترجم الشيخ عبد الله الخلف:

بعد وفاة المترجم الشيخ عبد الله رَحِمَهُ اللهُ آلت مكتبته إلى ابن أخته الشيخ الخميس، وبعد وفاة أحمد الخميس أهدى ورثته المخطوطات إلى مكتبة الأوقاف وبقيت المطبوعات عندهم، وقد ضاع كثير من المخطوطات في خلال نقلها، وبعضها أكلته الأرَضَةُ مما يؤسف له، وتاريخ دخولها إلى مكتبة الأوقاف هو في ٢٢ / ٣ / ١٣٩٧ هـ كما في السجل العام للمخطوطات، وتبدأ مخطوطات الشيخ عبد الله من رقم (٣٥) إلى (٥٠٠)، وهناك مخطوطات جاءت بعد هذا الرقم نحو عشر مخطوطات أو أكثر بقليل.

وقد انتقلت من مكتبة الأوقاف إلى مكتبة الموسوعة الفقهية، وتمَّت فهرستها إِلَّا النَّزْر اليسير منها.

قال الشيخ محمد بن سليمان الجراح: إن مكتبة الشيخ عبد الله خصوصاً المخطوطات كثيرة جداً، وأنه ما بقى منها إلا القليل بالنسبة للكثرة التي كانت في حياته، رحمه الله.

ومما سجله المترجم حين توفي صديقه وصاحبه في الطلب ابن شيخه

الشيخ محمد بن عبد الله الفارس، وكانوا يقرؤون في كتاب «كشف المخدّرات»، كتب في الورقة (١٠١ / ب) ما يلي: (هنا على قوله: والثاني من أقسام الخيار، انقطعت مذاكرتنا مع الشاب التقي والفاضل الذكي؛ لانفساخه من عقد الحياة، فجاءه الموت وهو للعلم طالب، وقد فاز منه بنيل المآرب، ففُقئت عين الطلب بموته، ورُزئت المذاكرة بفوته فأسال الدموع، وأوحش الربوع حادث فراقه اللسوع؛ فالدموع عليه ساكبة، والقلوب من شدة الأسى ذائبة، وشموس الفضل كاسفة، وبُدُور العلم خاسفة، برّد الله مصيبتنا بجميل الصبر، وأعظم لنا في رزيتّه الأجر، ولا حرمنّا أجره، ولا فتننا بعده، وبَلَّ ثراء بوابل الرحمة، وقابله بالرضا والنعمة، ونور قبره عليه، وأوصل إحسانه وبره إليه، وجمعنا به في دار كرامته، وجعل الموعد بحبوح جنتّه، وأعني بذلك الشاب التقي والفاضل النقي، المنيب الأواه المجتهد في طاعة مولاه، الذي هو لكل خير مُمارِس، أخي عبد المحسن ابن شيخنا الأجلّ محمد بن عبد الله بن فارس أكرم الله نُزلَه، وأوسع مُدخَلَه.

وأنا الفقير وارث أحزانه، وحائز أشجانه عبد الله بن خلف الحنبلي، وكانت وفاته في عام أرخه (حل غرف) في سنة ١٣١٨ هـ، وعمره سبع عشرة سنة، رَحْمَةُ اللهِ وَجَمَعْنَا بِهِ وَوَالِدِينَا وَمَشَايخِنَا وَأَحْبَابِنَا فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ). اهـ.

مؤلفاته:

لم تكن مؤلفات الشيخ عبد الله الخلف على قدر سعة علمه وفضله فإنّه اشتغل^(١) بقضاء حوائج الناس والسّير في مصالحهم العامة، مما حرّمه التفرغ للتأليف، اللهم إلا بعض المؤلفات القليلة، وقد وقع هذا لبعض أهل العلم من المتقدمين من كبار العلماء.

(١) في الطبعة الثانية: «انشغل». والتصحيح من (نسخة المؤلف).

يقول الشيخ أحمد الخميس: (ولم يكن رَحْمَةُ اللهِ يُعْنَى بما يؤلَّف ويجمع - مع كثرة بحثه وتحقيقه وأسئلته للعلماء وأجوبتهم ومُكَاتَبَتِهِ لأصحابه نظماً ونثراً مما لو جمع لكان مجلداً - لضيق وقته بسبب قيامه بحوائج الناس، وما يعود عليهم بالنفع والمصلحة العامة...) . اهـ.

ويقول الشيخ محمد بن سليمان الجَرَّاح: فتاوى الشيخ عبد الله كثيرة، ولو جُمِعت لصارت في مجلدات).. وهذا ذكر مؤلفاته:

١. «ديوان الخطب المنبرية العصرية»، ويقع في ٢١٦ صفحة، وقد طُبِع سنة ١٣٧٦هـ على نفقة المحسن محمد بن عبد الله السعد في مطبعة نهضة مصر، وقد صدر له الشيخ أحمد الخميس بمقدمة ذكر فيها أنَّ الخطب تبلغ نحو ثلاثة أجزاء.

وقد طبع مؤخراً عام ١٤١٦هـ في دار البشائر الإسلامية ببيروت، بتحقيق الأستاذ محمد بن ناصر العجمي في مجلد لطيف، وبُحَلَّةً بهية جميلة.

٢. «الفتوحات الربانية في المجالس الوعظية»، ويقع في ١٣٣ صفحة، وقد زاد فيه الناشر مجلسين ليسا منه، كما ذكره الشيخ أحمد الخميس في تقديمه للخطب المنبرية ص ٤، وقد طُبِع سنة ١٣٩٢هـ الطبعة الثانية، في مطبعة مقهوي على نفقة المحسنين.

٣. «المسائل الفقهية»، وهي على طريقة السؤال والجواب في المسائل الفقهية، ابتداء بالطهارة وانتهاء بالحج، وهي رسالة مختصرة مفيدة تقع في ٥٥ صفحة من القَطْع الصغير، طبعت أكثر من مرة مجاناً، منها طبع وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية، بدون تاريخ.

٤. منسك صغير في الحج سماه «زاد الفج في مناسك الحج»، يقع في ٢١ صفحة من القَطْع الصغير، طُبِع على نفقة عبد الله النوري في مطبعة المعارف، بدون تاريخ .

٥. قصيدته في رحلة الحج، وقد طبعت طبعة قديمة في نحو ٢٠ صفحة وذكرها خالد الزيد في أدباء الكويت كاملة ١/ ٧١-٨٠، ولها نسخة خطية بخط المصنف رحمه الله في مكتبة الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف، ولم يوضع لها تصنيف.

٦. رسالة في ختم القرآن، تقع في ٤ صفحات، وقد طبعت مع كتاب «حادي الأنام إلى دار السلام» لأبي بكر ابن الشيخ محمد المُلَّا الحنفي، على نفقة المحسنين محمد وأحمد العبد المحسن الدعيج.

٧. كراسة فيها مجموعة فوائد منثورة، أشبه ما تكون بالكناش، كتبت في أولها وآخرها فوائد منقولة عن الشيخ عبد القادر بن بدران وغيره، وهي في نحو ٦٢ صفحة، ونسخته بخطه في مكتبة الموسوعة الفقهية من غير تصنيف.

٨. كشكول صغير بمقدار الكف فيه نقول عن بعض الكتب الفقهية، ومقداره في ٤٢ صفحة، وهو في مكتبة الموسوعة الفقهية.

٩. «العقود الدرية في أجوبة الأسئلة الكويتية»، وكان هو السائل للشيخ عبد القادر البدراني.

١٠. «وقاية الضرر في عقائد أهل الأثر».

١١. له كتاب لطيف في التعامل بالنوط.

وفاته:

أُصيب المترجم الشيخ عبد الله الخلف بمرض ذات الجنب في الخامس والعشرين من رمضان بعد صلاة الفجر من يوم الجمعة سنة ١٣٤٩ هـ، وفي آخر الليل قبل فجر يوم الإثنين ٢٨ رمضان انتقل إلى رحمة الله تعالى عن عمر لا يتجاوز ٥٧ سنة قضاها في العلم والتعليم والإفادة والزهد والعبادة، وحقا إنَّ الكويت لم تُصَبْ بمصيبة مثل مصيبتها بوفاة هذا العالم الجليل

الذي كان نموذجاً للعلم والعمل، ولترك الحديث لمن حضر ذلك المشهد المحزن، يقول الشيخ عبد الله النوري رحمه الله تعالى: (بعد صلاة فجر يوم الجمعة ٢٥ رمضان ١٣٤٩ هـ أحس المترجم بألم في أحد جانبي صدره لم يمنعه من حضور صلاة الجمعة مأموماً.

وعلم أهل الكويت بنبأ هذا المرض الذي هو في اصطلاح الطب (نيمونيا) ويسميه الكويتيون ذات الجنب، والذي قل أن يُصاب به أحدٌ فيسلم.

وأخذ الناس يتهافتون على المسجد، والمجلس، ليسأل بعضهم بعضاً عن صحة الشيخ، والشيخ صابراً أمام قدر الله، يظهر أثر الألم على وجهه ولا يقول إلا حقاً.

واشدت وطأة المرض ولا طبيب ولا دواء إلا الكمادات، وقد يفيد الكي، وتحدث الحاضرون أمامه عن الكي ودعا الشيخ ربه أن يحرّم جسده على النار، واستجاب الله دعاءه، وفي آخر الليل قبل فجر يوم الإثنين ٢٨ رمضان أسلم روحه إلى بارئها، وهو يذكر الله بلسان فصيح وصوت مسموع.

وعلم الناس بوفاة شيخهم وقاضيهم ولم يكن هناك يومئذ هاتف ولا إذاعة بل كان الناس متلهّفين إلى الخبر فزعاً مما سيحدث.

وبعد الشروق - أي بعد ساعتين ونصف من وفاته - شيع جثمانه إلى مشواه الأخير، وخرج لتشييعه كل من يستطيع السير على قدمه من شيب وشباب، حتى الصبيان، وكلهم حزين، وكان أول المشيعين في المقبرة وآخرهم عند المسجد.

وأحسّت كل أسرة أنّها فقدت جزءاً عزيزاً منها .. وشعر الناس بمدى خسارتهم بفقد هذا العظيم.

لم يحزن شعب بأكمله لوفاة فرد مثلما حزن الشعب الكويتي يوم وفاة عبد الله بن خلف، حتى إن الناس كانوا يعزي بعضهم بعضاً؛ لأن المصيبة بفقدته

كانت عامة.. لم يفقده أهله وذووه فحسب، بل فقدته الكل وبكاه الكل، حتى في بيوتهم.

رحم الله عبد الله بن خلف رحمة واسعة، مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا). اهـ.

ويقول الشيخ عبد العزيز الرشيد معبراً عن هذا الحدث الجلل: (قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتَزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَاً لَا فَسْئَلُوا فَأَفْتُوا بغيرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١)). صدق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما قال، وهذا من أعلام نبوته التي تحققت في هذا العصر تحقفاً لا ريب فيه، فها هم علماء الدين اليوم يذهبون الواحد تلو الآخر في جميع الأقطار الإسلامية، لا فرق بين مشرقها أو مغربها، ولا يخلف الغابر منهم أحداً لا من تلامذته ولا من أولاده الذين هم أقرب الناس إليه.

فبموتهم ولا خليفة من بعدهم يَسُدُّ ثَلَمَتَهُمْ أو يقوم بالمهمة التي قاموا بها في حياتهم يكون ذهاب العلم الديني وانتزاعه من بين الناس، كما أشار إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه من المصائب العظمى على الإسلام وأهله اليوم).

وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله تعالى شهدها حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر والأعيان وعامة الناس، كما ذكر الشيخ النوري آنفاً، وهكذا كان حال أهل الكويت من هذه الحادثة العظيمة، والتي تدل بحق على أصالة أهل هذا البلد ومحبتهم الشيخهم الجليل، رحمه الله تعالى وأثابه رضاه.

وقد قيلت فيه مرانٍ كثيرة، عبّر فيها أصحابها عن حزنهم وأسفهم عليه، وسنفردها إن شاء الله مع قسم الأدب من التاريخ.

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

ذريته:

أما ذرية الشيخ عبد الله؛ فابنٌ وابنتان، محمد ونورة وعائشة، أما ابنه محمد، فإنه لما توفي الشيخ كان عمره نحو خمس عشرة سنة، وقد توفي سنة ١٣٩٤هـ، وأما نورة فهي الكبرى وهي لا تزال على قيد الحياة، وأما عائشة فإنّها توفيت سنة ١٤٠٧هـ.

وقد توفيت زوجة الشيخ عبد الله قبل أن يتوفى بنحو إحدى عشرة سنة، وابنه محمد له ذرية، منهم الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد الشيخ عميد كلية التربية بجامعة الكويت، وفقه الله لما يحب ويرضى .

قلتُ: وقد كتب عن المترجم الأستاذ الفاضل محمد بن ناصر العجمي سِفْرًا جليلًا فيه أخبار وأحوال المترجم مستوفاة لرحيل .

* * *

٥- الشيخ عبد العزيز بن أحمد بن رشيد البداح^(١) (١٣٠١هـ -

(١٣٥٧هـ)

الشيخ عبد العزيز بن أحمد بن رشيد (البِدَاح) - بكسر الباء الموحدة التحتية بعدها دال مهملة مخففة، ثم ألف بعدها حاء مهملة -، أصله من الزلفي من نجد، منطقة واقعة في منتهى بلدان سدير مما يلي بلدان القصيم، وانتقل والده من الزلفي إلى الكويت.

وُلد المترجم في مدينة الكويت عام ١٣٠١ هـ ونشأ فيها ودخل كُتَّابها، فتعلَّم فيه مبادئ الكتابة والقراءة، ثم اخذ عن علمائها، وأخذ في المطالعة حتى حصَّل ونضج فكره، وفي عام ١٣٢١ هـ أدى فريضة الحج، ثم جاور بالمدينة المنورة، وصار يدرِّس في الحرم النبوي الشريف ويأخذ عن علمائه، لا سيما الشيخ ابن عزوز، وبعد حج عام ١٣٢٣ هـ عاد إلى الكويت.

ويقول مقدّم «تاريخه» الأستاذ عبد الرزاق البصير: (لقد رغب أهل المدينة المنورة في أن يجعلوه قاضياً عندهم، ولكن وجود منافس من أهل المدينة حال بينهم وبين ما كانوا يشتهون، غير أنهم استطاعوا أن يجعلوه مدرِّساً في الحرم النبوي الشريف)^(٢). اهـ

كما جاور بمكة المكرمة عام ١٣٣٠ هـ ودرَّس ووعظ في المسجد الحرام، وتلقى العلم على الشيخ عبد الرحمن دهان، وكانت مدة إقامته في مكة المكرمة نحو سنة، وكان ضيفاً على إبراهيم بن معتق أحد سكان

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٢٤٨-٢٥١.

(٢) مقدمة تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد ص ١١، ١٢.

الزلفي، وفي عام ١٣٣٦ هـ عُيِّن مديراً للمدرسة المباركية في الكويت وزاول التعليم فيها سنتين ثم تركها، وأسند إليه الأمير أحمد الجابر الصباح الوعظ في مجلسه، ولما أسس المجلس الإداري صار أحد أعضائه، وفي عام ١٣٤٠ هـ سعى في تأسيس نادٍ ثقافي أدبي، وألقى فيه أول محاضرة.

ومع كونه من المعفيين عن مباشرة الحروب استناداً إلى قوله: ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١)، فإن المترجم خاض المعارك في الهجوم الذي تعرّضت له بلد الكويت.

ومن أمثلة بلائه في الدفاع قوله في «تاريخه» عن نفسه: (أما أنا فكنت مع ثلة من الأصحاب، أمامنا فرقة من الإخوان صبغنا الأرض من سواد جثثهم، ولم يبقَ منهم إلا أفراد يُعدُّون على الأصابع أطلقوا لأنفسهم عنان الهرب، فحصل منا إذ ذاك فصل قصير من الراحة).

قلت: وهذه المعركة (حمص) (٢) بين فيصل الدويش وبين دعيج بن صباح وذلك عام ١٣٣٨ هـ وكذلك معركة (الجهراء) (٣) عام ١٣٣٩ هـ بين فيصل الدويش وسالم الصباح، ولكن المعروف أن الغلبة للإخوان في كلتا المعركتين.

والمترجم رحَّالة جوَّالة في البلاد الإسلامية، فقد سافر إلى الحجاز والعراق

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٢) من تعليقات الشيخ حمد الجاسر رَحِمَهُ اللهُ على الطبعة الثانية في مقالاته بجريدة الرياض السبت ٢٦/٨/١٤٢٠ هـ المقال رقم (١٨):

في الكلام عن الموضوع الذي وقعت فيه المعركة بين فيصل الدويش وبين دعيج الصباح سنة ١٣٣٨ هـ (حمص). صواب الاسم (حَمَص) بالحاء والميم مفتوحتين بعدها ضاد معجمة، وينظر عن تحديد هذا الموضوع (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(٣) في الطبعة الثانية: «الجهري».

ومصر والشام والهند وتركيا، واجتمع بأكابر علماء هذه البلدان، وبحث معهم واستفاد منهم، وكان ممن صار له معه تعرّف تامّ واستفادة السيد محمد رشيد رضا في القاهرة، وكذلك التقى في العراق بالشيخ شكري الألوسي وحفظ عنه «ألفية ابن مالك» في النحو، وقرأ عليه «شرحها» للسيوطي.

كما تعرّف على علماء الحرمين الشريفين، حيث بقي فيهما مدة على كبارهم، وتلمذ على كبارهم، ثم درّس في الحرمين الشريفين واستفاد منه فيهما خلق كثير.

وبالجملة، فالمرجّم جوّالة رحّالة، كل ذلك في سبيل الدعوة والفائدة. وآخر رحلاته أنه وفد على الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله تعالى- فلما علم حسن معتقده ونشاطه في الدعوة بعثه إلى أندونيسيا لنشر الدعوة الإسلامية، فرحل وقام بمهمته خير قيام، والتقى في هذه الرحلة بالمذيع الكبير (يونس بحري)، العراقي الذي عمل مذيّعاً في إذاعة برلين بألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية، واشتهر اسمه آنذاك، وقد اعتقل هذا المذيع عبد الكريم قاسم زعيم الثورة العراقية، ثم أفرج عنه، وافتتح مطعماً في بغداد، ونجح المطعم بحسن نكاته وأخباره الإذاعية، وحلاوة منطقه ولذاعته التهكمية، ولكن نظام العراق صانعه فتركه وأقام في إمارات الخليج العربي، حتى توفي عام ١٩٧٠ في (أبو ظبي).

نشاطه العلمي والثقافي:

١. كتب في كثير من المجالات المصرية والعراقية.
٢. أنشأ في الكويت مجلة نشر فيها كثيراً من آرائه وأفكاره بصراحة تامة.
٣. ألّف كتاب «تحذير المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين».
٤. ألّف «الدلائل والبيانات في حكم تعلم اللغات».

٥. أَلَّف «تاريخ الكويت» الشهير، وهو أنفس آثاره، فإنَّه المرجع لتاريخ الكويت القديم.

٦. أجمع مؤرِّخو الكويت على أنَّه من الرواد الأوائل للحركة العلمية في الكويت.

وفاته:

أقام في بلاد جاوة سنين عديدة لِبَثِّ الدعوة الإسلامية السلفية، حتى وافته منيته فيها عام ١٣٥٧ هـ وله أبناء في الكويت، وأعرف من أبنائه الأستاذ يعقوب الذي كتب مقدمة تاريخ والده، فرحمه الله تعالى.

* * *

٦- الشيخ أحمد بن خميس آل جبران^(١) (١٣١١ - ١٣٩٤ هـ)

وُلد الشيخ أحمد بن خميس آل جبران في الكويت عام ١٣١١ هـ، ونشأ فيها، وصار في عناية خاله الشيخ الصالح العلامة عبد الله بن خلف الدحيان فأحسن تربيته وتوجيهه وأخذ عنه علومًا شرعية وعلومًا عربية وسلوكًا مستقيمًا، وأخلاقًا حميدة، وصفاتٍ جميلة.

ثم إنَّ الشيخ عبد الله أراد من ابن أخته أن ينقطع للعلم، ويرحل إليه كعادة العلماء قبله، فأرسله إلى بغداد للأخذ عن علمائها، وأشهرهم الألوسيون، كما أرسله إلى الزبير، وفيه كبار الفقهاء الحنابلة، فقرأ على الشيخ محمد بن عوجان، وعلى الشيخ عبد الله بن حمود، وعلى الشيخ عبد المحسن أبا بطين وغيرهم، كما التحق بمدرسة النجاة الأهلية التي أسسها الشيخ محمد أمين الشنقيطي.

قال الأستاذ محمد بن ناصر العجمي في كتابه عن الشيخ عبد الله بن خلف: (وحاول الشيخ أحمد بن خميس أن يجمع بين الدراسة على المشايخ وبين الدراسة في تلك المدرسة، وكانت وصايا خاله إليه نبراسًا يهتدي به).

ومن هذه الرسائل ما جاء فيها، في تاريخ ١٣٣٠ هـ: (من خالٍ لم يحلَّ عن عهد، ولم يحلَّ من وُدِّ، لولدنا الناشئ في طاعة الله المطبوع على محبة العلم وطلبه أحمد بن خميس الجبران: لقد وصلنا كتابك المفيد عن وصولك بالسلامة إلى بغداد، وبلغنا قراءتك في «الأجرومية» على أحد الفضلاء من تلاميذ العلامة محمود شكري، وقد سرَّني ذلك، فعليك بكمال الأدب معه،

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١/٤١١-٤١٣.

والاجتهاد في الطلب، ولا تكسل ولا تضجر، أسأل الله أن يوفقك ومن معك وكافة المسلمين).

ومن هذه الرسائل أيضًا: (من الكويت إلى الزبير في ١٣٣٨ هـ أهدي السلام ولدنا الفاضل المُجِدِّ في طلب العلم النفيس أحمد بن خميس. أمَّا انتظامك في قراءة المعلّقات على الشيخ محمد الشنقيطي، فيدلُّ على علوّ همّتك، وفقك الله وفتح عليك بمنه وكرمه).

ومن رسائله إليه أيضًا من الكويت إلى الزبير في ١٣٣٨ هـ، عليك بالجدِّ والاجتهاد في الطلب، والتَّمسُّك من ذلك بأقوى سبب، فإنَّ العلم ميراث الأنبياء ومفتاح طريق الأولياء، وقيمة الإنسان ما يُحسّنه، ومزيّته بما يعرفه ويُتقنه، فالعلم بعيد المرام، فلا يورث عن الآباء والأعمام، وإنّما هو شجرة غرس لا تصلح إلا بالدرس وقد بلغنا اجتهادك وجدُّك في مرادك ما يشرح الصدر، ويورث الأنس، ويطيب النفس... والسلام عليكم).

ومنها أيضًا من الكويت إلى الزبير في ١٣٤١ هـ، سرّني استمرارك على القراءة الفقه على الشيخ عبد المحسن أبا بطين، وترتيب الشيخ محمد الشنقيطي دراستك في النحو في «الألفية»، فقوي رجائي وأملي بتوفيق الله لك، وذكرت أن أوقاتك كلها مشغولة بالتعليم، وهذا من علوّ همّتك، وهذه الفوائد العلمية لا تأتي لك في بلدك، والسلام عليك).

ومنها أيضًا: (من الكويت إلى الزبير في ١٣٤١ هـ، أحسنت بالإفادة عن اشتغالك بحفظ «زاد المستقنع» وملازمة القراءة على الشيخ عبد المحسن في الفقه جزاه الله عنا خيرًا، والأخ عبد الله المحمد بلّغه سلامي، وقل له: إنَّ عندي شرح الشيخ عثمان بن منصور على «كتاب التوحيد» وعليه تعاليق في الحواشي، والشيخ محمد بن عوجان عنده نسخة منه بخط المصنف، والسلام عليكم).

ومنها أيضًا: (من الكويت إلى الزبير في ١٣٤١ هـ، أخبرك أنه جاءني كتاب من العلامة الشيخ عبد القادر بدران ذكر فيه أنه لما وصل إليهم في دمشق «المجموع» الذي طبعه ابن رميح وقيامه الحشوية أنصار البدع، وعباد القبور يفترون على السلف الكذب، ويرمونهم بالتجسيم، وألف بعضهم ثلاث رسائل في شتمهم والكذب عليهم، ولا تسمع إلا لفظ وهابي فالفوضى ضربت أطناها في بلادهم، والسلام).

وهكذا رسائل الخال الشيخ عبد الله إلى المترجم، وأنا أقطف منها الأخبار العلمية، وقد ذكرها الأستاذ محمد بن ناصر العجمي الذي ألف مؤلفًا خاصًا بالشيخ عبد الله بن خلف، ومن جملة ما فيه هذه الرسائل التي يبعثها الشيخ ابن خلف إلى المترجم، وفيها توجيه وإرشاد وتودد واعتناء، فرحمهم الله تعالى.

والمترجم بعد رحلاته العلمية عاد إلى الكويت، وصار من أعيان علمائه، قال تلميذه الأستاذ محمد بن ناصر العجمي: (وكان الشيخ عبد الله بن خلف محبًا للمترجم الشيخ عبد الله بن خميس جدًّا، حتى كأنه ابنه، وقد تزوج بأخت زوجة الشيخ عبد الله، وقد اهتم به فارس له لطلب العلم في الزبير، ولما عاد من طلب العلم تولى إمامة وخطابة مسجد البدر، وكان جهوري، الصوت، كما تولى القضاء في الكويت، وكانت المحاكم في زمنه كلها شرعية، وحُمدت سيرته وأحكامه في عمله القضائي، وليس ذلك عنه بغريب).

ولمَّا توفي الشيخ عبد الله بن خلف خَلَفَهُ في مكانته العلمية، وصارت مكتبة الشيخ عبد الله بن خلف تحت يده، وهي مكتبة عظيمة جدًّا، فيها من الأسفار النفيسة، وفيها نوادر المخطوطات، جمعها الشيخ عبد الله من عواصم بلدان نجد، ففي كل من عنيزة وبريدة والمجمعة وشقراء له وكلاء لجمعها، وبعد وفاة الشيخ أحمد بن خميس نُقلت إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.

وفاته:

وقد اعترته الأمراض في آخر حياته، وعانى منها، ولكنه صبر واحتسب الأجر من الله تعالى، ثم توفي في بلده الكويت عام ١٣٩٤ هـ وقد جاوز الثمانين، رحمه الله تعالى.

* * *

٧- الشيخ خالد بن محمد الفرج^(١) (١٣١٦هـ-١٣٧٤هـ)

الشيخ خالد بن محمد الفرج، من أسرة آل طراد من عشيرة المناديل الدوسرية، انتقل جدهم من جلاجل إلى الكويت فولد المترجم في مدينة الكويت سنة ١٣١٦هـ^(٢).

(١) عبدالله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٢٣/٢-١٢٧.

(٢) من تعليقات الشيخ حمد الجاسر رَحِمَهُ اللهُ على الطبعة الثانية في مقالاته بجريدة الرياض عدد ١١٤١٥، بتاريخ السبت ١٥/٦/١٤٢٠هـ المقال رقم (٩):

١ - والذي نقلته عن المترجم رحمة الله، وكان من أصدقائي، هو قوله عن أسرته آل طراد من فخذ المناديل من قبيلة الدواسر، التي ترجع بنسبها إلى قحطان، وقد هاجرت أسرته في أواخر القرن الحادي عشر الهجري من بلدة (نزوى)، من إقليم الدواسر المعروف في جنوب نجد، لأسباب مجهولة، وتحوّلت على ضفاف الخليج العربي إلى أن استقر عبد الله ومحمد ابنا فرج في بلدة (الزُّبارة) من بلاد (قطر)، وهي في ذلك الحين من أعظم البلدان التجارية في ذلك الساحل، وكانا يزاويان مهنة التجارة على مركب شراعي لهما، بين موانئ الهند، وموانئ بلاد العرب، وبعد خراب بلدة (الزبارة) المعروف انتقلا بعائليتهما إلى (مسقط) من إقليم عُمان، ثم انتقلا منها إلى (الكويت) فاستقرا فيها، ثم ذكر بعد ذلك ولادته في مدينة الكويت في عام ١٣١٦ هـ ولم يذكر بلدة (جلاجل) على ما فيها من كثرة الأسر التي تنتسب إلى الدواسر.

٢ - وذكر الشيخ في ترجمته أنه نقل من بلدية (القطيف) إلى بلدية (الدمام)، وهذا يحتاج إلى تصحيح؛ فبعد تنحيته عن البلدية في (القطيف) كان قد تملك فيها أرضاً واسعة معمورة بنخيل وغيرها مشهورة، فاستوطن هذه البلدة، ورغب الإقامة فيها، حتى كان سنة ١٣٧٠ هـ فانتقل إلى مدينة (الدمام)، ولم يتولَّ فيها عملاً حكومياً، ثم انتقل إلى مكة المكرمة بدعوة من الشيخ عبد الله السليمان الحمدان ليقوم بجمع شعراء نجد العاميين، ففعل وطبع ما جمع باسم «ديوان النبط» في جزأين، وبعد إقامته في مكة نحو سنتين عاد إلى (الدمام)؛

ثم سافر إلى الهند سنة ١٣٣٦هـ، وعمل كاتباً لدى بعض التجار العرب بمدينة بومباي، وأنشأ بها مطبعة.

ثم عاد إلى الكويت، وأراد الدخول إلى جزيرة البحرين، فمنعه الإنجليز من دخولها مع مَنْ منعه من المثقفين المفكرين، وسُمح له فيما بعد، وعُيِّن عضواً في المجلس البلدي، ومدرّساً بمدرس الهداية.

ثم عاد إلى الكويت سنة ١٣٤٠هـ ومنها توجّه إلى الرياض، واتصل بالملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ، فعَيَّنَهُ مديراً لبلدية الأحساء، ثم لبلدية القطيف سنة ١٣٤٦هـ وكانت له صلوات جَيِّدة بالمثقفين والفقهاء من أهلها، ونُقِل بعد ذلك إلى بلدية مدينة الدمام، وأنشأ المطبعة السعودية.

وكانت له مشاركات جَيِّدة بالثقافة طيلة وجوده بالمنطقة الشرقية، وله من المؤلفات:

١. «كتاب الخبر والعيان في تاريخ نجد وما حولها»، مخطوط.
٢. «مذكرات في تاريخ آل سعود»، مخطوط.
٣. «أحسن القصص في سيرة الملك عبد العزيز»، مطبوع.
٤. ديوان شعر في الشعر النبوي^(١).

حيث أسس المطبعة السعودية، وقبل وفاته بستين انتقل من الدمام إلى (دمشق)؛ حيث استقر هناك يمضي زمن الصيف في لبنان، وفيه في آخر شهر ربيع الثاني من ١٣٧٤هـ، توفي رَحِمَهُ اللهُ، ولقد كانت لي به معرفة وطيدة واتصال وثيق، حين كان مقيماً في القطيف، ثم في مكة، ثم بعد أن استقر في (الدمام). [ينظر مجلة الإمامة - السنة الثانية - ص ١٦١].

(١) من تعليقات الشيخ حمد الجاسر رحمه الله على الطبعة الثانية في مقالاته بجريدة الرياض عدد ١١٤٢٢، بتاريخ ١٤٢٠/٦/٢٢هـ، المقال رقم (١٠):

هو من أصدقائي، ولا أعرف له ديواناً في الشعر النبوي، وإنما الديوان لابن عمه عبد الله الفرج، وقد توفي قبله، وطبع الشيخ خالد ديوانه هذا وكان متداولاً.

أما الشيخ خالد فبينه وبين الشيخ عبد الله السليمان الحمدان معرفة قديمة، كان من أثرها أن

استدعاه إلى مكة، وكلّفه بأن يجمع له مختارات من الشعر العامي، فجمع كتاباً سماه «ديوان النبط» مجموعة من الشعر العامي في نجد، ربّته في جزأين، الأول عن حميدان الشويعر، ومحمد بن لعبون، وعبد الله بن ربيعة، وعبد الله بن سبيل، والثاني عن محمد بن عبد الله القاضي، وعبد العزيز بن محمد القاضي، وإبراهيم بن محمد القاضي، ومحمد الصالح القاضي، ومحمد العوني، وكتب في طرّته: ربّته وفسّر بعض ألفاظه خالد بن محمد الفرج، وطبعه في دمشق، وأهدى إليّ نسخة منه بتاريخ ٦ شوال سنة ١٣٧١هـ بتوقيعه، يحوي مقدمة عن الأدب العامي في نجد، ويذكر فيها أن أول ما طبع منه ديوان صغير سنة ١٣٢١هـ للمرحوم الشيخ قاسم بن ثاني حاكم قطر (١٢٣٩-١٣٣١هـ) وقال: قد طبعت ديوان عبد الله الفرج سنة ١٣٣٩هـ كما تقدم، وفي أوائل هذا العام صدر ديوان الشيخ محمد بن بليهد أحد أدباء نجد المعروفين، وفي العام الماضي كنا بحضرة صاحب المعالي الشيخ عبد الله السليمان الحمدان وزير مالية المملكة العربية السعودية، وجرى ذكر هذا الموضوع، فرغب إليّ معاليه أن أجمع شيئاً من ذلك، وأذيلّه بما يحل غوامضه بشرح موجز، ودفع إليّ عدة دفاتر لأستخلص منها ما يصلح للنشر، فاستخلصت منها أنموذجاً عرضته على معاليه فاستحسنه ووافق عليه وأشار بإكمالها.

وأضف إلى المقدمة استدراقات قال فيها: بعد أن اطلع بعض أهل الفهم على الديوان أبدوا ملاحظاتهم في تصحيح بعض الأخطاء نثبتها لهم مع الشكر، وذكر منهم:

١- الأمير محمد بن عبد العزيز بن ماضي في (مصحح ظهر العاشق) (لبنان)، شفاه الله.

٢- الشيخ إبراهيم النصار (نزيل دمشق).

٣- عبد الكريم العوده (من أهل الزبير).

ويقع الجزء الأول في (٢٧١) صفحة، والجزء الثاني في (٣٥٠) صفحة، وصدر بمقدمة ذكر فيها: إن الدكتور منير العجلاني كتب بحثاً في مجلة «المجمع العلمي العربي» بدمشق ج ٢ المجلد ٢٨، ولكن خرج ببخسه ذلك عن الطريقة العلمية الزهية المبنية على النقد والتحليل، وعدم فهم الدكتور لهذا النوع من الشعر لا يسقط من قيمته الوجودية؛ لأن أهل جزيرة العرب يفهمونه، ويقدرونه حق قدره، ولا تقل منزلته عندهم عن أشعار أهل الجاهلية وصدر الإسلام.

وقال: وكان الأولى بإدارة (المجمع العلمي) أن تُحيل الديوان إلى عضوها النجدي الشيخ حمد الجاسر، ولو فعلت لنشرت بحثاً ضد موضوع للدكتور العجلاني يرتكز على الفهم والبحث العلمي، الذي هو رائد المجلة لا حكم الدكتور الذي لا يرتكز إلا على عدم الفهم. ووجه الشكر إليّ لأنني نشرت نقداً مفيداً في «جريدة البلاد» صححت فيه أغلاطاً عديدة، والشيخ محمد بن حمد القاضي ليُعْثَهُ مقالاً متفقاً مع نقدي، ولآخرين ذكرهم في المقدمة. وكنت نشرت إبان صدور الجزء الأول من الديوان مقالة في جريدة «البلاد السعودية»

٥. وله كتاب «علاج الأمية»، مطبوع .

٦. « كتاب تراجم أسماء رجال الخليج»، مخطوط.

وكان يُوصَف بجودة الخط وجماله.

أصيب بالتدرن الرئوي في أواخر أيامه فسافر إلى مدينة دمشق بقصد العلاج سنة ١٣٧٢ هـ وكان يتردد أثناء ذلك على مدينة بيروت، وتوفي بها سنة ١٣٧٤ هـ رحمه الله تعالى.

[العدد ١٢٠١، تاريخ ٢١ شوال ١٣٧١ هـ]، كتب إليّ بعد نشره الأخ الشيخ عبد العزيز بن رويشد بأن الشيخ عبد الله السليمان اطلع على ما كتبت، وانه (يرغب مني أن تواصلوا جهودكم في جمع الباقي لهؤلاء الشعراء الثمانية الذين ذكرتموهم في الجريدة، وفيه غيرهم ممن لا يعزب عن بالكم، وأن تذيّلوا بما يحل غوامض أشعارهم، لا سيما وبين يديكم الآن العطلة السنوية للمعهد، وبعض فسحة تخصصون لكم وقتاً من أوقاتكم لملاحظة ذلك)، ويقول معاليه: (أنا مستعد بدفع جميع ما ينفقه من المادة في هذا السبيل)، إلى آخر ما ذكر . كما كتب إليّ الشيخ محمد العلي العبيد بتاريخ ٢٥ شوال سنة ١٣٧١ هـ يثني على ما كتبت ويقول: ويجب أن ننبه فكركم على أبيات قرأتها في تلك (؟) العدد، وقد نسبها المحرر إلى عبد الله بن سبيل (؟) والصواب أنها لعبد الله بن ربيعة من قصيدة له قالها لما كان عند بندر السعدون وأولاده في بلدهم في بلدان سدير، قالها يتوجّد على اجتماعه بعائلته، فقد رأيت القصيدة نفسها بالزبير عند الشيخ عبد المحسن أبا بطين رحمة الله وقد استهل المحرر الأبيات المذكورة بقوله: (ترى الحضيض إلى من العقل مجذوب) والصواب غير هذا وهو:

المستريح إلي من العقل مجذوب وإن شفت لك عاقل ترى الهم دأبه

ومعنى البيت مطابق لقول المتنبي:

أَفْاضِلُ النَّاسِ أَعْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الهمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ

ثم إنني أراكم يا حضرة المحب الفاضل قد أهملتم أن تذكروا أشعار البداية وعددهم أربعة أشخاص، وهم أهل الشجاعة والفصاحة والكرم؛ وإليك أسماؤهم: تركي بن حميد، و محمد بن هادي، وراكان بن حثلين، وشليويح بن ماعز الروقي، ومثل هؤلاء لا يبخسون حقهم، وهم أولى من غيرهم بتدوين شعرهم). ثم ذكر نماذج من شعرهم.

٨ - الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خلف ال نادر الدوسري^(١) (١٣٣٢هـ - ١٣٨٩هـ)^(٢)

عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله بن فهد آل نادر الدوسري، من قبيلة الدواسر، ومن أسرة هم أمراء بلد (السليل) المشهور.

قال أحد أبنائه مترجماً له: وُلد في مدينة البحرين عام ١٣٣٢هـ، وسافر به والده إلى الكويت بعد شهور قليلة، ذلك أن جدّه عبد الله بن فهد آل نادر قد نرح من قومه وبلاده إلى قرية الشماسية من مقاطعة القصيم، وتزوَّج بها، ورزق بابنه محمد الذي بعد أن تزوّج انتقل بزوجته إلى الكويت، ثم سافر بها إلى البحرين لزيارة أبيها الذي هو الشيخ علي بن سليمان اليحيى، وهناك وضعت ابنها عبد الرحمن صاحب الترجمة الذي عاد به أبوه إلى الكويت، ونشأ بها، ودرس وتعلّم ما شاء الله، وبقي فيها أكثر عمره يزاول التجارة؛ ليستغني بها عن ابتذال علمه.

نشأ المترجم في بيئة صالحة مُحَافِظَة، وفي محلّة من حارات الكويت تُدعى محلّة (المراقب)، أكثر أهلها عمّار للمساجد، نقاد للأخلاق، يحرّض بعضهم بعضاً على الخير والفضيلة، فلذلك يسيطر الحياء عليهم أجمعين .

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٣/ ١٣٤ - ١٣٧.

(٢) وردت وفاته سنة ١٣٩٩ هـ، في كتاب «الحنابلة خلال ثلاثة عشر قرناً» للشيخ الطريقي؛ ترجمة رقم: (٥٦٩٤).

وقد أرّخ المصنف وفاته سنة ١٣٩٩ هـ في ثنايا ترجمة الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان، ينظر ٤/ ٧٩، ترجمة رقم (٤٢٨).

دراسته:

لقد طلب العلم في المدرسة المباركية - وكان اسمها مطابقاً لمعناها - وكانت في أول نشأتها تفوق المعاهد والكليات العلمية الدينية في البلاد العربية.

حيث كان الحفظ فيها إجبارياً عن ظهر قلب، بحيث لم يخرج منها إلا وهو حافظ «لثلاثة الأصول»، وحافظ «للدرة المضية» نظم السفاريني، وعدد أبياته (٢٠٩) بيتاً في العقيدة، وحافظ «للرحبية» و«البرهانية» في الفرائ، ومنظومة «هدية الأبواب في جواهر الآداب» للشيخ محمد الجسر، ومنظومة «الآداب» المشهورة لابن عبد القوي، و«لامية ابن الوردى»، و«لامية العجم»، وقصائد كثيرة متنوعة، وقد حفظها عن ظهر قلب.

وهكذا حفظ المترجم من متون الفقه «دليل الطالب»، وحفظ القرآن الكريم وكان لصعوبة تحصيله كل الكتب يحفظ ما يعجبه بمجرد العثور عليه مجلوباً في السوق بعد أن يستأذن من صاحبه بالسماح بتصفُّحه.

وقد حفظ جملة من أحاديث «منتقى الأخبار» ومجموعات أخرى من غيره، ودرس السيرة النبوية، وطرفاً من التاريخ، وحفظ شيئاً كثيراً من «الكافية الشافية نونية ابن القيم» ولو ظهر توضيح الشيخ عبد الرحمن السعدي لها لتقدم لحفظها كلها، ولكن عدم فهمه لبعض معانيها جعله لا يحفل بما عمَّص عليه منها.

ثم بعد خروجه من هذه المدرسة المباركية درس الفقه والتوحيد على الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان وعلى الشيخ صالح بن عبد الرحمن الدويش، وفي أثناء سفراته للبحرين كان يحظى بمقابلة الشيخ العلامة قاسم بن مهيزع ويتناقش معه في البحوث المهمة.

وقد تأثر بهذين الشيخين عبد الله بن خلف وقاسم بن مهيزع رحمهما الله تعالى.

وكان يحب الجمع بين الفقه والحديث، ولا يرى الفصل بينهما، فلا يحب الفقه جافاً خالياً من الدليل، ولا يحب تطرّف الزاعمين أنهم من أهل الحديث في رَفْضِهِم للفقه، ومُنَاصَبَتِهِم العداوة للفقهاء أو التحقير من شأنهم.

وقد صار له نشاط في نشر العلم والتوعية بإلقاء المواعظ والمحاضرات المتوالية في المساجد والمدارس والأسواق، ويعطي كل موقفٍ حقّه الملائم له، بحيث لا يُلقِي في المدرسة شيئاً مما يلقيه في المسجد، بل يلاحظ المناسبة ويرعى الاختصاص.

وكانت الأسئلة تنهال عليه، فيجيب على بعضها شفهيّاً في وقته مهما طال، ويكتب باقي الأجوبة في الصحف عند ضيق الوقت عن الإجابة الشفوية.

وله من المؤلفات عدد غير قليل فهي تبلغ نحو أربعين كتاباً، كلها كتب مفيدة تعالج قضايا العصر الحاضر من أصوله وفروعه.

ويرى من أجل مستقبل الجيل الإسلامي ضرورةً مقابلة علماء المسلمين وولاتهم لبيان مخططات أعداء الإسلام بما يقابلها ويحبطها، فيقومون بإنشاء المدارس الدينية والروضات التربوية الروحية، وأن يُصنَع أولادُ المسلمين على أعينهم لا على أعين أعدائهم، وأن يعملوا على إصلاح الأجهزة الإعلامية بإصلاح برامجها، بل يرى من أوجب الواجبات على علماء المسلمين أن يبيّثوا الوعي الديني الصحيح في طبقات الأمة، ويقوموا بتأسيس جميع ما يكفل عودة القيادة الفكرية إليهم، فإذا نجحوا في التربية الإسلامية وحازوا القيادة الفكرية التي انتزعها منهم أعداؤهم، كانوا جديرين بالحياة الصحيحة، أما دون هذا فإن مجهودهم يشبه عمل من يعالج الجرح والرأس مقطوع .

وله تفسير باسم «صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم».

قال ابنه: ولقد رأيت والدي بعد وفاته في منامي، وما سألني عن أمر

من أمور الدنيا إلا عن التفسير، وماذا فعلنا به، فأجبتّه بأننا حريصون عليه كحرصك، وسيظهر إلى الوجود قريباً إن شاء الله، فاستبشر خيراً.

ومع هذا التفسير ستظهر كتب أخرى للوالد في العقيدة والثقافة والفقهِ والشعر، وأرجو أن ينتفع المسلمون بها، وأن تكون زاداً للدعاة ومصدراً في تصحيح الأخطاء وتقويم الاعوجاج.

وأخيراً فإن الدعوة الصحيحة خسرت بوفاته شيئاً كبيراً، فقد توفي في ١٦ / ١١ / ١٣٨٩ هـ رحمه الله تعالى.

وقد كان طلابه ومحبه أوفياء له يوم تركوا أعمالهم وهرعوا إلى المسجد الكبير، فصلوا عليه وأبوا إلا أن يحملوا نعشه على أكتافهم، وكان من عادة أهل الرياض أن يحمل الميت بسيارة، فما قبل الناس أن يُحمَل إلا على أكتافهم، وكان موكباً كبيراً مهيباً، وهكذا يقدر الناس الرجال الدعاة في حياتهم ومماتهم.

* * *

٩ - الشيخ محمد بن سليمان بن عبد الله آل جرّاح^(١) (١٣٢٢ هـ تقريباً - ١٤١٧ هـ)

الشيخ محمد بن سليمان بن عبد الله آل جرّاح، انتقل جدُّه عبد الله من بلدة حرمة إلى الكويت ثم إلى الزبير في السنة التي انتقل منها أهل بلده بسبب الجفاف الذي هلكت منه مواشيهم وزروعهم، وتوفي جدُّه عبد الله في الزبير بعد ستة أشهر من مجيئه، فرجعت عائلته إلى الكويت فاستوطنوها واستقروا بها إلى الآن، وهم: محمد وسليمان ولطفية، وأمُّهم زوجة أبيهم عبد الله - وهي بنت حمد السليمان - من أهل المَجْمَعَة، وكان لهم في الكويت آنذاك خالٌ صالحٌ اسمه محمد بن حمد السليمان من أهل المَجْمَعَة، له بيت مجاور لمسجد العداسنة الكبير، وكان هو المؤدِّن فيه، وله في بيته مدرسةٌ يعلم فيها القرآن والكتابة والحساب.

ولادته ونسبه:

وُلد الشيخ محمد بن جرّاح في الكويت عام ١٣٢٢ تقريباً بعد انتقال جدِّه عبد الله من بلدة حرمة من بلدان نجد بنحو أربعين سنة، وآل جرّاح هم من آل فضل الذين هم من بطون بني لام من طيِّئ، وطِيَّئ من قحطان، ومنهم في نجد أسر متحصِّرة كثيرة.

طلبه للعلم:

ابتدأ بتعلُّم القرآن في مدرسة مُلَّا أحمد الحرمي الفارسي الأصل، فوصل إلى سورة المُدَّثِّر، ثم أكمله في مدرسة مُلَّا محمد المهيني.

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٥ / ٤٤٤ - ٤٤٧.

وتعلّم الكتابة والحساب وقسمة المواريث في مدرسة السيد هاشم الحسينان، وكان السيد هاشم فَرَضِيًّا يقسّم للقضاة ما كان صعباً من قسمة المواريث بتحويل عليه منهم، وقد حُبِّبَ للشيخ محمد بن جرّاح طلبُ العلم في أوّل شبابه، فحفظ «الرحبية» في المواريث، و«منظومة الآداب» و«الدرة المضيئة للسفاريني»، و«دليل الطالب» في الفقه للشيخ مرعي، وكان يذهب بعد صلاة الفجر إلى ساحل البحر بعيداً عن الناس ليكرر فيه دروسه .

شيوخه:

أخذ مبادئ الفقه عن علامة الكويت في وقته الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان، وكان يحضر مجلسه، وكان مجلسه مدرسةً لطلبة العلم صباحاً ومساءً، وكان الشيخ عبد الله الخلف يقرأ في مجلسه بعد طلوع الشمس «تفسير ابن كثير» و«فتح الباري» وبعد صلاة المغرب يقرأ فيه كُتُباً متنوعة إلى صلاة العشاء، وبعد صلاة العشاء يأتيه أخو المترجم الشيخ الأديب إبراهيم بن جرّاح .

وبعد وفاة الشيخ عبد الله الخلف لازم الشيخ محمد الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله الفارس، فقرأ عليه أولاً متن «دليل الطالب» حتى أكمله، ثم قرأ عليه «نيل المآرب بشرح دليل الطالب» حتى أكمله، ثم قرأ عليه «الروض المربع بشرح زاد المستقنع» حتى أكمله، ثم «شرح المنتهى» للشيخ منصور البهوتي، وقرأ على الشيخ عبد الوهاب ابن عبد الرحمن الفارس «الروض المربع» .

وأما شيوخه في النحو والصرف، فمنهم الشيخ أحمد عطية الأثري، قرأ عليه «قَطْر الندى» و«شدور الذهب» و«شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك»، و«شرح الدرّة المضيئة» للشيخ محمد ابن مانع - رحمهم الله تعالى - وكان يشاركه في هذه القراءة أخوه داود رحمه الله .

وقرأ على الشيخ عبد العزيز بن قاسم حمادة «شرح الأجرومية»، وقرأ على الشيخ مُلاً محمد ابن الشيخ مُلاً أحمد الحرمي الفارسي الأصل شروح «الأجرومية» و«شرح الأزهري» و«شرح القَطْر» و«شدور الذهب» و«شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك» وشرح الشيخ خالد الأزهري المسمّى «مُوَصِّل الطلاب إلى قواعد الإعراب» لابن هشام، وكان يشاركه في هذه القراءة أخوه إبراهيم .

وكان الدرس عند الشيخ محمد الحرمي في مدرسته كلَّ يوم بعد طلوع الشمس، وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفارس «متن الأجرومية» في بيته القريب من المدرسة المباركية، كما قرأ على الشيخ عبد العزيز بن صالح العليجي نظماً له في الصرف، و«شرح الدرّة المضية» للشيخ محمد ابن مانع أيام تردُّده على الكويت للوعظ في مسجد القطامي في الشرق قرب منزل آل شمالان، وكان إذا قَدِمَ ينزل ضيفاً عندهم .

وقرأ على الشيخ عبد الله الكوهجي نظماً له في الصرف أيام تردُّده على الكويت للوعظ، وكان زميله الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ذا ذكاء مُفَرط وقلم سيّال وخطّ حَسَن ، فقرأ معه «الكوكب المنير» في أصول الفقه و«الروض الفاضل شرح ألفية الفرائض» على نسخة مخطوطة من كتب الشيخ عبد الله الخلف، و«نونية ابن القيم»، وكان الدرس بينهما في اليوم مرتين في الصباح في بيت الدوسري في المرقاب، وفي المساء بعد صلاة العصر في مسجد عباس بن هارون في حي القبلة .

وكان الشيخ محمد بن جرّاح حريصاً على الاستفادة من كلِّ عالم يأتي إلى الكويت، وله مُراسلات علمية مع أفاضل علماء نجد، وله رغبة شديدة في قراءة مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ويقول: (من لم يقرأ شيئاً من كتبهما خصوصاً في هذا الزمان لم يَخُلْ من بدعة، إلّا من شاء الله).

رحلته:

حجَّ الشيخ سنة ١٣٦٧ هـ وأقام في مكة شهرين، فاجتمع بالشيخ العلامة محمد ابن مانع المدير العام للمعارف السعودية آنذاك، والشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة إمام الحرم في ذلك الوقت، والشيخ محمد حامد الفقي رئيس أنصار السنة، وغيرهم من علماء مكة الأفاضل، وانتفع بتوجيهاتهم السديدة، واجتمع أيضًا بالشيخ العلامة عبد الله بن حميد في جامع بريدة، واستمع إليه وهو يدرس الطلبة في «بلوغ المرام» ويشرح لهم ما في كل حديث من غريب اللغة ونحوها وأحكامه، ثم بين لهم من أخذ به من الأئمة، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

عمله والوظائف التي تقلدها:

كان الشيخ يأكل من عمَل يده حيث فتح له ولإخوانه والدُّهم دكاكين للبيع والشراء، وتولى في بادئ الأمر وظيفة الإمامة في مسجد العثمان في حي القبلة بعدما توفي الشيخ يوسف بن حمود رحمه الله سنة ١٣٦٥ هـ باستخلافٍ منه، وكتب له رسالة بحثه فيها على لزوم إمامة المسجد من بعده خَلْفًا له، وكان في رمضان يقدِّمه في صلاة التراويح وينوب عنه في سائر الفرائض إذا مرض أو ذهب في أيام الربيع للنزهة في بيت له في الدمنة المسماة الآن السالمية، ثم تولَّى الإمامة في مسجد عباس بن هارون المتقدم ذكره.

وقد عمل الشيخ في الخطابة، وكان يقوم بالنيابة عن الشيخ أحمد الخميس رَحْمَةُ اللهِ فِي حِي الْقِبْلَةِ، ثم صار فيه خطيبًا مستمرًا. ولمَّا أُزِيلَ مسجد العثمان صار خطيبًا في مسجد السائر القبلي، وتولَّى الإمامة في مسجد السهول والخطابة في مسجد المطير، وكلاهما في ضاحية عبد الله السالم في القطعة الثالثة.

تلاميذه:

أخذ عن الشيخ محمد الجراح جمعٌ من أهل العلم والفضل، منهم:
الشيخ أحمد الغنام الرشيد، وعضو مجلس الأُمَّة السابق محمد المرشد،
والشيخ علي الجسار والدكتور وليد عبد الله المنيس والشيخ جاسم بن
سليمان الفهيد والشيخ محمد بن ناصر العجمي والشيخ ياسر المزروعى
والشيخ عدنان النهام والشيخ حاكم المطيري، وغيرهم من طلاب العلم في
الكويت.

وفاته:

توفي الشيخ فجر يوم الخميس الثالث عشر من جمادى الأولى سنة
١٤١٧هـ رحمه الله تعالى.

نقلنا هذه الترجمة من تلميذه محمد بن ناصر العجمي، بارك الله فيه.

* * *

١٠ - الشيخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن محمد الفارس^(١)

(١٣١٨هـ - ١٤٠٣هـ)

الشيخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن محمد بن فارس، وانظر إلى تمام نَسَب المترجم وأصل أسرته في ترجمة ابن عمّه الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن فارس الآتية إن شاء الله تعالى^(٢).

وُلِد المترجم في بلد الكويت عام ١٣١٨هـ، وتلقى مبادئ القراءة والكتابة في كتاتيب الكويت وفي المدرسة المباركية، ثم رغب في مواصلة الدراسة، فقرأ على الشيخين الكبيرين الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان والشيخ عبد المحسن أبا بطين، ولزِمَهما حتى استفاد منهما العلوم الشرعية والعلوم العربية، وعُنِيَ بدراسة الفقه الحنبلي عناية تامة حتى صار من كبار علماء هذا المذهب في عصره.

وكان له رغبة وولع في كُتُب الشيخين ابن تيمية وابن القيم، فقد قرأ رسائلهما، وما جُمِعَ من فتاوى شيخ الإسلام، حتى صار يختار من أقوال العلماء أقربها إلى الدليل.

أعماله:

١. تولى تدريس علوم القرآن الكريم في مدرسة (السعادة) التي أسَّسها شمالان ابن سيف واستمر فيها مدة طويلة.

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٣٩/٥ - ٤١.

(٢) ينظر ص ٤٢ من هذا المجلد، ترجمة رقم (٥٤٠).

٢. ثم اختاره رئيس دائرة المعارف آنذاك الشيخ عبد الله الجابر الصباح ليكون مدرساً في المعهد الديني في الكويت، فقام بالتدريس عشرين سنة.

٣. تولّى إمامة ووعظَ مسجد آل فارس أربعة وخمسين سنة.

٤. هو مفتي البلاد الكويتية والمرجع إليه في كتابة الوثائق وإجراء عقود الأنكحة، والمشاورات الخاصة والعامة، فهو عمدة بلاده بالشؤون الدينية.

مؤلفاته:

١. له مذكرات فقهية ألّفها لطلبة العلم، لا تزال مخطوطة لدى ورثته.
٢. حقّق مع زميليه الشيخ محمد بن سليمان الجراح و محمد المرشد كتاب «كشف المخدّرات شرح أخصر المختصرات» على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وهو من تأليف الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله البعلي، وما زالت النسخة المحقّقة مخطوطة في مكتبة وزارة الشؤون الإسلامية في الكويت تحت رقم (٣٨٣)، وهي من جملة كتب الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان التي نُقلت إلى الوزارة المذكورة.

والمترجم لم يبرح الكويت إلا مرّتين

الأولى منهما: إلى الديار المقدّسة لأداء الحج وزيارة المسجد النبوي الشريف.

الثانية: حين وجّه إليه الأزهر دعوة لزيارته، فقام بها ورافقه فيها الشيخ عبد العزيز حمادة، واستقبلا بحفاوة من مشيخة الأزهر وعلمائه.

وكان له شعبية كبيرة في بلدة الكويت، وله مقام عند الخاص والعام، وكانوا يعتقدون فيه ما هو أهله من الصلاح والتقوى.

وفاته:

سبب وفاته حادث مروري فقد كان عائداً إلى منزله فصدمته سيارة، وتوفي في اليوم التالي صباح يوم الخميس ٢٢ / ٣ / ١٤٠٣ هـ، رحمه الله تعالى. وخلف ثلاثة أبناء، هم:

١- إبراهيم، تخرّج في كلية اللغة العربية في الأزهر.

٢- حمد، خرّيج كلية أصول الدين في الأزهر.

٣- عبد الرحمن، خرّيج كلية الشريعة في الأزهر.

وأطلقت وزارة التربية اسمه على إحدى المدارس في ضاحية الكويت.

ما قاله العلماء عنه:

قال الدكتور يعقوب الغنيم: (فَقَدَتِ الكويت عالماً من علمائها الأجلاء، وإماماً من أئمتها المخلصين، ورائداً من رُوّاد نهضتها العلمية، بلغ ستة وثمانين سنة^(١) في مجال الدعوة إلى الله صابراً مخلصاً، حتى أثمر بفضل الله عمله، وطاب ما غرست يداه، ذلك فضل الله، والفقيه هو الشيخ عبد الوهاب بن فارس ...) ثم راح الدكتور يسرد أخباره الطيبة وسيرته العطرة.

وقال الأستاذ خالد الزيد في «مجلة البيان»: (لكم تمنيت أن أكتب عن الشيخ عبد الوهاب الفارس في حياته، لكنّه كان حريصاً على أن يظل بعيداً عن الأضواء، فهو في قلة لا يعينهم من أمر هذه الحياة إلا أن يكونوا مُعطين فيها، ثم لا يعينهم بعد ذلك شيء).

لقد عاش منزوياً، ولئن وقعت عينك عليه فلا تراه إلا ذاكراً أو شاكراً، داعياً الناس إلى رُشدِهِم، مُحسِنًا إليهم، رحمه الله تعالى.

(١) كذا، وعمره كله خمسة وثمانون سنة.

١١- الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد العزيز ابن فارس^(١)

(١٣١٩ هـ - ١٣٩٥ هـ)

الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فارس بن عبد الله بن إبراهيم آل فارس.

يرجع أصل أسرة آل فارس إلى (آل أبو سعيد)، وآل أبو سعيد فخذ من آل مزروع بن رفيع بن حميد بن حماد بن مخرب بن صلاة بن عبدة بن عدي بن جنيلب بن الحارث بن عمرو الندي.

ويرجع بطن آل مزروع إلى (بني عمرو)، إحدى قبائل بني تميم، تلك القبيلة الكبيرة الشهيرة.

وعمر الندي الجدُّ الذي في هذه السلسلة النسبية هو ممَّن يُضرب به المثل في الكرم والسخاء^(٢)، وستأتي بقية أخباره في ترجمة جدِّ المترجم

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار الميمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٤٢/٥ - ٤٧.

(٢) من تعليقات الشيخ حمد الجاسر رَحِمَهُ اللهُ عَلَى الطبعة الثانية في مقالاته بجريدة الرياض عدد ١١٦٢٥، بتاريخ ١٧/١/١٤٢١ هـ، المقال رقم (٢٢):

تكرر في كلام الشيخ - وفقه الله - عن آل مزروع اسم (عمرو الندي)، وورد في هذه الصفحة (وعمر الندي الجد الذي في هذه السلسلة النسبية).

كان يحسن ذكر عمرو الندي الذي ورد في سياق نسبه أيضًا ما هذا نصه: (مخرب بن صلاة بن عبدة بن جنيد بن الحارث بن عمرو) وصواب النسب: صلاة بن عبدة بن عدي بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، كما في «جمهرة النسب» [٣٦٨/١]، ط محمود فردوس الأعظمي [لابن الكلبي، وصلاة ابنه محلم جد ربيعة بن رفيع بن سلمة بن محلم بن صلاة أحد المنادين لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وراء الحجرات، الذي ينسب

إليه الرقيعي الماء الواقع في شرق الجزيرة، ومن هذا يتضح أن الموصوف بعمر و الندى هو عمرو بن تميم، أبو الفرع المشهور من هذه القبيلة وليس معروفًا بتميزه بسخاء وكرم، ولا بأنه يسمى عمرو الندى.

ويبدو لي أن المؤلف -وفقه الله - نقل هذا عن كتاب ألف حديثًا أو عمّن نقل عنه، وهو كتاب مملوء بالأخطاء، ومصادره نُقِلَ عن العامة، والشيخ يدرك أن هذا وأمثاله لا يصح النقل عنه.

أما بقية النسب فقد أوضحت فيما تقدم أنني لم أر اسم مزروع في سلسلة بني عدي بن جندب، ولم أر في بني تميم سوى المزروعين اللذين تقدم ذكرهما، وهما من بني سعد. [إلى هنا انتهى المقال رقم ٢٢ وابتدئ المقال رقم ٢٣].

وأستميح القراء عذرًا في الاستطراد، فقد رأيت الشيخ عبد الله أولى الأنساب في هذا الكتاب اهتمامًا كبيرًا، وعوّل في كثير منها على أقوال يدل تكريرها على الثقة بها، وهي لا تتصف بصفة تحمل على الاقتناع بها، بل لا تختلف عن غيرها من الأخبار التي تخضع لاحتمالات مختلفة كقدوم مزروع من بلدة (قفار) بمنطقة (سدير)، وانتشار ذريته فيها وهم من بني عمرو بن تميم، وقد علقت على مواضع فيما تقدم، وأوضحت أن من الأحسن أفراد كل ما يتعلق بالأنساب في كتاب يخص لذلك، أو يضيفها المؤلف إلى كتاب التاريخ الذي أشار إلى أنه يعده، وأجدني إزاء استمرار الشيخ -وفقه الله - بذكرها مفصلة أن أقف عند بعضها موضعًا ما أراه حياله، وله الرأي الأول في ذلك.

لقد كرر - وفقه الله - في مواضع، خبر قدوم (مزروع) من بلدة (قفار) في منطقة (الجبيلين) حوالي عام (٨٠٠هـ)، وانتشار ذريته فيها وهم من بني عمرو بن تميم [٥/٤٨]، وعلقت عليه فيما تقدم موضعًا أن المعروف في بني تميم (المزروعان) من بني سعد بن زيد مناة بن تميم لهما شهرة عند النسابين القدماء.

وما أضيفه الآن عن ذلك الخبر هو أنني اطلعت على كتاب بخط الشيخ إبراهيم ابن عيسى في (كناش) [الكناش: هو الكتاب الذي يعده الباحث لتدوين ما يريد تدوينه من المعلومات التي يطلع عليها، غير مرتبة، يعدها لكي يرجع إليها عند الحاجة، فهو كـ (المفكرة) أو (الكشكول)] سيأتي وصفه، بعد هذا قال فيه (ص ٥) ما هذا نصه: (رأيت على هامش «تاريخ ابن بشر» على قوله: (أقبل جدهم الأعلى مزروع من قفار) إلى آخره ما صورته.

[نص كلام ابن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» ٢/٣٢٥، ط الدارة: (وماضي هذا المذكور جدُّ ماضي بن جاسر بن ماضي بن محمد الحميدي التميمي، أقبل جدهم لأعلى

الشيخ محمد بن فارس إن شاء الله تعالى^(١).

و آل مزروع الذين يُنسب إليهم آل فارس كانت إقامتهم في بلدة قفار الواقعة قُرب مدينة حائل، فانتقلوا منها حوالي عام ٨٠٠ هـ إلى مكان (روضة سدير)، فعمروها و بنوا سدودها، وصاروا هم رؤساءها وأمراءها، ولكنهم كَثُرُوا وصاروا أَسْرًا وعشائر، ففترَّقوا في بلدن نجد، وبعضهم نَزَحَ إلى العراق و«تاريخ آل ماضي» للأمير تركي بن ماضي آل مزروع فيه بيان بعض ذلك.

وُلد المترجم في الكويت عام ١٣١٩ هـ من عائلتين كريمتين؛ فجده لأبيه الشيخ التقي الورع العالم الكبير محمد بن فارس، فقد قال عنه تلميذه الشيخ عبد الله النوري: (جدُّ المترجم أستاذ فقهاء الكويت).

وَجَدُّ المترجم لأُمَّه محمد السميطة، من العائلة المعروفة في الكويت والزبير. نشأ المترجم في الكويت وأخذ مبادئ القراءة والكتابة فيها، ولمَّا تجاوز سنَّ الصَّبَا عطف عليه الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان، فصار يُعنى بتعليمه

مزروع من قفار، البلدة المعروفة في جبل شمر، هو وابن مفيد التميمي، واشترى هذا الموضوع في وادي سدير واستوطنه وتداولته ذريته من بعده، وأولاده سعيد وسليمان وهلال وراجح، وصار كل ابن من بنيه جد قبيلة). [

هذا الكلام لا أصل له فمن كان في هذا الوادي من زمن خالد بن الوليد فهو من بني عمرو بن تميم؛ لأنه أقطعهم إياه بأمر الصَّدِّيقِ فعمره، كما في «فتوحات سيف بن عمر التميمي»، ومن كان حادثاً فليس منهم، ثم كلام لم يتضح في التصوير، ويؤيد هذا أن سكان (وادي سدير) من بني تميم قبل الزمن المحدد في «تاريخ ابن بشر» كما فصلَّ هذا صاحب كتاب «بلاد العرب»، وهو من أهل القرن الثالث، ولبنى العنبر فيه القارة المعروفة، وقال الهمداني [«صفة جزيرة العرب» ص ٣٠٦، ط دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر]: (والفقي لآل حماد من تميم). انتهى.

فآل حماد كانوا سكانه منذ القرن الثالث الهجري أو قبله ولم يقدموا من (قفار) كما في القصة المتناقلة.

(١) ينظر ٦/ ٢٠٤، ترجمة رقم (٧٤٣)

وتقويمه وكان يرى فيه الإخلاص والإصلاح لإخوانه الذين هم أصغر منه سنًا.

وفي عام ١٣٤٥ هـ توفي الشيخ ابن مانع إمام جامع آل فهد، فأجمَعَ جماعة المسجد ألا يؤمهم إلا المترجم الشيخ عبد الوهاب الفارس، فالتمزم الإمامة حتى وفاته.

ثم إنه حج عام ١٣٥٠ هـ - والحج في ذلك الزمن على ظهور الإبل - وبعد الحج توجه إلى المسجد النبوي، فوجد في الحرمين الشريفين العلماء وحلق التدريس فكان يمضي نهاره متنقلاً من حلقة عالم إلى أخرى.

وفي عام ١٣٦٤ هـ عَرَضَ عليه رئيس المحاكم الشيخ عبد الله الجابر الصباح القضاء فامتنع، فحاول معه بشتى الوسائل فرفض.

قال تلميذه الشيخ عبد الله النوري: (وفي رجب من سنة ١٣٨٠ هـ ذهبنا بطريق الجو إلى القدس، وأمضينا هناك وقتاً طيباً، وقرأت عليه أثناء هذه الرحلة بكتاب «دليل الطالب» وأكملناه).

والمترجم من كبار العلماء ومن خيرة الفقهاء، وكل وقتة قد شغله بالعلم مُطالعةً وبحثاً وتدریساً وإفتاءً، فقد نفع الله به، وتخرج على يده جملة من العلماء، كما استفادت العامة بوعظه وإرشاده.

وقال تلميذه الشيخ عبد الله النوري أيضاً: (كان المترجم لا يحابي ولا يُجامل الدين، ولا يبيع الدين بالدنيا، ولا تأخذه في الحق لومة لائم، وكان كريماً جواداً مضيافاً، فلا تُمسك يده على شيء، بل ينفقه في طُرقه المشروعة).

وقالت «مجلة المجتمع»: (يُعدُّ الشيخ عبد الوهاب من أوائل المدرسين في الكويت، وكان على جانب كبير من الورع والتقوى، متخلِّقاً بأخلاق السلف الصالح، وهو سليل أسرة عريقة علماً وحسباً، تولَّى رعاية إخوته بعد وفاة والده فأحسن تربيتهم وتوجيههم، وكلُّ هذا لم يمنعه من مواصلة التعليم).

وفاته:

قال تلميذه عبد الله النوري: (أصاب المترجم وعكةٌ أحسَّ بها قبيل صلاة الجمعة، ومن الغد في صباح يوم السبت ١٧ / ٧ / ١٣٩٥ هـ نعت وفاته إذاعة الكويت، فكان لهذا النعي أثره العظيم عند جمهور الكويت، فصلي عليه ودُفن صباح ذلك اليوم، رحمه الله تعالى).

وقد رُئي بقصائد وكلمات نختار منها قصيدة الأستاذ الشاعر أحمد بن غنام الرشيد:

مُصَابٌ لَا يُمَاتِلُهُ مُصَابٌ لَهُ وَقَعٌ تَضِيقُ بِهِ الرَّحَابُ
مُصَابٌ وَقَعَهُ أَضْنَى فُؤَادِي وَلَا زَمَنِي وَجُومٌ وَكِتَابُ
وَنَعِي الشَّيْخِ أَفْقَدَنِي صَوَابِي تَعَشَّى الْقَلْبَ حُزْنٌ وَاضْطِرَابُ
لِفَقْدِ الشَّيْخِ مَحْمُودِ السَّجَايَا سَمَا عَنْ كُلِّ أَخْلَاقٍ تُعَابُ
تَرَبَّى فِي التَّقَى طِفْلاً وَكَهْلاً وَشَيْخًا فَهُوَ مِمَّنْ قَدْ أَنَابُوا
تَرَفَّعَ عَنْ رَدِيءِ الْقَوْلِ دَوْمًا وَلَمْ يَغْرُزْهُ عَيْشٌ مُسْتَطَابُ
عَفِيفٌ الدَّيْلِ لَمْ يُلْمَزْ بِعَيْبٍ وَحَاشَا أَنْ يَكُونَ بِهِ مَعَابُ
وَلَمْ يُدْكَرْ إِلَى الْحُكَّامِ يَوْمًا لَهُ سَارَتْ لِأَجْلِهِمْ رِكَابُ
تَحَاشَى فُرْبَهُمْ وَرَعَا وَزُهْدًا كِلَا الْحَالَيْنِ إِنْ حَضَرُوا وَغَابُوا
فَفِي فَقِهِ ابْنِ حَنْبَلٍ فَهُوَ ثَبْتُ فَمَذْهَبُهُ التَّوَرُّعُ وَالصَّوَابُ
فَإِنَّ الْفِقْهَ يُصْبِحُ فِي كَسَادٍ إِذَا عُلَمَاؤُهُ ارْتَحَلُوا وَغَابُوا
وَإِنْ يُفْتِي بِمَسْأَلَةٍ تَحَرَّى صَحِيحَ الْقَوْلِ فَهُوَ لَهُ جَوَابُ

فِي مِحْرَابِهِ يَتْلُو بِصِدْقٍ
 نَأَى عَنَّا فَصَيَّرْنَا حَيَارَى
 نَأَى عَنَّا نَصِرْنَا مِثْلَ سِرْبٍ
 فَيَا وَهَّابُ عَبْدُكُمْ اعْتَقُوهُ
 فَأَسْقِ ضَرِيحَهُ يَا رَبِّ دَوْمًا
 وَأَسْكِنِ رُوحَهُ أَعْلَى جِنَانٍ
 صَلَاةُ اللَّهِ تَتَرَى كُلَّ حِينٍ
 إِلَى الْبَلَدِ الْأَمِينِ تَحُجُّ بَيْتًا
 وَآلٍ ثُمَّ أَصْحَابٍ كِرَامٍ
 كِتَابَ اللَّهِ لَا حُرْمَ الثَّوَابِ^(١)
 عَلَى أَحْبَابِهِ عَظْمَ الْمُصَابِ
 مِنَ الْأَعْنَامِ تَرَعَاهَا الذَّنَابُ
 فَكَمْ عَتَقَتْ بِعَفْوِكُمْ رِقَابُ
 مِنَ الرَّحِمَاتِ، هَطَّالٌ سَحَابُ^(٢)
 مَعَ الْأَبْرَارِ طَابَ لَهُ الْمَابُ
 عَلَى الْمُخْتَارِ مَا شُدَّتْ رِكَابُ
 بِهِ يُرْجَى الدُّعَاءُ الْمُسْتَجَابُ
 بُدُورٍ لَيْسَ فِيهِمْ مَا يُعَابُ

(١) كذا، وواضح ما فيه من خلل إعرابي.

(٢) كذا، وواضح ما فيه من خلل إعرابي.

الخاتمة

قطعت الحركة الإصلاحية في الكويت رحلتها الأولى بنشر العقيدة الصحيحة وانتصرت، وانشرحت صدور من أخلصوا لها بالشدة والرخاء وأزروها مادياً ومعنوياً في كل مواطن جهادها، وزاد سرورهم نجاحها في الإصلاح الديني الذين هو من أهم ما دعوا إليه وقضيتهم المركزية قائمة عليه، فتغلبوا على كل خصوم الحق بما كانوا ينشرونه من حجج دامغات ودلائل بينات وبراهين ساطعات ودعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فأخرست ألسنة مخالفة لتوجههم ودعوتهم كانت لها صولة وجولة، قد خلا لها الجو حيناً من الزمن فرفعوا أصواتهم بالخرافات والأهواء.

فلا يسعنا بعد أن رفع الله قدر علماء مخلصين حاول خصومهم خفضه، وأحيا ذكر أوفياء ناصحين حاول حسادهم قبره إلا أن نرفع لله - سبحانه - أكف الضراعة بأن يغفر لعلمائنا ويرفع درجاتهم ويجزهم عنا خير الجزاء، فها نحن اليوم نجني ثمرة المشروع الإصلاحي اليانعة مغتبطين به متمسكين بغرسهم ونهج دعوتهم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه:

د. أحمد بن عبدالعزيز خلف الحربي

٦ جمادى الثاني ١٤٤٤ هـ

الموافق الجمعة ٣٠ / ١٢ / ٢٠٢٢ م

الفهرس

- مدخل ٧
- الفصل الأول: بداية نشأة البيئة الدينية والثقافية في الكويت ٩
- الفصل الثاني: وصول دعوة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية إلى الكويت ٣٩
- الفصل الثالث: تعقبات على ما كتبه
الدكتور خليفة الوقيان بشأن الدعوة الإصلاحية ١٠٥
- الفصل الرابع: مظاهر تأثير علماء الكويت
بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ١١٣
- الفصل الخامس: بداية الحركة الإصلاحية الدينية في الكويت ١٣١
- الفصل السادس: أثر جهود العلماء الإصلاحيين في إصلاح العقيدة ... ١٥٧
- الفصل السابع: الأضرحة في فيلكا ١٦١
- تراجم علماء وأدباء الكويت الذين ذكرهم الشيخ
عبدالله البسام ضمن كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون ١٧١
- ١ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن فيروز ١٧٣
- ٢ - الشيخ عثمان بن محمد بن أحمد بن سند ١٧٦

- ٣- الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن فارس ١٨٧
- ٤- الشيخ عبد الله بن خلف بن دحيّان ١٩١
- ٥- الشيخ عبد العزيز بن أحمد بن رشيد البداح ٢٠٨
- ٦- الشيخ أحمد بن خميس آل جبران ٢١٢
- ٧- الشيخ خالد بن محمد الفرج ٢١٦
- ٨- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خلف ال نادر الدوسري ٢٢٠
- ٩- الشيخ محمد بن سليمان بن عبد الله آل جرّاح ٢٢٤
- ١٠- الشيخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن محمد الفارس ٢٢٩
- ١١- الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد العزيز ابن فارس ٢٣٢
- الخاتمة ٢٣٩

